رَسَائِلُ مُهِمَّةٌ

(الرِّسَالَةُ الخامسَةُ)

هَذِهِ رِسَالَةٌ لم يُؤَلَّفْ مِثْلُها فيمَا نَعْلَمُ

(عَقِيْدَة)

تَبْصِرَةُ الأَتْقِيَاءِ بِتَبْرِئَةِ الأَنْبِيَاءِ

عليهِمُ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ

بحثٌ في عِصمةِ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ

ورَدِّ افتراءاتِ أهلِ الكتابِ

أصلُ هذهِ الرسالةِ بحثٌ

في مرحلةِ الماجستيرِ في الدراساتِ الإسلاميةِ

دَارُ الإِمَامِ عَبدِ الرؤوفِ المُنَاوِيِّ

أَبُو الطيِّبِ يُوسُفُ بنُ عَدْنَانَ المُناوِيُّ

خريجُ كُلِّيَةِ الإِمَامِ الأَوزاعِيِّ في الدِّراسَاتِ الإِسْلامِيَّةِ

الطَّبْعَةُ الأُولَى

1436هـ – 2015

لِمَنْ أَرادَ مُراسَلَةَ المُؤَلِّفِ

almunawi@hotmail.com

يمكن تحميل هذا الكتاب وغيره من كتب المؤلف من موقع الإمام المناوي

www.almunawi.com

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ الدِّيْنُ النَّصِيْحَةُ[1] ﴾

قالَ رسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» [2]

---

[1] حَدِيثٌ شَرِيْفٌ، قَالَ البُخَارِيُّ – رَحِمَهُ اللهُ – فِي صَحِيْحِهِ: بابُ قولِ النَّبِيِّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ للهِ ولرَسُولِهِ ولأَئِمَّةِ المسلِمِينَ وعامَّتِهِم»، وقولِهِ تَعَالى: ﴿إِذَا نَصَحُوا للهِ وَرَسُولِهِ﴾ سُورَةَ التوبةِ: الآية 91. انظُرْ كتابَ الإيمانِ باب 42 ج20/1. وفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ (74/1) عنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». ورواه أيضاً الإمامُ أحمدُ وأبو داودَ والتِّرمذيُّ والنَّسَائيُّ بنَحوِ ذَلِكَ.

قَالَ العَلاَّمَةُ ابْنُ حَجَرٍ العَسْقَلانِيُّ فِي شَرحِ حَدِيثِ «الدِّينُ النَّصِيحَةُ»:

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: النَّصِيحَةُ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ مَعْنَاهَا حِيَازَةُ الْحَظِّ لِلْمَنْصُوحِ لَهُ، وَهِيَ مِنْ وَجِيزِ الْكَلَامِ، بَلْ لَيْسَ فِي الْكَلَامِ كَلِمَةٌ مُفْرَدَةٌ تُسْتَوْفَى بِهَا الْعِبَارَةُ عَنْ مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ. وَهَذَا الْحَدِيثُ مِنَ الْأَحَادِيثِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا إِنَّهَا أَحَدُ أَرْبَاعِ الدِّينِ، وَمِمَّنْ عَدَّهُ فِيهَا الْإِمَامُ مُحَمَّدُ بْنُ أَسْلَمَ الطُّوسِيُّ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: بَلْ هُوَ وَحْدَهُ مُحَصِّلٌ لِغَرَضِ الدِّينِ كُلِّهِ، لِأَنَّهُ مُنْحَصِرٌ فِي الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرَهَا، **فَالنَّصِيحَةُ للهِ** وَصْفُهُ بِمَا هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَالْخُضُوعُ لَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً، وَالرَّغْبَةُ فِي مَحَابِّهِ بِفِعْلِ طَاعَتِهِ، وَالرَّهْبَةُ مِنْ مَسَاخِطِهِ بِتَرْكِ مَعْصِيَتِهِ، وَالْجِهَادُ فِي رَدِّ الْعَاصِينَ إِلَيْهِ.

وَرَوَى الثَّوْرِيُّ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ رُفَيْعٍ عَنْ أَبِي ثُمَامَةَ صَاحِبِ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ الْحَوَارِيُّونَ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا رُوحَ اللهِ مَنِ النَّاصِحُ للهِ؟ قَالَ: الَّذِي يُقَدِّمُ حَقَّ اللهِ عَلَى حَقِّ النَّاسِ.

وَالنَّصِيحَةُ لِكِتَابِ اللهِ تَعَلُّمُهُ، وَتَعْلِيمُهُ، وَإِقَامَةُ حُرُوفِهِ فِي التِّلَاوَةِ، وَتَحْرِيرُهَا فِي الْكِتَابَةِ، وَتَفَهُّمُ مَعَانِيهِ، وَحِفْظُ حُدُودِهِ، وَالْعَمَلُ بِمَا فِيهِ، وَذَبُّ تَحْرِيفِ الْمُبْطِلِينَ عَنْهُ. **وَالنَّصِيحَةُ لِرَسُولِهِ** تَعْظِيمُهُ، وَنَصْرُهُ حَيّاً وَمَيِّتاً، وَإِحْيَاءُ سُنَّتِهِ بِتَعَلُّمِهَا وَتَعْلِيمِهَا، وَالِاقْتِدَاءُ بِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمَحَبَّتُهُ وَمَحَبَّةُ أَتْبَاعِهِ. **وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ** إِعَانَتُهُمْ عَلَى مَا حملُوا الْقِيَامَ بِهِ، وَتَنْبِيهُهُمْ عِنْدَ الْغَفْلَةِ، وَسَدُّ خَلَّتِهِمْ عِنْدَ الْهَفْوَةِ، وَجَمْعُ الْكَلِمَةِ عَلَيْهِمْ، وَرَدُّ الْقُلُوبِ النَّافِرَةِ إِلَيْهِمْ، وَمِنْ أَعْظَمِ نَصِيحَتِهِمْ دَفْعُهُمْ عَنِ الظُّلْمِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ. وَمِنْ جُمْلَةِ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ أَئِمَّةُ الِاجْتِهَادِ، وَتَقَعُ النَّصِيحَةُ لَهُمْ بِبَثِّ عُلُومِهِمْ، وَنَشْرِ مَنَاقِبِهِمْ، وَتَحْسِينِ الظَّنِّ بِهِمْ. **وَالنَّصِيحَةُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ** الشَّفَقَةُ عَلَيْهِمْ، وَالسَّعْيُ فِيمَا يَعُودُ نَفْعُهُ عَلَيْهِمْ، وَتَعْلِيمُهُمْ مَا يَنْفَعُهُمْ، وَكَفُّ وُجُوهِ الْأَذَى عَنْهُمْ، وَأَنْ يُحِبَّ لَهُمْ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ، وَيَكْرَهَ لَهُمْ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِهِ. اهـ

[2] رَوَى البُخَارِيُّ فِي صَحيحِهِ (21/1) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ الْقَوْمَ، جَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟ فَمَضَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ الْقَوْمِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّى إِذَا قَضَى حَدِيثَهُ قَالَ: «أَيْنَ – أُرَاهُ – السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ» قَالَ: هَا أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَإِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»، قَالَ: كَيْفَ إِضَاعَتُهَا؟ قَالَ: «إِذَا وُسِّدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»

وقالَ أَيضاً:

«إِنَّ اللهَ لاَ يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعاً يَنْتَزِعُهُ مِنَ العِبَادِ، وَلَكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِماً اتَّخَذَ النَّاسُ رؤوسا جُهَّالاً، **فَسُئِلُوا فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا**»[3]

ونحن في زمن كثر فيه من يتكلم في أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام بما هم بريئون منه، استنادا إلى روايات باطلة في بعض كتب التفسير وغيرها، أو استنادا إلى ما يجده من الإسرائليات في كتب قصص الأنبياء، حتى وصل الأمر ببعضهم إلى نسبة الكفر إلى بعض أنبياء الله، إلى غير ذلك من الفظائع، فكان واجبا تبيين بطلان هذه الأقوال، وأرجو الله أن يجعل هذه الرسالة نافعة لكثير من الناس في هذا الباب.

اه قالَ ابنُ حَجَرٍ في فَتْحِ البَارِي: قَوْلُهُ إذا وُسِّدَ الْأَمرُ بِضَمِّ أَوَّلِهِ وَالتَّشْدِيدِ ويُخَفَّفُ أَيْ أُسْنِدَ وَجُعِلَ فِي غَيرِ أَهلِهِ. وفي عُمْدَةِ القَارِي شَرْحِ صَحِيحِ البُخَارِيِّ (7/2): قَوْلُهُ (إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ) المُرَادُ بِهِ جِنْسُ الْأُمُورِ الَّتِي تتَعَلَّقُ بِالدِّينِ كالخِلافَةِ وَالْقَضَاءِ **والإِفْتَاءِ** وَنَحْوِ ذَلِكَ. اه

[3] رَواهُ البُخَارِيُّ فِي صَحِيْحِهِ (31/1) وأَخْرَجَهُ مُسلِمٌ في العِلمِ، باب رفعِ العِلمِ وقَبضِهِ رَقَم 2673.

تنبيهٌ مُهِمٌّ

اعلَمْ أخيْ القَارِئَ أَنَّهُ **لا يُكْتَفَى بِمُطالَعَةِ الكُتُبِ لِتَحْصِيلِ عِلمِ الدِّينِ**، بَلْ لا بُدَّ مِنَ التَّلَقِّي عَنْ أَهْلِ العِلْمِ، فَـ«إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» كَمَا وَرَدَ ذَلِكَ فِي الحَدِيثِ الشَّرِيفِ الذي رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ[4].

قَالَ العَلَّامَةُ أَبُو حَيَّانَ الأَنْدَلُسِيُّ:

يَظُنُّ الغُمْرُ أَنَّ الكُتبَ تَهدِي ... أَخَا فَهْمٍ لإِدرَاكِ العُلومِ

وَما يَدري الجَهولُ بِأَنَّ فيهَا ... غَوامِضَ حَيَّرت عَقْلَ الفَهيمِ

إِذَا رُمْتَ العُلومَ بِغَيرِ شَيخٍ ... ضَلَلتَ عَنِ الصِّراطِ المستقيمِ

[4] ففي فَتحِ البَارِي لابْنِ حَجَرٍ العَسْقَلانيِّ (1/ 161): "قَوْلُهُ وَإِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ هُوَ حَدِيثٌ مَرْفُوعٌ أَيْضًا أَوْرَدَهُ بن أَبِي عَاصِمٍ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ مُعَاوِيَةَ أَيْضًا بِلَفْظِ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ تَعَلَّمُوا إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ وَالْفِقْهُ بِالتَّفَقُّهِ وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»** إِسْنَادُهُ حَسَنٌ إِلَّا أَنَّ فِيهِ مُبْهَمًا اعْتُضِدَ بِمَجِيئِهِ مِنْ وَجْهٍ آخرَ، وَرَوَى الْبَزَّارُ نَحْوَهُ من حَدِيثِ ابنِ مَسْعُودٍ مَوْقُوفًا، وَرَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ الْأَصْبَهَانِيُّ مَرْفُوعًا، وَفِي الْبَابِ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ وَغَيْرِهِ، فَلَا يُغْتَرّ بِقَولِ مَنْ جَعَلَهُ مِنْ كَلَامِ الْبُخَارِيِّ، **وَالْمَعْنَى لَيْسَ الْعِلْمُ الْمُعْتَبَرُ إِلَّا الْمَأْخُوذَ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ وَوَرَثَتِهِمْ عَلَى سَبِيلِ التَّعَلُّمِ**". انتهى كَلامُ ابْنِ حَجَرٍ.

أهمية هذه الرسالة

مما يجب على كل مكلف أن يعتقد عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وصدقهم وأمانتهم، وهو من الإيمان المأمور به في نصوص الشرع، أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، عليهم الصلاة والسلام هذه الرسالة تشرح بأسلوب واضح الصفات التي يجب اعتقادها في حق أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام.

وليست هذه الرسالة أوَّلَ من كتب في عصمة الأنبياء، ولكنها امتازت عن جميع ما اطلعتُ عليه من المؤلفات في عصمة الأنبياء بجمعها عدة أمور منها:

- بيان عقيدة أهل الحق في عصمة الأنبياء،
- ردُّ الشبه التي أوردت في حق بعض أنبياء الله دون الوقوع في شبه أخرى كما هو شأن بعض من رد بعض ما افتري على الأنبياء ثم تورط في إثبات افتراءات أخرى،
- عدم المبالغة في نفي ما يتوهم أنه نقص في حق أنبياء وهو في الحقيقة ليس كذلك،
- اشتمال هذه الرسالة على نفي التهم المروية في بعض كتب التفسير والتهم المروية عند أهل الكتاب،
- الاختصار ووضوح العبارة.

ولم أستقص كل ما نسب إلى أنبياء الله مما لا يليق بهم، ولكن اقتصرت على أكثرها انتشارا وأشدها اشتباها على من لم ينور الله بصيرته، فتكون الردود التي أوردتها مثالا يُحتذى في نفي ما لا يليق بأنبياء الله مما لم أتعرض له في هذه الرسالة.

وقد كتبت هذه الرسالة منذ أكثر من عشرين سنة، كبحث في مرحلة الماجستير في كلية الإمام الأوزاعي، ثم رأيت أن أنشرها لعل الله ينفعني بها وينفع كثيرا من الناس بمطالعتها.

إلى كُلِّ مَنْ عِنْدَهُ غَيْرَةٌ عَلى دِيْنِ اللهِ وعلى أعراضِ أنبياءِ الله

عليهم الصَّلاةُ والسَّلامُ

لِنَسْعَ في نَشْرِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ التي فيها دفعُ الافتراءاتِ على أنبياءِ الله

- طَلَباً لِمَرْضَاةِ اللهِ ورَحْمَتِهِ،
- وطَمَعاً في الدُّخولِ تَحْتَ قَولِ اللهِ تَعَالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المائِدَة: الآية 104] وَقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [المائِدَة: الآية 110]،
- ولِكَيْ لا نَكُونَ كالذينَ وَصَفَهُمُ اللهُ بِقَولِهِ: ﴿كَانُواْ لاَ يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [المائِدَة: الآية 79]،
- وحَذَراً مِنَ الوَعيدِ الوَارِدِ في حَدِيثِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، يُوشِكُ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ»[5].

---

[5] صَحِيْح ابنِ حِبَّانَ (540/1). وفي فَتْحِ البَارِي لابْنِ حَجَرٍ ما نَصُّهُ: "حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ» أَخْرَجَهُ الْأَرْبَعَةُ وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ". اهـ

قبل البدء بمطالعة هذا البحث

لا بدَّ من التنبه إلى أنني في عدة مواضع أوردت ما ذكره بعض المفسرين من الأقوال الباطلة المردودة ثم أتبعت ذلك ببيان وجه الصواب، لذلك لا ينبغي للقارئ أن يبادر إلى اعتقاد ما أنقله مما ينافي عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وليكن في بال القارئ دوما تعظيم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، واستحضار عصمتهم من كل ما يزري بهم.



مُقَدِّمَةٌ

تبصرة الأتقياء

بتبرئة الأنبياء

بحث في عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ونفي التهم التي نسبت إليهم وهم منها براء من خلال آيات القرآن الكريم، ويشتمل على رد افتراءات أهل الكتاب عليهم أيضا.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله العلي العظيم * الذي خلقنا في أحسن تقويم * ومنَّ علينا بالعقل السليم * وهدانا الصراط المستقيم * وأنعم علينا بإرسال الصفوة الأخيار * الأمناء الأبرار * المنزهين عما نَسَب إليهم أراذل اليهود وحثالة الأغمار *

وأشهد أن لا إله إلا الله الواحد القهار * العزيز الجبار * وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خاتم الأنبياء الأطهار * والمصْطَفَيْن الأخيار * صلى الله عليه وعلى إخوانه النبيين الأبرار * وآل كلّ وصحب كلّ على ممرّ الدهور والأعصار *

أما بعد[6] فهذا كتاب في تبرئة الأنبياء عليهم السلام وتنـزيههم عما نسب إليهم أراذل اليهود والنصارى ومقلِّدة المؤرخين المجازفين الجاهلين بحقيقة النبوة وما يجوز على أنبياء الله تعالى وما يستحيل وما يجب على الكافة من تعزيرِهم وتوقيرهم، فتراهم يذكرون أقوالا وأفعالاً صدرت عن الأنبياء، يؤولونها تأويل من حل من عنقه ربقة الشريعة، لكونهم يتخيلونها مثالب في حقهم، ثم ينسبون بعض هذه الأقوال إلى كبار الصحابة والتابعين، ليموهوا بها على العوام لئلا يردوها عليهم ويقدحوا فيها، فيَهلِكون ويُهلكون. ثم تراهم ينقلون تلك الخرافات بالتكرار على أوجه مختلفة، تورعاً في نقل الرواية تورع الكلب الذي يرفع رجله عند البول وفمه في أعماق الجيفة.

وقد قيض الله لتلك الحكايات شرذمة من المقلدة الأغمار، فتراهم يخوضون في أحوال الأنبياء عليهم السلام، ويتمندلون[7] بأعراضهم على رؤوس العوام والطَّغام[8]، ولا مشفق على دين الله تعالى، ولا زاجر ذا سلطان، حتى كأنهم ملة أخرى، لا يرقبون فيهم ذمة ولا إلَّا.

ومن المؤسف أن نجد كثيراً من كتب التفسير المتداولة بين المسلمين، تنقل تلك الروايات الباطلة من غير تمحيص، بل جعلها بعض المفسرين موضحة للمراد بكلام الله تعالى، ففتحوا بذلك الباب على مصراعيه لأولئك الأراذل حيث وجدوا لتلك الخرافات مستنداً بزعمهم.

وغرض أولئك الأوغاد من أهل الكتاب الذين اتهموا كثيراً من الأنبياء بالفواحش والمحرمات كالزنا بالمحارم

---

[6] بعض ألفاظ وعبارات هذه المقدمة مأخوذة من مقدمة كتاب تبرئة الأنبياء لعلي بن أحمد الأموي ص23-26، بتصرف.

[7] تمندلت بالمنديل، وتندّلت: تمسحت به. كذا في المصباح المنير ص228، للفيومي.

[8] الطَّغام: أوغاد الناس، الواحد والجمع فيه سواء، كذا في مختار الصحاح ص165 لمحمد بن أبي بكر الرازي.

وغيرهن، إباحة الفواحش والتهوين من شأنها لا سيما وهم يرتكبون ذلك في بيوتهم، فيرون في ذلك تأسياً بالأنبياء، وتابعهم في بعض ذلك طائفة من القصاص الفسقة، فسردوا بعض الحكايات الموقعة قائلها في سخط الله تعالى وغرضهم ان يهونوا الفسوق والمعاصي على بُلْه العوام، وأن يتسللوا إلى الفجور بالنساء، ولا يزالون يهونون على العوام ما كان يعظم عليهم من قبل، ويقولون هذا أمر ما سلم منه عظماء المرسلين فكيف نحن؟! فوقعوا في الكفر الشنيع بطعنهم في أنبياء الله تعالى، وانتقاصهم ونسبة الفواحش إليهم، التي لا تليق نسبتها لمن في قلبه أدنى خشية لله تعالى.

فـ ﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾ [البقرة، الآية: 156]، ﴿وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون﴾ [الشعراء، الآية: 227].

وقد جعلت هذا الكتاب جزأين، الجزء الأول في إثبات عصمة الأنبياء بالنصوص الشرعية والنقول من كتب التفسير وأقوال الأئمة. ثم إبطال التهم المروية في كتب التفسير مما يقدح في عصمتهم.

والجزء الثاني في دفع التهم الملصقة بأنبياء الله تعالى، الموجودة في كتب اليهود والنصارى المسماة بالعهد القديم والعهد الجديد.

وقد قسمت الجزء الأول إلى قسمين: القسم الأول في المقدمات، والقسم الثاني في إبطال التهم الملصقة بالأنبياء، المروية في كتب التفسير.

وقد اشتمل القسم الأول على أربعة أبواب:

1- الباب الأول في النبوات، ذكرت فيه معنى النبي والرسول وشرائط الاتصاف بالنبوة وكون النبوة غير مكتسبة، وجواز بعثة الأنبياء، والسبيل إلى معرفة النبي، ومعنى المعجزة ووجه كونها دليلاً على صدق من ظهرت على يديه.

2- الباب الثاني في عصمة الأنبياء ذكرت فيه مقتضيات الاتصاف بالنبوة والرسالة، ومعنى العصمة لغة وشرعا، والدليل على عصمة الأنبياء من القرآن ثم كلام بعض الأئمة في عصمة الأنبياء.

3- الباب الثالث في التفسير ذكرت فيه شروط التفسير وشروط المفسر، والاختلاف في التفسير، والتفسير بالمأثور والتفسير بمقتضى اللغة.

4- الباب الرابع تكلمت فيه على القصص القرآني والإسرائيليات.

وضمّنْتُ هذا القسم ما يكفي لدفع أي نقص ينسب إلى أنبياء الله تعالى زوراً وبهتانا،
واشتمل القسم الثاني على دفع الشبه الواردة في التفاسير المتعلقة بتسعة من الأنبياء وهم: آدم، إبراهيم، لوط، يوسف، أيوب، يونس، داود، سليمان، محمد عليهم الصلاة والسلام. فذكرت ما أورده بعض المفسرين من الأقوال والروايات الساقطة، وبينت فسادها بالنصوص الشرعية والاستدلالات العقلية، عدا ما سبق بيانه في القسم الأول، وينبغي لمن طالع هذا القسم أن يكون مستحضراً لما مر بيانه في القسم الأول، وذلك أنني لم أكرر ذكر الأدلة عند الكلام على تبرئة كلّ من هؤلاء الأنبياء اكتفاء بما أوردته في القسم الأول، وإنما ذكرت الأدلة التي فيها تبرئة لكل نبي بخصوصه. وأما ما فيه بيان عصمتهم عموما فلا ضرورة إلى تكراره.

وقسمت الجزء الثاني من هذا الكتاب إلى قسمين: القسم الأول في المقدمات، والقسم الثاني في تفنيد افتراءاتهم على أنبياء الله تعالى.
وقد اشتمل القسم الأول على المواضيع التالية:

1- إثبات تحريف التوراة والإنجيل.
2- ذكر كتب العهدين القديم والجديد.
3- بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتبهم.
4- ذكر افتراق اليهود.
5- اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار.
6- ظاهرة التقليد والتعصب عند اليهود.
7- عقيدة اليهود في الله.
8- ذكر افتراق النصارى.
9- التثليث عند النصارى.
10- ظاهرة التقليد الأعمى عند النصارى.
11- عقيدة اليهود والنصارى في الأنبياء.

وإنما أحوجني إلى الكلام على هذه الأمور أن إبطال افترائهم على الأنبياء لا يتم إلا بإثبات تحريف كتبهم

وما يتبع ذلك وقد أثبتُّ في هذا القسم بما لا يدع مجالاً للشك أن كتب اليهود والنصارى محرفة، وذكرت معتقد اليهود في الله تعالى ومعتقد النصـــارى في التثليث، بحيث يعلم من يطلع على ذلك أنه لا ثقة في كتبهم ولا اعتماد على نقلهم، وأنهم أعماهم التقليد عن إبصار الحق، وأضلهم الهوى عن سبيل الرشاد، فلا يحتاج العاقل بعد ذلك إلى الأدلة على بطلان ما افتروه على أنبياء الله ورســـله صـــلوات الله عليهم أجمعين.

واشـتمل القســم الثاني على ذكر بعض نصـوص العهدين القديم والجديد التي فيها نسـبة أمور عظام إلى الأنبياء مما لا يليق بهم، ودفعت تلك الافتراءات الباطلة بنقل نصـــوص من كتبهم تقضـــي ببطلان تلك التهم، وبالاســتدلال العقلي والمحاورة المنطقية، ولم أورد الأدلة على ذلك من القرآن ولا الحديث لســببين: الأول أنهم لا يعترفون بالقرآن ولا الســـنة، فلذلك نقيم الحجة عليهم بما يعترفون به، وبالمجادلة بالبراهين العقلية. وذلك أن مقصـــودنا بهذا الكتاب إقامة الحجة على عصـــمة الأنبياء، على من ينتســـب إلى الإسلام، وعلى من لا ينتسب أيضاً، بدعوى اتباع التوراة والإنجيل.

السبب الثاني أنه ذكر في الجزء الأول من هذا الكتاب ما يغني عن الإعادة.

وما نقلته من نصـوص كتبهم ورددت عليه، فذلك على سـبيل الإيجاز والاختصـار، وليكون عنوانا على المقصود، ومَثَلاً يقاس عليه غيره من البهتان المذكور في كتبهم. ولم أبسط القول في ذلك ولم استقص جميع ما أوردوه من المثالب في حق الأنبياء اكتفاء بما ذكرته إذ أن حصر ذلك يطول.

وهنا لا بد من ذكر تنبيهات تتعلق بالجزء الثاني بقسميه

أولا: إن كثيراً من النصـــوص الواردة في هذا الجزء المنقولة من العهدين، نقلتها من كتاب إظهار الحق للشـــيخ رحمةُ الله وهو نقلها من الترجمة المطبوعة عام 1844م للعهدين[9]، ويوجد بعض الاختلاف في العبارات بينها وبين بعض النســـخ الأخرى المطبوعة، وذلك يرجع إلى الاختلاف في الترجمة، وحيث وقع خلاف نبهت عليه غالباً لا ســـيما إن كان يؤدي إلى اختلاف في المعنى مع ملاحظة أن عبارات هذه الترجمة ركيكة.

ثانياً: كتاب إظهار الحق للشـــيخ رحمة الله الكيرانوي ترجمه من كتب ألّفت بلســـان الفرس وكتب ألّفت

[9] وهي مطبوعة باللسان العربي طبعها وليم واطس. وذلك بالإضافة إلى تفاسير وتراجم أخرى.

بلسان مسلمي الهند، وقد وقع في الترجمة أخطاء لغوية لأن لغة المؤلف الأصلية ليست العربية كما وقع فيها أخطاء مطبعية وسقط وغير ذلك، فأصلحت ما وقع من الأخطاء في المواضيع التي نقلها، وتصرفت في أكثرها ولم ألتزم عبارات المؤلف بعينها في كثير من المواضع، وقد أشرت إلى ذلك في موضعه.

ثالثاً: وقع في الكتاب المذكور بعض العبارات المخالفة للنصوص الشرعية، فحيث كان يصح حملها على أنها أُوْرِدَت على وجه الإلزام لليهود والنصارى، وأنها حكاية لمقتضى مذهبهم حملناها عليه تحسيناً للظن بالمؤلف.

وأما ما لا يصح حمله على ذلك وكان لا يحتمل التأويل، فذلك يرجع إما إلى خطأ أو تحريف من بعض النساخ، أو سقْطِ أداة حكاية ونحو ذلك، ولا نجزم بنسبة ذلك إلى المؤلف فليتنبه من أراد مطالعة الكتاب المذكور.

رابعاً: هناك اختلاف في أسماء بعض الأسفار وغير ذلك بين ما هو مذكور في كتاب إظهار الحق وبين النسخة التي بيدي من العهدين القديم والجديد، وقد أشرت إلى ذلك في موضعه.

خامسا: من أراد مقارنة ما نقلناه في هذا الكتاب عن كتب وتفاسير اليهود والنصارى، بالأصل المنقول عنه فليرجع إلى الطبعة نفسها، وذلك أن علماءهم – وخصوصاً البروتستانت – إذا طبعوا كتابا من كتبهم مرة ثانية يقع فيه التغيير، والحذف والزيادة ليتحاشوا بعض المآزق التي أوقعوا أنفسهم فيها، فليتنبه لذلك وإلا فقد يُظن عدم الصدق في الناقل.

سادساً: كتاب الرد الجميل المنسوب للغزالي في رد دعوى النصارى أن عيسى إله، لا نجزم بنسبته له، لما فيه من الكلام الباطل المخالف لنصوص القرآن، وذلك مما يجل مقام الغزالي حجة الإسلام رحمه الله عن الوقوع في مثله، فإما أن يكون الكتاب ليس من تأليفه – وهو الأرجح لما فيه من العبارات الفاسدة التي تكررت فيه كثيرا – وإما أن يكون قد حُرِّف ودُسَّ عليه، وذلك غير بعيد، لما نعلمه من وقوع الدس قديما وحديثا في كتب العلماء.

سابعاً: ما ذكرناه من الردود على افتراءاتهم على أنبياء الله تعالى اشتمل على كلام أوردناه على سبيل الإلزام لهم وإظهار تناقضهم، وليس كل ما أوردناه مما نعتقده وندين به، وإنما هو محمول على أنه حكاية لمقتضى ما ذهبوا إليه، ويقدَّر فيه أداة حكاية، وذلك معروف عند أهل العلم ولا يخفى على المتأمل، لكن أوردنا هذا البيان للتنبيه والتأكيد على هذا الأمر، إذ أنه قد يشتبه ذلك في بعض المواضع. ومع ذلك فقد كررنا أداة الحكاية عند نقل أقوالهم وعند تفنيدها واستعملنا كلمة "على زعمهم" ونحوها،

وذلك لكي لا يسبق إلى الذهن شيء مما أوردوه من الكفر، ولكي لا يسبق إلى الذهن أيضا أن ما أوردناه على وجه الإلزام حق نعتقده، فليُتنبّه.

ثامناً: هناك ضلال وكفر كثير في كتب اليهود والنصارى، لم نتعرض له في هذا الكتاب إذ إنه ليس داخلاً في موضوعنا. ولكننا ذكرنا قول النصارى بالفداء لتعلق ذلك بأكل آدم من الشجرة، ولأن ذلك من أصول عقيدة النصارى.

وذكرنا أيضا عقيدة اليهود في الله ليتبين للعاقل سخافة عقولهم وافتراؤهم على ربهم، فلا يستبعد افتراءاتهم على الأنبياء، وليظهر بما لا يدع مجالا للشك والارتياب في تحريف كتبهم، فلا يصح الوثوق بها أو الاعتماد عليها لما اشتملت عليه من الهذيان المضحك لسخافة عقولهم. وإذا تبين هذا تبين أيضاً بطلان معتقد النصارى إذ أنهم يعتمدون هذه الكتب ويعتقدون صحة ما فيها.

وأسأل الله الكريم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه، دفاعاً عن صفوة الخلق عليهم الصلاة والسلام.

الجزء الأول

إثبات عصمة الأنبياء بالنصوص الشرعية

وبراءتهم من التهم التي نسبت إليهم في كتب التفسير

ويشتمل على قسمين:

القسم الأول في المقدمات.

القسم الثاني إبطال التهم الملصقة بالأنبياء المروية في بعض التفاسير.

القسم الأول

المقدمات

ويشتمل على خمسة أبواب:

الباب الأول: النبوّة.

الباب الثاني: عصمة الأنبياء.

الباب الثالث: التفسير.

الباب الرابع: قصص القرآن.

الباب الخامس: الإسرائيليات.

الباب الأول

النبوّة

ويشتمل على سبعة فصول:

الفصل الأول: معنى النبي والرسول.

الفصل الثاني: شرائط الاتصاف بالنبوة.

الفصل الثالث: كون النبوة غير مكتسبة.

الفصل الرابع: جواز بعثة الأنبياء.

الفصل الخامس: السبيل إلى معرفة النبي.

الفصل السادس: المعجزة.

الفصل السابع: وجه دلالة المعجزة على صدق النبي.

الفصل الأول: معنى النبي والرسول

"النبي في اللغة مهموز وغير مهموز فالمهموز مأخوذ من النبأ الذي هو الخبر"[10] فهو فعيل بمعنى فاعل "لأنه أنبأ عن الله أي أخبر"[11] أو فعيل بمعنى مفعول أي مخبَر عن الله بما يوحى إليه. "وغير المهموز يحتمل وجهين أحدهما التخفيف بإسقاط همزته والثاني أن يكون من النَّبْوَة وهي الرفعة فالنبي على هذا هو الرفيع المنزلة عند الله تعالى"[12] "فله عند ربه رتبة شريفة ومكانة منيفة"[13].

والرسول في اللغة والمرسل بمعنى واحد، تقول "أرسلت رسولاً: بعثته لرسالة يؤديها فهو فعول بمعنى مفعول"[14].

"وكل رسول لله عز وجل نبي وليس كل نبي رسولا والفرق بينهما أن النبي من أتاه الوحي من الله عز وجل ونزل عليه الملك بالوحي والرسول من يأتي بشرع على الابتداء أو بنسخ بعض أحكام شريعة قبله"[15].

وهناك فرق آخر وهو أن النبوة لا تكون إلا في البشر وأما الرسالة فتكون في البشر وفي الملائكة قال الله تعالى: ﴿الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس﴾ [الحج، الآية: 75]

---

[10] أصول الدين ص 153 للبغدادي.

[11] المصباح المنير ص591 للفيومي.

[12] أصول الدين ص153 للبغدادي.

[13] شرح العقيدة الطحاوية ص65 للغنيمي.

[14] المصباح المنير ص226 للفيومي.

[15] أصول الدين ص154 للبغدادي.

الفصل الثاني: شرائط الاتصاف بالنبوة

"وشرائط النبوة: الذكورة، وكمال العقل، وجودة الفطنة، وقوة الرأي ولو في الصبا، والسلامة من كل ما تنفر منه الطباع من العيوب كالبرص، والجذام، ومن سوء الأخلاق كالخسة والدناءة، ومن قبح الأفعال والحِرَف كالأكل في الطريق والحجامة، والخبث في النسب كخساسة الآباء وفجور الأمهات"[16].

وبهذا يتبين أنه لا نبوة في النساء –إذ ليس لهن من كمال العقل ما للرجال – فضلاً عن الرسالة، أما عدم وجود امرأة رسول، فبنص القرآن قال الله تعالى ﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ [الأنبياء، الآية: 7]. وقد استدل البعض بهذه الآية أيضا على عدم وجود امرأة نبية كما نُقل ذلك في نخبة اللآلي[17]. وفي بدء الأمالي "وما كانت نبياً قط أنثى"[18].

الفصل الثالث: كون النبوة غير مكتسبة

ولا تكون النبوة مكتسبة بالجد والاجتهاد في التقرب الى الله تعالى والتحلّي بالفضائل واجتناب الرذائل بل هي بفضل الله تعالى يؤتيه من يشاء كما قال اللقاني في جوهرته:

ولم تكن نبوة مكتسبة   ولو رقى في الخير أعلى عقبة

بل ذاك فضل الله يؤتيه لِمَنْ   يشاء جل الله واهبُ المِنَنْ[19]

---

[16] القول الفصل ص33.

[17] نخبة اللآلي ص65

[18] نخبة اللآلي ص64.

[19] لجوهرة (ضمن المجموع الكبير من المتون) ص18 للقاني.

الفصل الرابع: جواز بعثة الأنبياء وحاجة العباد إليهم

ليعلم أن العباد لا يستقلون بمعرفة العقائد الإيمانية، وما فيه صلاح معيشتهم بعقولهم مجردة، إذ لو وُكلوا إلى عقولهم لأدى إلى الخلافات والخصومات، فضلا عن تباين الآراء فيما يتعلق بالأمور الغيبية وغير ذلك، وافتراق الناس مللاً ومذاهب شتّى دليل على ما نقول، فتبين احتياجهم إلى بعثة نبي يعلمهم، ويوضح لهم سبيل الحق ويزيل عنهم الشبه، ويرشدهم إلى ما فيه صلاح الدين والمعاش، فثبت جواز بعثة الأنبياء والرسل عقلا.

"والخلاف في هذا مع البراهمة الذين جحدوا الرسل وأثبتوا التكليف من جهة العقول والخواطر وأبطلوا الفرائض السمعية"[20]، وقد بيّنا بما ذكرنا آنفا فساد معتقدهم.

الفصل الخامس: السبيل إلى معرفة النبي

ليعلم أن السبيل إلى معرفة النبي لا يصح أن يكون أمراً معتاداً إذ لو كان كذلك لم يكن دليلا لاستواء البر والفاجر فيه فوجب أن يكون غير مقدور للبشر بل هو من الله تعالى يظهر به تصديق نبيه بتأييده بذلك ويكون ذلك الأمر نازلاً منزلة التصديق بالقول وذلك ما نسميه بالمعجزة.

[20] أصول الدين ص154 للبغدادي.

الفصل السادس: المعجزة معناها لغة وشرعاً وتقسيمها

"المعجزة في اللغة مأخوذة من العجز الذي هو نقيض القدرة والـــمُعْجِز في الحقيقة فاعل العجز في غيره وهو الله تعالى... وإنما قيل لأعلام الرســـل عليهم الســـلام معجزات لظهور عجز المرســـل إليهم عن معارضـــتهم بأمثالها وزيدت الهاء فيها فقيل معجزة للمبالغة... كما وقعت المبالغة بالهاء في قولهم علَّامة ونسّابة"[21].

والمعجزة عند علماء التوحيد هي: "أمر خارق للعادة في دار التكليف مقرون بالتحدي موافق للدعوى سالم عن المعارضة بالمثل يظهر على يد ذي نُبُوة تصديقا له"[22].

وقد نظم مؤلف العقيدة الصلاحية تعريف المعجزة بقوله:

"وكلُّ فعلٍ خرَقَ العاداتِ وبان عن وهن المعارضاتِ
جاء به من يدَّعي النبوةْ مع تحديه به في القوةْ
فذلك الفعل الذي قد أظهرهْ معجزة تثبت ما قد ذكرهْ
وسميت معجزةً لكونها تُعجِز كلَّ أحدٍ عن فَنِّها
والمُعجِز الله وليُّ الحفظ وإنما تجوَّزوا في اللفظ"[23]

والمعجزة أقســام، منها ما يقع بعد اقتراح من الناس ومنها ما يقع من غير اقتراح، ومنها دائمة باقية وذلك القرآن الكريم ومنها غير دائمة وهي الخوارق الفعلية.

---

[21] أصول الدين ص170 للبغدادي.

[22] ذكر نحو ذلك البغدادي في أصول الدين ص170-171.

[23] العقيدة الصلاحية ص53 (مطبوعة ضمن النفائس).

الفصل السابع: وجه كون المعجزة دليلا على صدق النبي

لمّا أيّد الله صاحب المعجزة بها عند دعواه النبوة، وأعجز[24] المعارضين عن الإتيان بمثلها علمنا أنه صادق إذ لو لم يكن صـــادقا لما أيده الله بالمعجزة، لأنه حكيم، وتصـــديق الكاذب يُنافي الحكمة. ولو كانت المعجزة تظهر على يد الكاذب لأدى ذلك إلى تكليف العباد بما لا يطاق إذ لا يتمكنون من التمييز بين النبي والمتنبي.

وقد ذكر مؤلف الصلاحية مثالا يوضح به ذلك فقال:

"هذا هو المختار في الإرشاد فاسمع مثال ذاك من إيرادي

إذا تصدى ملك كبيرُ ذو سطوة ومجدُه مشهورُ

للخلق في مجلسه فاحتشدوا واجتمعوا عليه حتى قعدوا

وجاء من أقصى البلاد الناسُ وازدحم القُيّامُ والجُلّاس

فقام من أصحابه إنسانُ منتصباً شاهده السلطان

صاح بأعلى صوته في النادي ألا اسمعوا معاشرَ الأشهادِ

قد جاءكم أمرٌ عظيمُ الشانِ فاستمعوا من قبله بُرهاني

أنا رسولُ الملكِ الجليلِ إليكم وفعلُهُ دليلي

يا أيها السلطان فانقض عادتك وقُم إذاً واقعدْ وخالف سُنَّتَكْ

ليعلموا حقيقة الرسالة بما يروْنَه من الدلالة

وأن حقاً كل ما أحكيه عنك ومهما قلتُ ترتضيه

فامتثلَ السلطانُ ما قد سألهْ صاحبُهُ فصحّ ما قد نقله"[25]

---

[24] فاعل "أعجز" ضمير مستتر يعود على لفظ الجلالة.

[25] العقيدة الصلاحية ص 53 (النفائس).

الباب الثاني

عصمة الأنبياء

ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول

مقدمة في بيان مقتضيات الاتصاف بالنبوة والرسالة.

الفصل الأول: العصمة لغة واصطلاحا.

الفصل الثاني: الدليل على عصمة الأنبياء من القرآن.

الفصل الثالث: كلام الأئمة في عصمة الأنبياء.

مقدمة في بيان مقتضيات الاتصاف بالنبوة والرسالة

ليعلم أن الله تعالى لا يختار لهذا المنصب إلا من كان فيه الأهلية لذلك، يقول الله عز وجل: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [الأنعام، الآية: 124] ويقول تعالى ﴿وكلاً فضلنا على العالمين﴾ [الأنعام، الآية: 86] فلما فضلهم على العالمين جعلهم أكمل عباده وجمّلهم بصفات الكمال ومكارم الأخلاق وعصمهم من القبائح والفواحش، ونقتصر في هذا الباب على الكلام على عصمة الأنبياء لأنه المقصود في هذا الكتاب.

الفصل الأول: العصمة لغة واصطلاحاً

العصمة في اللغة هي الحفظ يقال "عصمه الله من المكروه يعصِمه من باب ضرب، حَفِظه ووقاه"[26]. وفي الاصطلاح عصمه الأنبياء هي حفظ الله لهم من الكفر والكبائر والصغائر التي فيها خسة، وقبائح الأفعال والرذائل قبل النبوة وبعدها.

وقد اختلف العلماء في جواز صدور ذنب صغير لا خسّة فيه ولا دناءَة منهم، فمن العلماء من أجاز ذلك عليهم ومنهم من منع، إلا أنه لا خلاف في اطلاق اسم المعصية كما ورد ذلك في القرآن الكريم في حق آدم بقوله تعالى ﴿وعصى آدم ربه﴾ [طه، الآية: 121].

واختلف العلماء في كيفية العصمة والذي نختاره أنها "فضل من الله ولُطف منه لكن على وجه يبقى اختيارهم بعد العصمة في الإقدام على الطاعة والامتناع عن المعصية"[27].

[26] المصباح المنير ص 414 للفيومي.

[27] شرح الفقه الأكبر ص 53 لملّا علي القاري.

الفصل الثاني: الدليل على عصمة الأنبياء من القرآن

قال الله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين﴾ [الحجر، الآية: 42]، وقال تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا﴾ [الإسراء، الآية: 65]، وقال تعالى ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [النحل، الآية: 99].

وآيات كثيرة غير ما ذكرنا، ولم نرد الاستقصاء في هذا الباب ولكنا سنورد إن شاء الله آيات غيرها عند الكلام على الأخبار المختلقة التي نسبت إلى الأنبياء ما لا يليق بهم.

الفصل الثالث: كلام الأئمة في عصمة الأنبياء

نقتصر في هذا الفصل على نقل نبذة يسيرة من كلام الأئمة في عصمة الأنبياء على اختلاف مذاهبهم وعصورهم.

1- في كتاب الإرشاد لإمام الحرمين عبد الملك الجويني يقول "فصل في عصمة الأنبياء تجب عصمتهم عما يناقض مدلول المعجزة وهذا مما نعلمه عقلاً، ومدلول المعجزة صدقهم فيما يبلغّون. فإن قيل هل تجب عصمتهم عن المعاصي قلنا أما الفواحش المؤذنة بالسقوط وقلة الديانة فتجب عصمة الأنبياء عنها إجماعا... وأما الذنوب المعدودة من الصغائر -على تفصيل سيأتي الشرح عليه- فلا تنفيها العقول ولم يقم عندي دليل قاطع سمعي على نفيها ولا على إثباتها، إذ القواطع نصوص أو إجماع ولا إجماع إذ العلماء مختلفون في تجويز الصغائر على الأنبياء... [و] الأغلب على الظن عندنا جوازها وقد شهدت أقاصيص الأنبياء في آي من كتاب الله تعالى على ذلك"[28].

2- وفي أصول الدين لأبي منصور البغدادي يقول: "أجمع اصحابنا على وجوب كون الأنبياء معصومين بعد النبوة عن الذنوب كلها وأما السهو والخطأ فليسا من الذنوب فلذلك ساغا عليهم، وقد سها نبينا صلى الله عليه وسلم في صلاته حتى سلم عن ركعتين ثم بنى عليها وسجد سجدتي السهو. وأجازوا عليهم الذنوب قبل النبوة وتأولوا على ذلك كل ما حكى في القرآن من ذنوبهم"[29].

3- وفي كتاب عصمة الأنبياء للإمام الرازي يقول "إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون في زمان

---

[28] الإرشاد ص298-299 للجويني.

[29] أصول الدين ص 167-168 للبغدادي.

النبوة عن الكبائر والصغائر بالعمد"[30].

4- وفي كتاب الشفا بتعريف حقوق نبينا المصطفى للقاضي عياض يقول "والصواب أنهم معصومون قبل النبوة من الجهل بالله وصفاته والتشكك في شيء من ذلك وقد تعاضدت الأخبار والآثار عن الأنبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد والإيمان بل على إشراق أنوار المعارف ونفحات ألطاف السعادة كما نبهنا عليه في الباب الثاني من القسم الأول من كتابنا هذا ولم ينقل أحد من أهل الأخبار أن أحداً نبئ واصطفي ممن عرف بكفر وإشراك قبل ذلك"[31]،وقال "واعلم أن الأمة مجمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا في جسمه بأنواع الأذى ولا على خاطره بالوساوس"[32].

وقال: "وأجمعت الأمة فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه من الإخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصداً ولا عمداً ولا سهواً ولا غلطاً"[33].

5- وفي سراج السالك لعثمان بن حسنين المالكي يقول عند قول المؤلف:

" وأَثْبِتَنْ للأنبياء الأمانةْ   والصدقَ والتبليغ والفطانة"

ما نصّه: "والأمانة هي حفظ جوارحهم الظاهرة والباطنة من الوقوع في محرم أو مكروه مطلقاً، فالخيانة التي هي فعل منهي عنه مستحيلة في حقهم لعصمتهم"[34]

-6وفي متن ابن عاشر المسمى بالمرشد المعين لعبد الواحد بن عاشر المالكي يقول:

"يجب للرسل الكرام الصدق * امانةٌ تبليغهُم يحقُّ

محالٌ الكذب والمنهي *كعدم التبليغ يا ذكي"[35]

7- وفي شرح العقيدة الطحاوية لعبد الغني الغنيمي الحنفي يقول عن الأنبياء:

---

[30] عصمة الأنبياء ص28 للرازي.

[31] الشفا ج2 ص109 للقاضي عياض.

[32] الشفا ج2 ص117 للقاضي عياض، هكذا نص عبارته بإثبات كلمة "لا" في الموضعين، وبحذفها تكون العبارة أوضح.

[33] الشفا ج2 ص123.

[34] سراج السالك ص18 لعثمان بن حسنين.

[35] المرشد المعين ص8 لعبد الواحد بن عاشر.

"وبأنهم معصـــومون من الصـــغائر والكبائر قبل النبوة وبعدها على المختار بل هو الصـــواب وما وقع في قصـــــص يذكرها المفســــرون مما يخالف ذلك لا يعتمد عليه ولا يلتفت إليه وإن جلّ ناقلوه كالبغوي والواحدي"[36]

8- وفي شـــــرح الفقه الأكبر لملا علي القاري عند قول أبي حنيفة رحمه الله "والأنبياء عليهم الصــــلاة والســــلام كلهم منزهون عن الصـــغائر والكبائر والكفر والقبائح وقد كانت منهم زلات وخطيئات". "ثم هذه العصــمة ثابتة للأنبياء قبل النبوة وبعدها على الأصــح"[37] ثم قال: "ثم الزلة لا تخلو عن القران ببيان أنها زلة إما من الفاعل نفســـه كقول موســـى حين قتل القبطي بوكزته ﴿هذا من عمل الشـــيطان﴾ [القصص، الآية: 15]، وإما من الله سبحانه كما قال الله تعالى في حق آدم عليه السلام ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ [طه، الآية: 121] مع أنه قيل زلته كانت قبل نبوته لقوله تعالى ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾"[38] [طه، الآية: 122]

9- وقال الإمام محمد بن يوسف السنوسي في عقيدته: "وأما الرسل عليهم الصلاة والسلام فيجب في حقهم الصـدق والأمانة وتبليغ ما أُمروا بتبليغه للخلق ويسـتحيل في حقهم أضـداد هذه الصـفات وهي الكذب والخيانة بفعل شيء مما نهوا عنه نهي تحريم أو كراهة أو كتمان شيء ما أمروا بتبليغه للخلق"[39]

10- وفي متن الباجوري يقول "ويجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام الأمانة، وضدها الخيانة والدليل على ذلك أنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لكنا مأمورين بمثل ذلك ولا يصــــح أن نؤمر بمحرم أو مكروه"[40].

11-وفي الجوهرة للإمام إبراهيم اللقاني:

"وواجب في حقهم الأمانة * وصدقهم وضِف له الفطانة

ومثل ذا تبليغُهم لما أتَوا * ويستحيل ضدُها كما رَوَوا"[41]

---

[36] شرح العقيدة الطحاوية ص105 لعبد الغني الغنيمي.

[37] شرح الفقه الأكبر ص51 لملا علي القاري.

[38] شرح الفقه الأكبر ص52 لملا علي القاري.

[39] العقيدة السنوسية ص8 لمحمد بن يوسف السنوسي.

[40] متن الباجوري ص30 لإبراهيم الباجوري. (السنوسية ومتن الباجوري والجوهرة ضمن المجموع الكبير من المتون)

[41] متن الجوهرة ص17 لإبراهيم اللقاني.

12- وفي كتاب نخبة اللآلي لشرح بدء الأمالي لمحمد بن سليمان عند قول صاحب المتن:

"وإن الأنبيا لفي أمانٍ * عن العصيان عمداً وانعزالِ

يقول الشارح: العصيان إتيان الذنب عمداً والزلة إتيان الذنب سهواً والعاصي من أتى الكبائر عمداً طائعاً والمسيء من أتى الصغائر كذلك ما لم يصرّ عليها، والأنبياء عليهم السلام معصومون عن الكبائر بالاتفاق وعن الصغائر عمداً قبل النبوة وبعدها على الصحيح وكذا عن الانعزال أي الانخلاع عن النبوة لأنه يكون نقصا في حقهم وهم مبرؤون عنه"[42].

[42] نخبة اللآلي ص62 لمحمد بن سليمان.

الباب الثالث

التفسير

ويشتمل على مقدمة وأربعة فصول وخلاصة

مقدمة في شروط التفسير.

الفصل الأول في شروط المفسر.

الفصل الثاني في الاختلاف في التفسير.

الفصل الثالث في التفسير بالمأثور.

الفصل الرابع في التفسير بمقتضى اللغة.

خلاصة ما مضى.

مقدمة في شروط التفسير

"كتاب الله بحره عميق وفهمه دقيق لا يصل إلى فهمه إلّا من تبحر في العلوم وعامل الله بتقواه في السر والعلانية"[43]... [و] "لطالب التفسير مآخذ كثيرة أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو الطراز الأول لكن يجب الحذر من الضعيف فيه والموضوع فإنه كثير"[44].

"الثاني: الأخذ بقول الصحابي فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع الى النبي كما قاله الحاكم في تفسيره"[45].

"الثالث: الأخذ بمطلق اللغة فإن القرآن نزل بلسان عربي مبين"[46].

"الرابع: التفسير بالمقتضى من معنى الكلام والمقتضب من قوة الشرع وهذا هو الذي دعا به لابن عباس في قوله[47] "اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل"[48].

وعلى هذا قال بعض أهل الذوق: "للقرآن نزول وتنزل فالنزول قد مضى والتنزل باق إلى قيام الساعة"... ولا يجوز تفسير القرآن بمجرد الرأي والاجتهاد من غير أصل لقوله تعالى: ﴿ولا تَقْفُ ما ليس لك به علم﴾ [49]... وعليه حملوا قوله صلى الله عليه وسلم: "من قال في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار[50]"[51].

---

[43] البرهان ج2 ص170 للزركشي بدر الدين.

[44] البرهان ج2 ص173 للزركشي.

[45] البرهان ج2 ص174 للزركشي.

[46] البرهان ج2 ص177 للزركشي.

[47] صحيح مسلم ج16 ص37.

[48] البرهان ج2 ص 177للزركشي.

[49] البرهان ج2 ص178 للزركشي.

[50] رواه البيهقي من طرق من حديث ابن عباس

[51] البرهان ج2 ص178 للزركشي.

فصل في شروط المفسِّر

"اعلم أن من شرطه صحة الاعتقاد أولاً، ولزوم سُنّة الدين، فإن كان مغموصا عليه في دينه لا يؤتمن على الدنيا فكيف على الدين... ويجب أن يكون اعتماده على النقل عن النبي وعن أصحابه ومن عاصرهم، ويتجنب المحدثات"[52].

فصل في الاختلاف في التفسير

وهو "على نوعين منه ما مستنده النقل فقط ومنه ما يعلم بغير ذلك والمنقول إما عن المعصوم أو غيره، ومنه ما يمكن معرفة الصحيح منه من غيره، ومنه ما لا يمكن ذلك، وهذا القسم الذي لا يمكن معرفة صحيحه من ضعيفه، عامته مما لا فائدة فيه، ولا حاجة بنا الى معرفته، وذلك كاختلافهم في لون كلب أصحاب الكهف واسمه، وفي البعض الذي ضرب به القتيل من البقرة، وفي قدر سفينة نوح وخشبها، وفي اسم الغلام الذي قتله الخضر، ونحو ذلك، فهذه الأمور طريق العلم بها النقل، فما كان منه منقولاً نقلا صحيحاً عن النبي قُبِلَ، وما لا -بأن نقل عن أهل الكتاب ككعب ووهب- وقف عن تصديقه وتكذيبه لقوله عليه الصلاة والسلام "إذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم"[53].

فصل في التفسير بالمأثور

بعد أن بينا أن مآخذ التفسير أمهاتها أربعة نتكلم في هذا الفصل عن شروط المأخذ الأول والثاني أي التفسير بالمأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الصحابة.

- المأخذ الأول: النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وشرطه ثبوت ذلك عنه على الطريق المعروف عند المحدثين، بأن يكون متصل الإسناد بنقل العدل الضابط عن مثله من غير شذوذ ولا علة قادحة، كما قال العراقي في ألفيته في المصطلح:

" وأهل هذا الشأن قسّموا السُنَنْ * إلى صحيح وضعيف وحسنْ

فالأول المتصلُ الإسناد * بنقل عدل ضابط الفؤاد

---

[52] الإتقان للسيوطي ج2 ص176 "نقلا عن الطبري".

[53] الإتقان للسيوطي ج2 ص177.

عن مثله من غير ما شذوذِ * وعلّةٍ قادحةٍ فتُوذي"[54]

وكذلك قال البيقوني:

أولها الصحيح وهو ما اتصل * إسنادُهُ ولم يَشُذَّ أو يُعَل

يرويه عدل ضابط عن مثله *معتمد في ضبطه ونقله"[55]

وأما الحسن فهو ملحق بالصحيح في الحجية عند أكثر العلماء وإن كان نازلا عنه في الرتبة. وقد عرّفه الإمام أبو سليمان الخطابي بقوله: "الحسن ما عُرِفَ مخرجه، واشتهر رجاله، وعليه مدار أكثر الحديث، وهو الذي يقبله أكثر العلماء، ويستعمله عامة الفقهاء"[56].

تنبيه: إن كان الحديث يتعلق بأصول العقيدة كإثبات صفة لله لا يكتفي فيه بمجرد كونه صحيحا، بل هناك شروط أخرى على خلاف فيها، وذلك مقرر عند علماء العقيدة.

- المأخذ الثاني: الأخذ بقول الصحابي، ويشترط فيه ثبوت ذلك عنه، كما بينا في المأخذ الأول، ثم إن لم يكن فيه مجال للرأي والاجتهاد، يحكم له بالرفع الى النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فهو موقوف عليه، ولا يحكم له بالرفع مطلقاً كما قد يُتَوهم ذلك من كلام الحاكم، فقد نقل العراقي عنه، أنه قال في المستدرك: "ليعلم طالب العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل عند الشيخين حديث مسند" قال ابن الصلاح "إنما ذلك في تفسير يتعلق بسبب نزول آية يخبر به الصحابي، أو نحو ذلك... فأما تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على إضافة شيء إلى النبي فمعدودات في الموقوفات"[57].

مسألة مهمة: يضاف شرط آخر للحكم بالرفع على قول الصحابي، وهو أن لا يكون ممن عُرف عنه الأخذ عن أهل الكتاب فيما يحتمل ذلك.

---

[54] فتح المغيث ص13-14للعراقي عبد الرحيم.

[55] شرح الزرقاني على البيقونية ص99.

[56] فتح المغيث ص50 ومقدمة ابن الصلاح ص15.

[57] فتح المغيث ص76 للعراقي.

فصل في التفسير بمقتضى اللغة

وهو المأخذ الثالث من أصول مصادر التفسير، وهو يشمل النحو والصرف والمفردات اللغوية وعلوم البلاغة وغير ذلك، ونقتصر هنا على الكلام على مراعاة السياق لأن باقي علوم اللغة أمرها ظاهر وقد وقع كثير من المفسرين في أغلاط عديدة، بسبب إهمالهم لمراعاة السياق كما سنبين في قصة داود عليه الصلاة والسلام، وغيرها.

وممن تنبه لمراعاة السياق الإمام الرازي في كتابه عصمة الأنبياء، فإنه ذكر أنه لا يصح ما ذكره بعض المفسرين في شأن قصة داود وزوجة أوريا، "لأن قبل قوله تعالى ﴿وظن داود﴾ [ص، الآية: 24] من الممادح وما بعده وهو قوله تعالى ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض﴾ [ص، الآية: 26] من أجلّ الممادح، فلو توسطها ما يدل على أفحش المقابح، لجرى ذلك مجرى قول من يقول: "فلان عظيم الدرجة في الدين عليّ الرتبة في طاعة الله يقتل ويزني ويلوط وقد جعله الله تعالى خليفة لنفسه وصوبه في أحكامه وأمر أكابر الأنبياء بالاقتداء به"، فكما أن هذا الكلام لا يليق بعاقل، فكذا ههنا"[58]

خلاصة ما مضى

يتلخص مما مر أن لتفسير القرآن شروطاً منها:

1- أن لا يخالف ما ثبت عن رسول الله أو عن الصحابة مما له حكم الرفع.
2- أن يوافق اللغة العربية.
3- أن يناسب السياق.
4- أن لا يكون فيه مصادمة نص صريح ثابت ولا برهان عقلي قاطع.
5- أن لا يكون بمجرد الرأي من غير أصل.
6- أن لا يكون منقولاً عن أهل الكتاب فقط.

[58] عصمة الأنبياء ص99 للرازي بتصرف.

الباب الرابع

قصص القرآن

قصص القرآن

"القصة في اللغة تتبع الأثر يقال قصصت الشيء إذا تتبعت أثره شيئا بعد شيء، وترد بمعنى البيان والخبر، ولذا يقال: القصص: الأخبار المتتابعة"[59]

"أما القصة في المفهوم القرآني، فلها من الخصائص والسِمات العامة ما تتميز به عن القصص التي هي من وضع البشر"[60] قال الله تعالى: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾ [يوسف، الآية: 3].

ومن أهداف القصص القرآني:

1- الدعوة إلى الله تعالى للإيمان به واتباع رسوله.

2- "الدلالة على صدق رسوله وأن ما جاء به كلام الله ولا سيما الغيبية منها"[61].

3- " التثبيت وما أحوج الدعاة إليه، قال الله تعالى ﴿وكلاً نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبت به فؤادك﴾ [هود، الآية: 120] أي نقوي ونثبت الفؤاد، هو بما جرى للأنبياء عليهم السلام ولأتباعهم المؤمنين وما لقوا من مكذبيهم من الأذى، ففي هذا كله أسوة بهم، إذ المشاركة في الأمور الصعبة تهوّن ما يلقى الإنسان من الأذى"[62].

4- "العبرة وهي تستلزم:

أ- الحذر من الوقوع فيما وقع فيه المكذبون.

ب- استنباط الحِكم والأساليب الواردة في القصة.

ت- إقامة المجتمع المسلم"[63]

ونقتصر في هذا البحث على الكلام على قصص الأنبياء ودفع التهم التي ألصقت بهم فقد "قص الله تعالى في كتابه الكريم المنزل على خاتمهم وإمامهم محمد صلى الله عليه وسلم من نبأ أولئك الأنبياء ما أبان عن جليل قدرهم وسامي مكانتهم وشريف مواقفهم في الذبّ عن دين الله الحق، والصبر على ما لقوا من قومهم من أذى لا يصبر عليه ولا يطيقه إلا أولئك المرسلون

---

[59] الدعوة إلى الله ص145 د. عبد الرب آل نوّاب.

[60] الدعوة إلى الله ص145 د. عبد الرب آل نواب.

[61] الدعوة الى الله ص 158د. عبد الرب آل نواب بتصرف.

[62] الدعوة الى الله ص158 د. عبد الرب آل نواب بتصرف.

[63] الدعوة الى الله ص159 د. عبد الرب آل نواب بتصرف.

الصادقون"[64]

[64] عصمة الأنبياء ص14-15للرازي (من مقدمة المحقق).

الباب الخامس

الإسرائيليات

الإسرائيليات

تمهيد: نقلت كتب التفسير عن بني إسرائيل الكثير من الروايات، لا سيما فيما يتعلق بالأنبياء والأمم السابقة.

وقد تساهل بعض المفسرين بأن أودعوا تلك الروايات في كتبهم من غير تبيين لحقيقتها، بل جعلها البعض مفسرة لكثير من آيات القرآن الكريم وموضحة لمراد الله بها، وهذا خطأ جسيم.
ولا يغتر بجلالة ناقلي تلك الروايات كالبغوي، ولا بجلالة المنقول عنهم، وإن كان من الصحابة أو التابعين كوهب بن منبه وكعب وغيرهما، فإن الحق أحق أن يتبع، ونسبة تلك الفظائع إلى الأنبياء أعظم من أن تُرَدّ تلك الروايات، فكان الأجدر بالمفسرين تقديم تنزيه الأنبياء على قبول تلك الروايات مراعاة لقدر ناقليها.

أقسام تلك الروايات

وهي ثلاثة أقسام:

الأول: ما يعلم صحته من القرآن أو الحديث لموافقته لهما فنصدقه، ونستغني بهما عنه.
الثاني: ما يعلم بطلانه لمخالفته نصاً قرآنيا أو حديثياً ثابتاً أو قواعد الشرع أو البراهين العقلية القاطعة، فيرد قطعاً، ويحرم روايته من غير تبيين لحاله.
الثالث: ما لا نعلم صحته ولا بطلانه، فهذا نتوقف فيه، ولا يصح اعتباره بمنزلة الحديث الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد أخطأ من أنزل هذا القسم منزلة الحديث المفسِّر لكتاب الله تعالى، وقد وَهِم من جعل هذا القسم مشابها للعمل بالحديث الضعيف في الفضائل، فإن بين الأمرين فرقاً كبيراً، يعلمه من له أدنى ممارسة لعلم الحديث.

وخلاصة الأمر أنه لم يكن ينبغي للمفسرين أن يرووا تلك الإسرائيليات إلا إن رووها مع بيان حالها ليحذر منها، فإن النبي عليه الصلاة والسلام أغنانا عنها بما بيّنه للناس، قال تعالى ﴿لتبين للناس ما نزّل إليهم من ربهم﴾ [النحل، الآية: 44]

القسم الثاني

إبطال التهم الملصقة بالأنبياء المروية في بعض التفاسير

ويشتمل على:

1- دفع الشبه المتعلقة بقصة آدم عليه السلام.
2- وإبراهيم عليه السلام.
3- ولوط عليه السلام.
4- ويوسف عليه السلام.
5- وأيوب عليه السلام.
6- ويونس عليه السلام.
7- وداود عليه السلام.
8- وسليمان عليه السلام.
9- ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

دفع الشبه المتعلقة بآدم عليه السلام وهي قسمان

1- قال الله تعالى: ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ [البقرة، الآية: 35-37].

وقال تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى. فقلنا يا آدم أن هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك إن لا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى. فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخْصفان عليهما من ورق الجنة وعصى آدم ربه فغوى. ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾. [طه، الآية: 115-122].

2- وقال تعالى أيضا: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين. فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون﴾ [الأعراف، الآية: 189-190].

القسم الأول فيما يتعلق بالأكل من الشجرة

اختلفت أقاويل أهل التفسير في تعيين الشجرة التي حرمها الله على آدم، وكان الأولى بهم ترك الخوض في ذلك، إذ لم يرد في القرآن ولا في الحديث الصحيح تعيينها، ولا يتوقف على ذلك مصلحة دينية.

وأما حكم أكل آدم من الشجرة فقد ذكره الله تعالى بقوله: ﴿وعصى آدم ربه﴾ [طه، الآية: 121] فسماه معصية ولكن لا يليق جعلها كبيرة لأن الأنبياء لا يقعون في الكبائر كما بينا.

وقد ذكر بعض المفسرين في حق آدم ما لا يليق كما روى البغوي "عن سعيد ابن المسيّب أنه كان يحلف بالله ما أكل آدم من الشجرة وهو يعقل، ولكن حواء سقته الخمر حتى سكر قادته إليها فأكل"[65].

وفي زاد المسير لابن الجوزي روى "عن ابن عباس أنه قال وأمر الله تعالى جبريل بإخراج آدم فقبض على ناصيته وخلصه من الشجرة التي قبضت عليه فقال: أيها الملك ارفق بي، قال جبريل: إني لا أرفق بمن عصى الله، فارتعد آدم واضطرب وذهب كلامه، وجبريل يعاتبه في معصيته، ويعدّدُ نعم الله عليه"[66].

وفي هذا الكلام من البطلان ما لا يخفى، فإنه -فضلا عن كونه لم يرد في القرآن ولم يثبت في حديث صحيح-، مخالفٌ لما عليه الأئمة من أن الأنبياء لا يشربون الخمر المسكر، ولَيْتَ شعري هل يعتذر عن أكل آدم من الشجرة بأن يقال: كان سكران حينئذ؟

ومن المعلوم أن خمْرَ الجنة غير مسكر.

وأما ما قيل من خطاب جبريل له بذلك الكلام فهو ظاهر البطلان إذ انه لا يليق بأمين الوحي أن يخاطب النبي المكلم آدم عليه السلام بذلك الكلام، الذي لا يوجَّه عادة إلا إلى أشد الناس مجاهرة لله بالمعصية.

وقد اختلف العلماء في كون ذلك من آدم قبل النبوة أو بعدها، وممن اختار القول بكونها قبل النبوة الإمام الرازي في كتابه عصمة الأنبياء[67]. وضعّف ذلك الشيخ المحدث عبد الله الغماري حيث قال:

---

[65] تفسير البغوي ج1 ص64 للبغوي.

[66] زاد المسير ج1 ص68 لابن الجوزي.

[67] عصمة الأنبياء ص37 للرازي.

"وقيل أكل قبل النبوة وهذا ضـــعيف، لأن الله نبأه حين علمه الأسماء، وقيل: أكل ناســـياً بدليل قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزما﴾ [طه، الآية: 115]"[68].

ثم نقل عن القاضي أبي بكر بن العربي المعافري أن البارئ سبحانه بحُكمه النافذ وقضائه السابق أسلم آدم إلى المخالفة فوقع فيها متعمداً ناسياً فقيل في تعمده ﴿وعصى آدم ربه﴾ [طه، الآية: 121]. وقيل في بيان عذره ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنســـي﴾ [طه، الآية: 115] ونظيره أن يحلف الرجل لا يدخل داراً أبداً فيدخلها متعمداً ناســـياً ليمينه أو مخطئاً في تأويله فهو عامد ناسٍ"[69]. "وقيل بل أكلها متأولاً وهو لا يعلم أنها الشجرة التي نُهي عنها لأنه تأول نهي الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل إنما كانت التوبة من ترك التحفظ"[70].

والصواب أنه أخطأ بأكله من تلك الشجرة وكان ذلك منه معصية صغيرة ليس فيها خسة ثم تاب فقبل الله توبته كما قال تعالى ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ [البقرة، الآية: 37]. وقال تعالى ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه، الآية: 122].

"وأما إخراج آدم عليه السلام من الجنة فلا يدل على أنه كان على سبيل التنكيل والاستخفاف، وكيف والله تعالى إنما خلق آدم ليكون خليفة في الأرض"[71].

ومن هنا يعلم حرمة قول إن الله طرد آدم من الجنة لأن ذلك مشعر بنوع من الاستخفاف.

---

[68] قصة آدم ص47 عبد الله الغماري.

[69] قصة آدم ص48-49.

[70] الشفا ج2 ص162 للقاضي عياض.

[71] عصمة الأنبياء ص41 بتصرف.

القسم الثاني فيما يتعلق بقوله تعالى: ﴿فلما آتاها صالحا﴾

قال بعضهم: "ذكر أهل التفسير أن إبليس جاء حواء فقال ما يدريك ما في بطنك لعله كلب أو خنزير أو حمار وما يدريك من أين يخرج، أيشق بطنك أم يخرج من فيكِ أو من منخريك. فأحزنها ذلك، فدعوا الله حينئذ، فجاء إبليس فقال كيف تجدينك قالت ما أستطيع القيام إذا قعدت قال أفرأيت إن دعوت الله فجعله إنساناً مثلك ومثل آدم أتسمينه باسمي قالت نعم فلما ولدته سوياً، جاءها إبليس فقال لم لا تسمينه بي كما وعدتني فقالت وما اسمك قال الحارث وكان اسم إبليس في الملائكة الحارث، فسمته عبد الحارث وقيل عبد شمس، برضى آدم فذلك قوله: ﴿فلما آتاها صالحاً جعلا له شركاء﴾ [الأعراف، الآية: 190] والمراد بالشريك إبليس لأنهما أطاعاه في الاسم فكان الشرك في الطاعة لا في العبادة ولم يقصدا أن الحارث ربهما لكن قصدا انه سبب نجاة ولدهما وقد يطلق العبد على من ليس بمملوك..."
وقال مجاهد: "كان لا يعيش لآدم ولد فقال الشيطان إذا ولد لكما ولد فسمياه عبد الحارث فأطاعاه في الاسم فذلك قوله ﴿جعلا له شركاء فيما آتاهما﴾" [الأعراف، الآية: 190]"[72].
"وقيل كانت حواء تلد لآدم فيسميه عبد الله وعبيد الله وعبد الرحمن فيصيبهم الموت فأتاهما إبليس وقال إن سركما أن يعيش لكما ولد فسمياه عبد الحارث فولدت فسماه عبد الحارث فعاش، وجاء في الحديث خَدَعَهما إبليس مرتين مرة في الجنة ومرة في الأرض، وقال ابن زيد وُلد لآدم ولدٌ فسماه عبد الله فأتاهما ابليس فقال ما سميتما ابنكما قال عبد الله وكان قد ولد لهما قبل ذلك ولد فسمياه عبد الله فمات فقال ابليس أتظنان أن الله تارك عبده عندكما؟ والله ليذهبن به كما ذهب بالآخرين، ولكن أدلكما على اسم يبقى لكما ما بقيتما فسمياه عبد شمس"[73].
وفي تفسير الخازن روى "عن ابن عباس أنه قال لما ولد له أول ولد أتاه إبليس فقال إني سأنصح لك في شأن ولدك هذا تسميه عبد الحارث وكان اسمه في السماء الحارث فقال آدم أعوذ بالله من طاعتك إني أطعتك في أكل الشجرة فأخرجتني من الجنة فلن أطيعك فمات ولده ثم ولد له بعد ذلك ولدٌ آخر فقال أطعني وإلا مات كما مات الأول فعصاه فمات ولده فقال لا أزال اقتلهم حتى تسميه عبد الحارث فلم

---

[72] زاد المسير ج3 ص301-302-303 لابن الجوزي وذكر نحو ذلك الخازن في تفسيره ج2 ص158.
[73] زاد المسير ج2 ص221، وذُكر في تفسير الجلالين نحو ذلك باختصار ص231.

يزل به حتى سماه عبد الحارث"[74].

بيان فساد تلك الروايات

وقد اشتملت هذه الأقاويل على أوجه من الفساد ننبه عليها

1- لا يجوز على نبي من أنبياء الله أن يسمي ابنه بما فيه إشراك فإن هذه التسمية لو صدرت من أقل الناس إيماناً لكانت جرماً عظيماً من أشنع الأفعال فكيف يليق بنبي الله آدم؟

2- لا يخفى على حواء أن الذي في بطنها لا يصح أن يكون كلبا أو خنزيرا، فكيف يُتَوهم أن تصدقه؟ ثم لو كانت صدقته لنبهها زوجها نبي الله آدم الذي علمه الله الأسماء كلها.

3- لا يليق بنبي الله آدم عليه الصلاة والسلام أن يكون أطاع إبليس فسمّى ابنه كذلك لأن إبليس قال أتظنان أن الله تارك عبده عندكما؟ فإن أكثر الناس جهلاً يدرك بطلان هذا القول، فلا يجوز أن يصدقه آدم وقد قال الله فيه ﴿ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى﴾ [طه، الآية: 116]، فمن اجتباه الله وتاب عليه وهداه لا يقع في شرك الشيطان.

4- قيل: لم يسلط الله تعالى إبليس على نبي لا في جسده ولا في عقله ولا ولده فكيف يقال كان يقتل أبناء آدم عليه الصلاة والسلام.

5- ما ذكروه من الحوار بين آدم وإبليس وقولهم إنه قال أطعتك في الأكل من الشجرة فأخرجتني من الجنة ثم أطاعه على زعمهم طاعة لا يَليق صدورها من أدنى مؤمن فكيف بنبي مكلم؟

6- لو كان ما قالوه صحيحاً لذكر الله توبته فإنه لما ذكر أنه أكل من الشجرة ذكر توبته واجتبائه وهدايته في عدة مواضع من القرآن الكريم، وهذا يدل على فساد ما ذكروه حيث لم يجيء في القرآن الكريم ذكر توبته من هذا الفعل، بل جاء عقب ذلك قوله تعالى ﴿فتعالى الله عما يشركون﴾ [الأعراف، الآية: 190].

7- ما ذكروه لا يناسب السياق فإن الكلام قبل هاتين الآيتين في جدال المشركين وسؤالهم عن الساعة وبعدها كذلك، فلا يصح في مقام الاحتجاج على المشركين وإقامة الحجة عليهم ذكر أن نبي الله آدم وقع في الشرك بل لو كان كذلك لكان كالاعتذار عنهم بأن أباهم آدم أشرك فلا جرم أشركوا.

---

[74] تفسير الخازن ج2 ص158.

وبذلك تبين فساد تلك الروايات التي فيها حط من قدر الأنبياء وطعن في عصمتهم، أضف الى ذلك أنه لم يثبت حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم يؤيد ما قالوه.

ذكر بعض المفسرين في هاتين الآيتين أقوالا أخرى

1- فقيل "الضمير راجع الى الولد الصالح وهو السليم الخلق فالمعنى جعل له ذلك الولد شركاء، وانما قيل جعلا لأن حواء كانت تلد في كل بطن ذكراً وأنثى"[75] وهذا ضعيف لأنه لم يثبت أن أحداً من أولاد آدم لصلبه وقع في الشرك، ثم إن السياق لا يساعده.

2- "قال ابن الأنباري: الذين جعلوا له شركاء اليهود والنصارى وغيرهم من الكفار الذين هم أولاد آدم وحواء فتأويل الآية فلما آتاهما صالحاً جعل أولادهما له شركاء فحذف الأولاد وأقامهما مقامهم كما قال ﴿واسأل القرية﴾ [يوسف، الآية: 82]"[76].

3- قال النسفي: "أو يكون الخطاب لقريش الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي أي هو خلقكم من نفس واحدة "قصي" وجعل من جنسها زوجها "عربية قرشية" ليسكن إليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا أولادهما الأربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار، فالضمير في أيشركون لهما ولأعقابهما الذين اقتدوا بهما في الشرك"[77] وقد ذكر البيضاوي مثل ذلك[78] وليس في هذه التفاسير نسبة ما فيه غض من مرتبة النبوة، والتفسير الأخير أقربها لموافقة السياق الذي هو مقام مناظرة المشركين من قريش.

وقد رد الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي القول بأن آدم وحواء سميا ابنهما عبد الحارث ولو لم يكن شركاً فقال "قوله [أي قول البيضاوي] وأمثال ذلك لا يليق بالأنبياء فإن تسميته بعبد الحارث ولو لم يكن شركاً في الحقيقة لأن أسماء الأعلام لا تفيد معانيها اللغوية إلا أن اتباع آدم لأمر الشيطان

---

[75] زاد المسير ج3 ص303-304.

[76] زاد المسير ج3 ص304.

[77] تفسير النسفي ج2 ص159.

[78] تفسير البيضاوي ح2 ص289 (مع حاشية الشيخ زاده).

مع نبوته وعلمه الكثير المدلول عليه بقوله تعالى ﴿وعلم آدم الأسماء كلها﴾ [البقرة، الآية: 31] وتجاريبه الكثيرة التي حصلت له بسبب الزلة التي وقع فيها لأجل وسوسة الشيطان بعيد ممن جعله الله تعالى مسجود الملائكة وفضل عليهم لعلم ما لم تعلمه الملائكة فإنه مع كثرة علومه كيف لا يتنبه لأن اسم الشيطان هو الحارث وكيف سمى ولد نفسه بعبد الحارث؟ أفضاقت الأسماء عليه حتى أنه لم يجد سوى هذا الاسم؟ مع أنهم لا يُخْلون الأعلام المضافة عن الإيماء الى المعاني الأصلية وملاحظتها وهذا القدر من الحاجة كاف"[79].

[79] حاشية الشيخ زاده ج2 ص389.

دفع الشبه المتعلقة بقصة إبراهيم عليه السلام

وهي ثلاثة أقسام

1- قال الله تعالى: ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين. فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما أشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء إن ربك حكيم عليم﴾. [الأنعام، الآية: 75-83].

2- وقال تعالى: ﴿ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين. إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل التي أنتم لها عاكفون. قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين. قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم في ضلال مبين قالوا أجئتنا بالحق أم أنت من اللاعبين. قال بل ربكم رب السموات والأرض الذي فطرهن وأنا على ذلكم من الشاهدين. وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين. فجعلهم جذاذاً إلا كبيراً لهم لعلهم إليه يرجعون قالوا من فعل هذا بآلهتنا إنه لمن الظالمين. قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم. قالوا فائتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون. قالوا أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم. قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء، الآية: 51-63].

وقال تعالى: ﴿وإن من شيعته لإبراهيم إذ جاء ربه بقلب سليم. إذ قال لأبيه وقومه ماذا تعبدون أئفكاً آلهة دون الله تريدون. فما ظنكم برب العالمين. فنظر نظرة في النجوم. فقال إني سقيم. فتولوا عنه مدبرين﴾. [الصافات، الآية: 83-90].

3- وقال تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي. قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم﴾ [البقرة، الآية: 260].

القسم الأول فيما يتعلق بقوله ﴿هذا ربي﴾

قال الله تعالى: ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم اني بريء مما تشركون﴾. [الأنعام، الآية: 76-77-78].

أورد بعض المفسرين في تفسير هذه الآيات أقوالاً غير مرضية فأجراه بعضهم على الظاهر وقالوا:

1- كان إبراهيم مسترشداً طالباً للتوحيد حتى وفقه الله"[80]، وقيل عبد الكوكب حتى غاب وعبد القمر حتى غاب وعبد الشمس حتى غابت واحتج أرباب هذا القول بقوله ﴿لئن لم يهدني ربي﴾ [الأنعام، الآية: 77] وهذا يدل على نوع تحيُّر. قالوا وإنما قال هذا في طفولته على ما سبق الى وهمه قبل أن يثبت عنده دليل[81].

2- وقيل إنه قال ذلك استدراجاً للحجة ليعيب آلهتهم ويريهم بغضها عند أفولها ولا بد أن يضمر في نفسه إما على زعمهم أو فيما تظنون... وإما أن يضمر يقولون[82].

3- وقيل إنه قاله على وجه الاستفهام تقديره "أهذا ربي" كقوله تعالى ﴿أفإن مت فهم الخالدون﴾ [الأنبياء، الآية: 34] أي "أفَهُمُ الخالدون"، وذكره على وجه التوبيخ منكراً لفعلهم يعني "أمثل هذا يكون رباً؟"[83].

4- وقيل: أي قال لهم هذا ربي في زعمكم أو المراد "أهذا؟" استهزاء بهم وانكاراً عليهم والعرب تكتفي عن حرف الاستفهام بنغمة الصوت"[84].

5- وقيل قوله هذا ربي على سبيل الوضع فإن المستدل على فساد قول يحكيه على ما يقوله الخصم ثم يكرُّ عليه بالإفساد"[85].

---

[80] تفسير البغوي ج2 ص110.

[81] زاد المسير ج3 ص74.

[82] زاد المسير ج3 ص74.

[83] ؟ تفسير البغوي ج2 ص110.

[84] تفسير النسفي ج2 ص27-28.

[85] تفسير البيضاوي ج2 ص281 (مطبوع مع حاشية الشيخ زاده).

ولا يخفى أن القول بإجرائه على الظاهر وانه عبد الكوكب ثم القمر ثم الشمس، قول مردود باطل، لِما عُلِم من عصمة الأنبياء من الشرك قبل النبوة وبعدها كما قدّمنا. وقد ردّ كثير من العلماء والمفسرين هذا القول.

-1فقد قال الخازن: "وهذا القول ليس بسديد ولا مرضي لأن الأنبياء معصومون في كل حالٍ من الأحوال، وإنه لا يجوز أن يكون لله عز وجل رسول يأتي عليه وقت من الأوقات إلا وهو عارف بالله وله موحد وله من كل منقصة منزه ومن كل معبود سواه بريء، وكيف يتوهم هذا على ابراهيم وقد عصمه الله وطهره وآتاه رشده من قبل وأراه ملكوت السموات والأرض"[86].

-2وقال ابن الجوزي: "فأما قوله ﴿لئن لم يهدني ربي﴾ فما زال الأنبياء يسألون الهدى ويتضرعون في دفع الضلال عنهم كقوله ﴿واجْنُبْني وبنيّ أن نعبد الأصنام﴾ [إبراهيم، الآية: 35]"[87].

ومما يؤيد هذا القول أن المؤمنين ومنهم سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام يقرؤون كل يوم وليلة في الصلوات ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾ [الفاتحة، الآية: 6] فلم يلزم من ذلك نفي الهداية عنهم حالة الدعاء ولا قبلها.

فتبين أن تفسير قوله ﴿هذا ربي﴾ [الأنعام، الآية: 76-77-78] على ظاهره "لا يرتضى فإن المتأهلين للنبوة محفوظون من مثل هذا على كل حال"[88] "ولا يجوز الكفر على الأنبياء بالإجماع"[89].

وأرجح الأقوال في ذلك أنه قاله على تقدير الاستفهام توبيخاً لهم، ومن خالف فنسب إليه الكفر فقد أبْعَدَ وغفل عن سياق الآيات فإن الله تعالى ذكر قبل هذه الآيات أنه أنكر على أبيه وقومه اتخاذ الأصنام آلهة [الأنعام، الآية: 74]، أفتراه بعد ذلك يعبد كوكباً، كما أن الله تعالى ذكر قبل هذه الآيات قوله ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ [الأنعام، الآية: 75]. فمن أراه الله ملكوت السموات والأرض ليكون من الموقنين لا يليق به أن يقع في الشرك، والله تعالى لم يقل "ليكون من المشركين"، ثم إن الله تعالى ذكر بعد ذلك قوله ﴿وتلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه﴾ [الأنعام، الآية: 83] فلا يليق أن تكون الحجة اعترافه بألوهية الكوكب والقمر والشمس، لأن الله تعالى

[86] تفسير الخازن ح2 ص29.

[87] زاد المسير ج3 ص74.

[88] زاد المسير ج3 ص74 بتصرف.

[89] حاشية الشيخ زاده ج2 ص281.

ذكر الحجة في معرض الامتنان والتمدح وأضافها إلى نفسه فبان بذلك وجه الصواب.

القسم الثاني

فيما يتعلق بثلاث كذبات المذكورة في الحديث

وقال نبينا عليه الصلاة والسلام "لم يكذب إبراهيم النبي عليه السلام قط إلا ثلاث كذبات اثنتين في ذات الله قوله إني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فإنه قدم أرض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها إن هذا الجبار إن يعلم أنك امرأتي يغلبني عليك فإن سألك فأخبريه أنك أختي فانك أختي في الإسلام فإني لا أعلم في الأرض مسلماً غيري وغيرك"[90].

قال النووي: "معناه أن الكذبات المذكورة إنما هي بالنسبة إلى فهم المخاطب والسامع وأما في نفس الأمر فليست كذباً مذموماً" ثم ذكر أوجهاً من التأويل[91].

وقال القاضي عياض: "وأما قصة كلمات إبراهيم المذكورة أنها كذباته الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله "إني سقيم"، [و] "بل فعله كبيرهم هذا" وقوله للملك عن زوجته إنها اختي، فاعلم أكرمك الله أن هذه كلها خارجة عن الكذب لا في القصد ولا في غيره وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة[92] عن الكذب"[93].

الأولى

أما قوله تعالى: ﴿قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون﴾ [الأنبياء، الآية: 63].

فقد قال البغوي في تفسيره: "أراد بذلك إبراهيم إقامة الحجة عليهم" ثم قال "قال القتبي معناه بل فعله كبيرهم إن كانوا ينطقون على سبيل الشرط، فجعل النطق شرطاً للفعل، أي إن قدروا على النطق قدروا على الفعل"[94] وذكر نحو ذلك الخازن في تفسيره[95] والنووي في شرح صحيح مسلم[96] وذكر ابن الجوزي

---

[90] صحيح مسلم بشرح النووي ج15 ص123-124.

[91] صحيح مسلم بشرح النووي ج15 ص124-125.

[92] مندوحة أي سَعَة وفُسحة، المصباح المنير ص 597.

[93] الشفا ج2 ص140.

[94] تفسير البغوي ج3 ص249.

[95] تفسير الخازن ج3 ص263.

[96] صحيح مسلم بشرح النووي ج15 ص125.

قول القتبي[97].

وقال القاضي عياض: "علّق خبره بشرط نطقه كأنه قال إن كان ينطق فهو فعله على طريقة التبْكيت لقومه"[98].

وقال البيضاوي: "أسند الفعل إليه تجوزاً لأن غيظه لما رأى من زيادة تعظيمهم له تسبّب لمباشرته إياه، أو تقريراً لنفسه مع الاستهزاء والتبكيت على أسلوب تعريضي كما لو قال لك من لا يحسن الخط فيما كتَبْتَه بخط رشيق: أنت كتبته؟ فقلتَ بل كتبتَه [أنت]"[99].

الثانية

قال الله تعالى: ﴿فنظر نظرة في النجوم فقال إني سقيم﴾ [الصافات، الآية: 88-89]. ذكر المفسرون أقوالاً في المراد بقوله سقيم فقيل: "مريض"[100] أو "مشارف للسقم [لئلا يخرجوه إلى معبدهم] وقيل سقيم النفس لكفركم كما تقول أنا مريض القلب من كذا"[101]. "وقيل معناه سأسقم وقيل بل كانت الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته"[102].

الثالثة

قوله عن زوجته "إنها اختي" مرّ بيان المراد به في الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وقد ذكرناه آنفا.

وبذلك تبين براءةُ نبي الله إبراهيم من الوقوع في الكذب الحقيقي.

---

[97] زاد المسير ج5 ص360.

[98] الشفا ج2 ص141.

[99] تفسير البيضاوي ج3 ص355 (مع حاشية الشيخ زاده).

[100] تفسير البغوي ج4 ص31.

[101] تفسير النسفي ج4 ص20 بتصرف.

[102] الشفا ج2 ص140-141 بتصرف.

القسم الثالث

فيما يتعلق بقوله: ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾

قال الله تعالى: ﴿وإذ قال إبراهيم رَبِّ أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ [البقرة، الآية: 260].

وقال رسول الله عليه الصلاة والسلام "نحن أحق بالشك من إبراهيم صلى الله عليه وسلم إذ قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي"[103].

اختلف المفسرون في سبب طلبه عليه الصلاة والسلام، فذكروا عدة أقاويل لا نضطر الى ذكرها إذ لا يتوقف فهم المقصود عليها.

وليعلم أنه يجب تنزيه نبي الله إبراهيم عليه السلام عما قد يتوهمه بعض أصحاب الأذهان الفاسدة من الشك في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، ومما يثبت ذلك قوله "بلى" لأن الإيمان لا يخالطه شك، ويدل على ذلك أيضاً "أنه قال ﴿رب أرني كيف تحيي الموتى﴾ [البقرة، الآية: 260] وما قال هل تحيي الموتى؟ أو هل تستطيع إحياء الموتى"[104].

وأما قوله ليطمئن قلبي "[فقيل] ليزداد قلبي يقينا [وقيل] ليطمئن قلبه بالنظر"[105] "وقيل ليسكن قلبي إلى المعاينة والمشاهدة [أي] أراد أن يصير له علمُ اليقين عينَ اليقين لأن الخبر ليس كالمعاينة"[106].

وقال النسفي "معناه بلى آمنت ولكن لأزيد سكوناً وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الأدلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة"[107].

وقد قال الخازن " لم يكن إبراهيم عليه السلام شاكاً في إحياء الله الموتى... ولكنه أحب أن يرى ذلك عياناً كما أن المؤمنين يحبون أن يروا نبيهم محمداً صلى الله عليه وسلم ويحبون رؤية الله في الجنة ويطلبونها ويسألونه في دعائهم مع الإيمان بصحة ذلك وزوال الشك عنهم"[108].

وأما الحديث فقد قال النووي نقلا عن بعضهم "أنه لما نزل قول الله تعالى أولم تؤمن قالت طائفة شك

---

[103] صحيح مسلم بشرح النووي ج2 ص183.

[104] زاد المسير ج1 ص313.

[105] زاد المسير ج1 ص313.

[106] تفسير البغوي ج1 ص247 وتفسير الخازن ج1 ص191.

[107] تفسير النسفي ج1 ص191.

[108] تفسير الخازن ج1 ص191.

إبراهيم ولم يشك نبينا فقال النبي نحن أحق بالشك منه... قال ويقع لي منه معنيان أحدهما أنه خرج مخرج العادة في الخطاب فإن من أراد المدافعة عن انســـان قال للمتكلم فيه ما كنت قائلا لفلان أو فاعلا معه من مكروه فقله لي وافعله معي ومقصــوده لا تقل ذلك فيه، والثاني أن معناه أن هذا الذي تظنونه شــكاً أنا أولى به فإنه ليس بشـــك وإنما هو طلب لمزيد اليقين"[109] وقيل "إنما شـــكا في انه هل يجيبهما إلى ما سـألا وقال أبو سـليمان الخطابي ليس في قوله نحن أحق بالشـك من إبراهيم اعتراف بالشـك على نفسـه ولا على إبراهيم لكن فيه نفي الشـــك عنهما بقول اذا لم أشـــك أنا في قدرة الله تعالى على إحياء الموتى فإن إبراهيم أولى بأن لا يشـــك وقال ذلك على ســبيل التواضــع والهضــم من النفس"[110] فوضــح وجه الصواب بذلك.

---

[109] صحيح مسلم بشرح النووي ج2 ص183.

[110] تفسير البغوي ج1 ص248.

دفع الشبه المتعلقة بقصة لوط عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿ولما جاءت رسلنا لوطاً سيء بهم وضاق بهم ذرعاً وقال هذا يوم عصيب. وجاءه قومه يُهرعون إليه ومن قبل كانوا يعملون السيئات قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم فاتقوا الله ولا تخزون في ضيفي أليس منكم رجل رشيد. قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وإنك لتعلم ما نريد. قال لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود، الآية: 77-80].

وقال تعالى: ﴿وقضينا إليه ذلك الأمرَ أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين. وجاء أهل المدينة يستبشرون. قال إن هؤلاء ضيفي فلا تفضحون. واتقوا الله ولا تخزون. قالوا أولم ننهك عن العالمين. قال هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ [الحجر، الآية: 66-71].

قال الله تعالى إخباراً عن نبيه لوط ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي هن أطهر لكم﴾ [هود، الآية: 78] وقوله ﴿هؤلاء بناتي إن كنتم فاعلين﴾ [الحجر، الآية: 71].

"قيل عرّض بالفاحشة مع بناته"[111].

والجواب أنه لم يعرّض بالفاحشة فإن الزنا لا يقال عنه أطهر وقد اختُلف في المراد بقوله بناتي "فقيل بناته لصلبه والمراد أزوجكم بشرط أن تسلموا وقيل لأن زواج الكافر بالمسلمة لم يكن حراماً وقيل أراد ببناته نساءهم وأضافهن إلى نفسه لأن النبي بمنزلة الوالد لأمته"[112] وقيل "إن لوطاً قال ذلك على سبيل الدفع لقومه لا على سبيل التحقيق"[113].

فإن قلت فما هو الراجح من هذه الأقوال فالجواب ما قاله الخازن بعد أن قال "لأن كل نبي أبو أمته وهو كالوالد لهم وهذا القول هو الصحيح وأشبه بالصواب إن شاء الله تعالى والدليل عليه أن بنات لوط كانتا اثنتين وليستا بكافيتين للجماعة وليس من المروءة أن يعرض الرجل بناته على أعدائه ليزوجهن إياهم فكيف يليق ذلك بمنصب الأنبياء"[114].

---

[111] عصمة الأنبياء ص116.

[112] تفسير البغوي ج2 ص395/ ج3 ص55* زاد المسير ج4 ص137-138* تفسير الخازن ج3 ص100/ ج2 ص342.

[113] تفسير الخازن ج2 ص343* تفسير البغوي ج2 ص395.

[114] تفسير الخازن ج2 ص342.

دفع الشبه المتعلقة بقصة يوسف عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب وقالت هيت لك قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي إنه لا يفلح الظالمون. ولقد همّت به وهمّ بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين. واستبقا الباب وقدّت قميصه من دُبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءاً إلا أن يسجن أو عذاب أليم. قال هي راودتني عن نفسي وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قُد من قُبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قُد من دُبر فكذبت وهو من الصادقين. فلما رأى قميصه قُد من دُبر قال إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين. وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا إنا لنراها في ضلال مبين. فلما سمعت بمكرهن أرسلت إليهن وأعتدت لهن متكئاً وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم. قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم. ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكوناً من الصاغرين. قال رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه وإلا تصرف عني كيدهن أصب اليهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم﴾ [يوسف، الآية: 23-34].

﴿وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع إلى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن إن ربي بكيدهن عليم. قال ما خطبكن إذ راودتُنّ يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي إن ربي غفور رحيم﴾ [يوسف، الآية: 50-53].

قال الله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾ [يوسف، الآية: 24].

اختلفت الأقاويل في تفسير قصة يوسف عليه الصلاة والسلام وخبط كثير من الناس خبط عشواء فيها وقد قال ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء: "وأكثر أقوال المفسرين ههنا متلقى من كتب أهل الكتاب فالإعراض عنه أولى بنا، والذي يجب أن يعتقد أن الله تعالى عصمه وبرّأه ونزهه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها ولهذا قال تعالى ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين﴾ [يوسف،

الآية: 24] [قصص الأنبياء ص239 لابن كثير].

ونورد الآن خلاصـــة اختلافهم في تفســير ﴿وهمّ بها﴾ بعد اتفاقهم على أن هم زليخا دعوتها له إلى نفسها.

1- فقيل "كان من جنس همِّها فلولا أن الله عَصَمَهُ لَفَعَلَ"[115].

2- وقيل "هم بها أي تمناها أن تكون له زوجه"[116].

3- وقيل "إن في الكلام تقديما وتأخيراً تقديره ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهمّ بها"[117].

4- وقيل "هم أن يضربها ويدفعها عن نفسه"[118].

5- وقيل "همّ بالفرار منها، حكاه الثعلبي وهو قول مرذول، أفتراه اراد الفرار منها فلما رأى البرهان أقام عندها"[119].

6- وقيل "حلّ الهميان[120] وجلس منها مجلس الخائن، وهو مروي عن ابن عباس"[121].

7- رُوي عن مجاهد أنه قال "حل سراويله وجعل يعالج ثيابه"[122].

8- وقيل "جرى الشيطان فيما بينهما فضرب بإحدى يديه إلى جيد يوسف وباليد الأخرى الى جيد المرأة حتى جمع بينهما" وهو مروي عن الضحاك[123].

9- وقيل "جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه إلى نفسها حتى لان لها لما يرى من كلفها وهم بها ثم إن الله تعالى تدارك عبده ونبيه بالبرهان"[124].

10- وقيل "فُسِرَ هم يوسف بأنه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الأربع وهي مستلقية على

---

[115] زاد المسير ج4 ص203.

[116] زاد المسير ج4 ص205.

[117] زاد المسير ج4 ص205.

[118] زاد المسير ج4 ص205.

[119] زاد المسير ج4 ص207.

[120] الهِميان: كيس يجعل فيه النفقة ويشد على الوسط، المصباح المنير ص641.

[121] تفسير الخازن ج3 ص12، تفسير البغوي ج2 ص418.

[122] تفسير الخازن ج3 ص12، تفسير البغوي ج2 ص418.

[123] تفسير الخازن ج3 ص12، تفسير البغوي ج2 ص418.

[124] تفسير الخازن ج3 ص12، تفسير البغوي ج2 ص418.

قفاها"[125].

11- وقيل "المراد بهمه عليه السلام ميل الطبع ومنازعة الشهوة لا القصد الاختياري"[126].

12- وقيل "إن القدر الذي فعله يوسف عليه السلام من الصغائر"[127].

وقد اختلفت أقاويلهم أيضا في البرهان الذي رآه.

1- فقيل "رأى صـورة أبيه يعقوب في وسـط البيت عاضـاً على أنامله فأدبر هارباً وقيل رأى مثال أبيه في الحائط عاضاً على شفتيه وقيل غير ذلك"[128].

2- وقيل "مثل له يعقوب فلم يزدجر حتى ركضه جبريل في ظهره فوثب"[129].

3- وقيل "قامت إلى صنم في زاوية البيت فسترته بثوب استحياء منه فاستحيي من الله"[130].

4- وقيل " إن الله بعث إليه ملكاً فكتب في وجه المرأة بالدم ﴿ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشـة وسـاء سـبيلا﴾ [الإسـراء، الآية: 32] وقيل رأى هذه الآية مكتوبة بين عينيها وقيل رآها مكتوبة في الحائط"[131].

5- وقيل "إنه العزيز دنا من الباب وقيل خيال سيده رآه عند الباب فهرب"[132].

6- وقيل "إن البرهان أنه علم ما أحل الله مما حرم فرأى تحريم الزنا وقال ابن قتيبة رأى حجة الله عليه"[133].

7- وقيل "لما حلَّ سـراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فإذا بكف قد بدت بينهما بلا معصـم ولا عضـد مكتوب عليه ﴿وإن عليكم لحافظين كراما كاتبين﴾ [الانفطار، الآية: 10-11]، ثم عاد فعادت مكتوبا عليها آية أخرى ثم عاد فعادت عليها آية أخرى

---

[125] تفسير النسفي ج3 ص12.

[126] تفسير البيضاوي ج3 ص80 (مع حاشية الشيخ زاده).

[127] تفسير البغوي ج2 ص419.

[128] زاد المسير ج4 ص208 بتصرف.

[129] زاد المسير ج4 ص208 بتصرف.

[130] زاد المسير ج4 ص208 بتصرف.

[131] زاد المسير ج4 ص208-209 بتصرف.

[132] زاد المسير ج4 ص209 بتصرف.

[133] زاد المسير ج4 ص209 بتصرف.

الخ"[134].

8- وقيل "البرهان النبوة التي أودعها الله في صدره حالت بينه وبين ما يسخط الله عز وجل"[135].

9- وقيل "قصدت مخالطته وقصد مخالطتها"[136].

10- وقيل "قصدت منه الجماع ﴿وهمّ بها﴾ قصد ذلك"[137].

ويكفي في دحض ما نسبوه إلى نبي الله يوسف عليه السلام من التهم الباطلة، ما ذكرناه في عصمة الأنبياء من الآيات وأقوال الأئمة.

وأما فيما يخص قصة نبي الله يوسف مع زليخا:

1- فقد برأه الله تعالى بقوله: ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين﴾ [يوسف، الآية: 24].

2- وهو نفسه قال ﴿معاذ الله﴾ فكيف يقع فيما قالوه بعد أن استعاذ بالله ثم ولى مدبراً واستبقا الباب فقدت قميصه من دُبر فقال ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ [يوسف، الآية: 26] فبرأ نفسه ولم يكن ليقع في الكذب لدفع التهمة عن نفسه وهو نبي معصوم.

3- وشهد شاهد من أهلها ببراءته فقال: ﴿إن كان قميصه قدّ من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين﴾ [يوسف، الآية: 26-27].

4- وقال العزيز ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾ [يوسف، الآية: 29]. ولو كان ثبت عنده ما اتهم به يوسف عليه الصلاة والسلام لعاقبه أو قال له استغفر لذنبك كما قال لامرأته لكنه لم يفعل.

5- ثم هي نفسها اعترفت فيما بعد بقولها ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين﴾ [يوسف، الآية: 51].

---

[134] تفسير البغوي ج2 ص420 بتصرف.

[135] تفسير البغوي ج2 ص420.

[136] تفسير البيضاوي ج3 ص80.

[137] تفسير الجلالين ص312.

ولو كان يوسف عليه الصلاة والسلام وقع في فعل محرم أو قاربه لتراجع وندم واستغفر، ولَذَكَر الله لنا توبته كما ذكر لنا في حق غيره من الأنبياء كآدم. فلمّا لم يذكر الله ما يُشعر بذلك علمنا بطلان ما نسب اليه مما لا يليق بمنصبه.

وقد نقل الرازي عن القاضي أبي طاهر الطوسي أنه قال:

"شهد ببراءة يوسف من الذنب كل من له تعلق بتلك الواقعة من زوج وحاكم ونسوة ومَلِك وادعى يوسف ذلك واعترف له خصمه بصدق ما قاله مرتين، وشهد بذلك رب العالمين الذي هو أصدق القائلين واعترف إبليس فكيف يلتفت إلى قول هؤلاء الحشوية؟ أما شهادة الزوج فقوله: ﴿إنه من كيدكن إن كيدكن عظيم يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾" [يوسف، الآية: 28-29].

وأما شهادة الحاكم فقوله ﴿وشهد شاهد من أهلها إن كان قميصه قد من قبل﴾ [يوسف، الآية: 26] وأما شهادة النسوة فقولهن ﴿حاش لله ما علمنا عليه من سوء﴾ [يوسف، الآية: 51] وأما شهادة الملك فقوله ﴿إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ [يوسف، الآية: 54] وأما دعاء يوسف عليه السلام ذلك فقوله ﴿هي راودتني عن نفسي﴾ [يوسف، الآية: 26] وقوله ﴿رب السجن أحب إلي مما يدعونني إليه﴾ [يوسف، الآية: 33] وقوله ﴿ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب﴾ [يوسف، الآية: 52].

وأما اعتراف الخصم فقولها للنسوة ﴿ولقد راودته عن نفسه فاستعصم﴾ [يوسف، الآية: 32] وقولها ﴿الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه﴾ [يوسف، الآية: 51].

وأما شهادة رب العالمين فقوله ﴿كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء﴾ [يوسف، الآية: 24].

وأما اعتراف إبليس بذلك فقوله تعالى حكاية عنه ﴿لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾ [ص، الآية: 82-83] فبين أنه يغوي الكل إلا المخلصين، ويوسف من المخلصين لقوله تعالى: ﴿إنه من عبادنا المخلصين﴾، فأية شبهة تبقى مع هذه الشهادات في براءة يوسف عن الذنوب.

ثم قال القاضي: "وهؤلاء الطاعنون في يوسف إن كانوا من حزب الله فليقبلوا قوله وإن كانوا من حزب الشيطان فيجب أن لا يتركوا قوله ﴿لأغوينهم اجمعين إلا عبادك منهم المخلصين﴾" [ص، الآية: 82-83][138].

---

[138] عصمة الأنبياء ص75-76.

فإن قلت فما وجه الصواب في تفسير قوله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه﴾؟

فالجواب أن الصواب هو القول الثالث أو الرابع من الأقوال التي ذكرناها في تفسير الهم.

القول الأول منهما: "إن في الكلام تقديما وتأخيرا، تقديره "ولقد همت به ولولا أن رأى برهان ربه لهم بها فقدم جواب لولا عليها كما يقال قد كنت من الهالكين لولا أن فلاناً خلصـــك"[139] "وإلى هذا القول ذهب قطرب، وأنكره قوم منهم ابن الأنباري وقالوا تقديم جواب لولا عليها شـــاذ مســـتكره لا يوجد في فصيح كلام العرب"[140].

وممن أنكره أيضـــا النســـفي فإنه قال "جواب لولا لا يتقدم عليها لأنه في حكم الشـــرط وله صـــدر الكلام"[141] وكذلك البيضاوي في تفسيره[142].

وقد اشترط بعضهم لجواز تقديم جواب لولا عليها أن يقترن باللام منهم الزجّاج كما ذكر الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضـاوي ثم رده بقوله "متى كان جواب "لو" و "لولا" مثبتاً جاز فيه الأمران اللام وعدمها وإن كان الإتيان باللام هو الأكثر"[143].

وقد أجاد الإمام الرازي في إثبات جواز التقديم واحتج بقوله تعالى ﴿إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها﴾ [القصص، الآية: 10] ثم قال وايضـا فلو لم يجعل التقديم على لولا جوابا لها لكان جوابها محذوفاً، وإذا دار الأمر بين أن يكون جواباً محذوفاً وبين أن يكون متقدما عليها لا شـــك أن التقديم أولى"[144].

والقول الثاني أنه همّ أن يضـربها ويدفعها عن نفســه فكان البرهان الذي رآه من ربه أن الله أعلمه أنه إن ضربها كانت اتخذت ذلك حجة عليه فقالت راودني فمنعتُه فضربني.

وبهذا تنتفي عنه عليه الصلاة والسلام تلك الأباطيل.

---

[139] زاد المسير ج4 ص205.

[140] زاد المسير ج4 ص206.

[141] تفسير النسفي ج3 ص12.

[142] تفسير البيضاوي ج3 ص80 (مع حاشية الشيخ زاده).

[143] حاشية الشيخ زاده ج3 ص80.

[144] عصمة الأنبياء ص79.

دفع الشبه المتعلقة بقصة أيوب عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب. اركض برجلك هذا مغتســل بارد وشــراب. ووهبنا له أهله ومثلهم معهم رحمة منا وذكرى لأولي الألباب. وخذ بيدك ضــغثاً فاضرب به ولا تحنث إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب﴾ [ص، الآية: 41-44].

قال الله تعالى: ﴿واذكر عبدنا أيوب إذ نادى ربه أني مسني الشيطان بنصب وعذاب﴾ [ص، الآية: 41].

ذكر المفسرون أقوالا في سبب بلاء أيوب عليه الصلاة والسلام فقال النسفي: "ذُكر في سبب بلائه أنه ذبح شاة فأكلها وجاره جائع أو رأى منكراً فسكت عنه أو ابتلاه الله لرفع الدرجات بلا زله سبقت منه" [تفسير النسفي ج4 ص43].

وأما قصة البلاء فقد ذكر في تفسير الخازن قصة مفتراة من الإسرائيليات لا يخفى شأنها على مؤمن وحاصلها يتضمن "القول بأن إبليس قد طلب من الله أن يسلطه على مال أيوب فسلطه ثم على أهله فسلطه حتى شق بطونهم فتناثرت أمعاؤهم، وأخبر أيوب بذلك فرق قلبه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه وقال يا ليت أمي لم تلدني ثم استغفر. ثم طلب إبليس من الله أن يسلطه على جسده فأتاه وهو ساجد فنفخ في منخريه نفخة اشتعل منها جسده فخرج من قرنه الى قدميه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة فحك بأظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم حكها بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحك حتى قرح لحمة وتقطع وتغير وأنتن فأخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة لهم وجعلوا له عريشة ورفضه خلق الله كلهم غير امرأته الى أن ذكر أنه قال ليتني إذ كرهتني لم تخلقني وأنه نودي يا أيوب ها أنا قد دنوت منك ولم أزل منك قريباً قم فأدلِ بعذرك وقم مقام جبار يخاصم جباراً..."[145] الى غير ذلك من السفاهات التي ينبغي أن تصان كتب التفسير عن روايتها والتلطيخ بذكرها.

وقد ذكر هذه الراوية أيضا البغوي في تفسيره [تفسير البغوي ج3 ص256-257]، وذكرت أيضاً في حاشية الشيخ زاده[146] باختصار وذكر ابن كثير القول بأنه مرض مرضاً حتى عافه الجليس وألقى على مزبلة[147] "ونقل عن ابن جرير أنه روى حديثاً عن النبي أنه قال إن نبي الله أيوب لبث بلاؤه ثماني عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد إلا رجلين... ثم قال هذا لفظ ابن جرير وهكذا رواه بتمامه ابن حبان في صحيحه عن ابن وهب به وهذا غريب رفعه جداً وأشبه أن يكون موقوفاً"[148].

---

[145] تفسير الخازن ج3 ص268-269.

[146] حاشية الشيخ زاده ج4 ص88.

[147] قصص الأنبياء ص269 لابن كثير.

[148] قصص الأنبياء ص271.

وقد قيل إنه تمزق جسده وهجره جميع الناس إلا زوجته[149].

ويُقال في بيان وجه الصواب:

1- لا يليق بنبي الله أيوب أن يبتليه الله بما ينفر الناس منهم لأن ذلك معوق للدعوة ويؤدي الى احتقاره والإزراء به.

2- لا يصح أن يخاطب إبليس ربه كما يخاطبه الرسل فيستجيب له طلبه بتسليطه على مال أيوب ثم أهله ثم جسده فهذا ينافي قوله تعالى ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر، الآية: 42] فلو طلب ابليس من الله أن يسلطه على نبيه أيوب لكان هذا جوابه.

3- ويقول تعالى ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ [النحل، الآية: 99] ولا شك أن أيوب عليه الصلاة والسلام من الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون فبطل أن يكون لإبليس سلطان عليه.

ومن العجب أن يذكر بعض المفسرين تلك الأباطيل في معرض المدح لأيوب وجَعْلُ ذلك من أعظم الفضائل واحتج بعضهم لذلك بالحديث "أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الصالحون ثم الأمثل فالأمثل"[150].

4- فلو كان ما قالوه صحيحاً لكان نبينا أولى بذلك البلاء من أيوب عليهما الصلاة والسلام.

وكل ما ذكروه مما يمس مقام نبي الله أيوب عليه الصلاة والسلام لا يساوي شيئاً أمام الآيتين اللتين ذكرناهما.

فإن قيل ما سبب ابتلاء أيوب وكيف كان بلاؤه؟

فالجواب أن يقال إنَّ الأولى أن يقتصر على ذكر أنه ابتلي بلاء غير منفّر وذلك البلاء رفعٌ لمنزلته عند الله تعالى فإن أشد الناس بلاء الأنبياء، ولا يصح تفسير الآيات الواردة في حقه بتلك الإسرائيليات التي لا يثبت بها ما لا يعارض القرآن فكيف إذا عارضته.

---

[149] تفسير الجلالين.

[150] أورده ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء ص269.

دفع الشبه المتعلقة بقصة يونس عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين﴾ [يونس، الآية: 98].

وقال تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا انت سبحانك إني كنت من الظالمين فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين﴾ [الأنبياء، الآية: 87-88].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مُليم فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾ [الصافات، الآية: 139-140].

قال الله تعالى: ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين﴾ [الأنبياء، الآية: 87].

تتلخص الشبه التي أوردها المفسرون فيما يلي:

1- تفسير مغاضباً بـ مغاضباً لربه "إذ كشف عن قومه العذاب بعدما أوعدهم وكره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الخُلف.

2- قالوا وكان في خلقه ضيق فلما حمل عليه أثقال النبوة تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل فقذفها بين يديه وخرج هارباً منها"[151].

3- وقيل "كان يونس وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصف وبقي سبطان ونصف فأوحى الله إلى شعياء النبي أن سر إلى حزقيل الملك وقل له حتى يوجه نبياً قوياً فإني ألقي معه في قلوب أولئك حتى يرسلوا معه بني إسرائيل فقال له الملك: فمن ترى؟ وكان في مملكته خمسة من الأنبياء فقال: يونس انه قوي أمين فدَعا الملك بيونس فأمره أن يخرج فقال له يونس هل الله أمرك بإخراجي قال لا قال فهل سماني لك قال لا قال فههنا غيري أنبياء أقوياء فألحوا عليه فخرج من بينهم مغاضباً للنبي وللملك ولقومه فأتى بحر الروم فركبه"[152].

هكذا ذكر الخازن وغيره من المفسرين وأما ابن كثير فقد ذكر هذه القصة من غير أن يعرج على القول بمغاضبته للنبي وللملك ولقومه، ومن غير ذكر القول بمغاضبته ربه بل اقتصر على القول "بأنه ذهب مغاضباً بسبب قومه فركب سفينة في البحر"[153].

وقد ذكر الشيخ زاده في حاشيته على تفسير البيضاوي تلك القصة واقتصر على القول فخرج مغاضباً للملك ولقومه ولم يقل مغاضباً للنبي أو لربه"[154].

والصواب في هذه القصة أن يونس عليه الصلاة والسلام لم يكن مغاضباً لربه بل لقومه لكفرهم وكان عليه أن ينتظر الإذن من الله تعالى في المهاجرة عنهم فابتلي ببطن الحوت كما ذكر ذلك النسفي في

---

[151] تفسير الخازن ج3 ص274، تفسير البغوي ج3 ص265.

[152] تفسير الخازن ج3 ص274، تفسير البغوي ج3 ص265.

[153] قصص الأنبياء ص288.

[154] حاشية الشيخ زاده ج3 ص365.

تفسيره[155].

وقال القاضـي عياض: "قوله "إذ ذهب مغاضـباً" الصـحيح مغاضـباً لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضــحاك وغيرهما لا لربه عز وجل إذ مغاضــبته الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا تليق بالمؤمنين فكيف بالأنبياء"[156]. وذكر نحو ذلك الرازي في عصمة الأنبياء[157].

وأما ما قيل من أنه كان في خلقه ضـــيق فثقلت عليه أعباء النبوة فقذفها فباطل أيضـــاً وقد رد ذلك الرازي[158].

وأما قوله تعالى ﴿فظن أن لن نقدر عليه﴾ فمعناه فظن أن لن نضـيق عليه [ولم يكن شـكاً منه في قدرة الله] كما ذكر ذلك المفسرون كالنسفي[159] والخازن[160] والبيضاوي[161] والشيخ زاده[162] والبغوي[163] وابن كثير[164]، وقد ذكر ايضاً القاضي عياض في كتابه الشفا وقال "ولا يليق أن يظن بنبي أن يجهل صفة من صفات ربه"[165].

ومما يؤيد ما ذكرناه في تبرئة يونس عليه الصـلاة والسـلام أن الله تعالى ذكره في الأنبياء الكرام في سـورة النساء [النساء، الآية: 163] وسورة الأنعام [الأنعام، الآية: 86].

وقد ورد في فضله ما رواه ابن كثير في قصصه "عن النبي قال: "ما ينبغي لعبد أن يقول انا خير من يونس بن متَّى" رواه البخاري وأحمد[166] "كما قد ورد في بعض الأحاديث لا تفضـــلوني على الأنبياء ولا على

[155] تفسير النسفي ج3 ص274.

[156] الشفا ج2 ص105.

[157] عصمة الأنبياء ص114.

[158] عصمة الأنبياء ص115.

[159] تفسير النسفي ج3 ص274.

[160] تفسير الخازن ج3 ص274.

[161] تفسير البيضاوي ج3 ص365 (مع حاشية الشيخ زاده).

[162] حاشية الشيخ زاده ج3 ص365.

[163] تفسير البغوي ج3 ص266.

[164] قصص الأنبياء ص290.

[165] الشفا ج2 ص105.

[166] قصص الأنبياء ص294-295 بتصرف.

يونس بن متى وهذا من باب الهضم والتواضع منه صلى الله عليه وسلم"[167].

[167] قصص الأنبياء ص296.

دفع الشبه المتعلقة بقصة داود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿اصـــبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب . إنا ســـخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق . والطير محشورة كل له أواب . وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب . وهل أتاك نبأ الخصـم إذ تسـوروا المحراب . اذ دخلوا على داود ففزع منهم قالوا لا تخف خصـمان بغى بعضـنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشـطط واهدنا إلى سـواء الصـراط . إن هذا أخي له تسـع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضـهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصـالحات وقليل ما هم وظن داود أنما فتناه فاستغفر ربه وخرّ راكعاً وأناب . فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى وحسـن مآب . يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضـلك عن سـبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ [ص، الآية: 17-26].

قصة الخصم

قال الله تعالى ﴿وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب﴾ [ص، الآية: 21].

أورد كثير من المفسرين ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها مأخوذ عن أهل الكتاب. وأما سبب امتحانه

" 1- فقيل إن داود عليه الصلاة والسلام تمنى يوماً من الأيام منزلة آبائه إبراهيم وإسحق ويعقوب وذلك أنه كان قد قسم الدهر ثلاثة أيام، يوم يقضي فيه بين الناس ويوم يخلو فيه لعبادة ربه عز وجل ويوم لنسائه، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحق ويعقوب فقال يا رب أرى الخير كله قد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي فأوحى الله إليه إنهم ابتلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها... فقال رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضاً فأوحى الله إليه انك مبتلى في شهر كذا في يوم كذا فاحترس، فلما كان اليوم الذي وعده الله به دخل داود محرابه واغلق بابه وجعل يصلي ويقرأ الزبور فبينما هو كذلك إذ جاءه الشيطان وقد تمثل له في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن، وجناحاها من الدر والزبرجد، فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها فمد يده ليأخذها ويريها بني إسرائيل لينظروا إلى قدرة الله تعالى فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد إليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها له فأبصر امرأة في بستان على شاطئ بركة تغتسل وقيل رآها تغتسل على سطح لها فرآها من أجمل النساء خلقاً فتعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله، فنفضت شعرها فغطى بدنها فزاده ذلك إعجاباً فسأل عنها فقيل هي تِشايع بنتُ شايع امرأة أوْريا بن حنانا وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود فكتب داود إلى ابن أخته أن ابعث أوريا إلى موضع كذا وقدمه قبل التابوت وكان من قدم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعثه ففتح له فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أن ابعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً فبعثه ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه أن ابعثه الى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً فبعثه فقتل في المرة الثالثة فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود فهي أم سليمان. وقيل إن داود أحب أن يقتل أوريا فيتزوج امرأته فهذا كان ذنبه.

وروي عن ابن مسعود أنه قال كان ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته وقيل كان ذلك مباحا لهم غير أن الله عز وجل لم يرض لداود ذلك لأنه رَغبة في الدنيا وازدياد من النســاء وقد أغناه الله تعالى عنها بما أعطاه من غيرها.

2- وقيل أن بني اسرائيل تذاكروا يوماً فقالوا هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً فأضمر داود

أنه سيطيق ذلك.

-3وقيل ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه أنه إن ابتلي عصم ثم ذكروا نحو ما سبق"[168].

" -4وقيل إن داود لم يزل يجتهد في العبادة حتى برز له حافظاه من الملائكة فكانوا[169] يصلون معه فلما استأنس بهم قال خبروني بأي شيء أنتم موكلون قالوا نكتب صالح أعمالك ونوافقك ونصرف عنك السوء فقال في نفسه ليت شعري كيف أكون لو خلوني ونفسي وتمنى ذلك... فأوحى الله تعالى إلى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لا غنى له عن الله تعالى فلما فقدهم جد واجتهد في العبادة إلى أن ظن أنه قد غلب نفسه فأراد الله تعالى أن يعرفه ضعفه فأرسل طائراً من طيور الجنة وذكروا نحو ما تقدم.

-5وقيل إنه قال لبني اسرائيل لأعدلَنّ بينكم ولم يستثن فابتلي.

-6وقيل إنه أعجبه عمله فابتلي.

قالوا فبعث الله إليه ملكين في صورة رجلين وذلك في يوم عبادته فطلبا أن يدخلا عليه فمنعهما الحرس فتسوروا عليه المحراب فما شعر إلا وهما بين يديه جالسان وهو يصلي يقال كانا جبريل وميكائيل فذلك قوله عز وجل ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب﴾ [ص، الآية: 21] وهذا كله تمثيل لأمر داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها داود إلى نسائه...

..فلما قضى داود بينهما نظر أحدهما إلى صاحبه وضحك وصعدا إلى السماء فعلم داود أن الله تعالى ابتلاه... فسجد فمكث أربعين ليلة ساجداً حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبهته... ثم ذكروا أن داود قال في سجوده الويل لداود يوم يكشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ... الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصابه... اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني ثم قالوا إن داود ذهب إلى قبر أوريا وطلب منه أن يجعله في حلّ لأنه تزوج امرأته فلم يجبه فقام وجعل التراب على رأسه ثم نادى الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار... إلخ"[170].

وقد جاء في تفسير النسفي ما نصه: "روي أن أهل زمان داود عليه السلام كان يسأل بعضهم بعضا أن

---

[168] تفسير الخازن ج4 ص33-34 بتصرف.

[169] هكذا في الأصل بضمير الجمع.

[170] تفسير الخازن ج4 ص34 بتصرف واختصار.

ينزل له عن امرأته فتزوجها إذا أعجبته وكان لهم عادة في المواساة بذلك وكان الأنصار يواسون المهاجرين بمثل ذلك فاتفق أن داود وقعت عينه على امرأة أوريا فأحبها فسأله النزول عنها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان"[171] ثم "ذكر روايتين نحو ما ذكر في تفسير الخازن من أنه أحب أن يقتل وأنه خطب على خطبته"[172] ثم قال "ويروى انه قال أنا أريد أن آخذها منه وأكمل نعاجي مائة فقال داود ان رُمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا وأشار إلى طرف الأنف والجبهة فقال يا داود أنت أحق أن يضرب منك هذا وهذا وأنت فعلت كيت وكيت ثم نظر داود فلم ير أحداً فعرف ما وقع فيه"[173].

وجاء في تفسير البيضاوي "أنه إن ثبت إنه وقع بصره على امرأة فعشقها فلعله خطب مخطوبته"[174].

وأما تفسير زاد المسير[175] فقد ذكر روايات كتلك الروايات التي جاءت في تفسير الخازن في سبب الفتنة والذنب الذي عوتب عليه وزاد عليها أنه "قيل لم يأته الملكان حتى جاء منها سليمان وشبّ"[176].

وكذلك ذكر البغوي[177] معظم الروايات المذكورة في تفسير الخازن وأضاف عليها من القصص المختلقة ما يعجب منه المتأمل من ذلك أنه ذكر "أنه كان يجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي فيجلسون في المحاريب التي عنده ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه ويرفع الرهبان أصواتهم حتى يقع داود في دموعه مثل الفرخ ويضطرب فيها [لكثرتها] ثم يروي عن وهب أنه مكث حياته لا يشرب ماء إلا مزجه بدموعه ولا يأكل طعاماً إلا بله بدموعه... وقال إن الله وسم خطيئته في يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها وما كان خطيباً للناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته..."

وأما تفسير الجلالين فقد ذكرت فيه تلك القصة باختصار وفُسِّرتْ فيه النعاج بأنها كناية عن النساء[178].

---

171 تفسير النسفي ج4 ص34.

172 تفسير النسفي ج4 ص34.

173 تفسير النسفي ج4 ص35.

174 تفسير البيضاوي ج4 ص84.

175 تفسير زاد المسير ج7 ص113-116.

176 زاد المسير ج7 ص115.

177 تفسير البغوي ج4 ص52 إلى 58 بتصرف.

178 تفسير الجلالين ص601.

أصل تلك الروايات عند أهل الكتاب

قال عبد الوهاب النجار: "وأما أهل الكتاب فإنهم يقولون أن داود نظر وهو يمشي على سطح داره إلى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها وأتى بها واضطجع معها فحملت منه وأعلمته وكان زوجها أوريا في الحرب فأتى به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر وليحدث الرجل بامرأته عهداً حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حامل ولكن الرجل كان تقياً جداً فبات بباب داود ولم يزر امرأته لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتع بزوجته وإخوانه في الحرب بعيدون عن أزواجهم فلما علم داود بأمره لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض أوريا لجبهة القتال... وبهذه الوسيلة قتل الرجل..."[179].

وقد اشتملت تلك الروايات على وجوه من البطلان والفساد نلخصها فيما يأتي[180]:

-1قالوا بأن داود تمنى منزلة آبائه... إلى أن قالوا أنه ابتلي بتلك البلية. فدلت أول حكايتهم على أنه سيبتلى بالبلاء الذي يرفع درجته فكان العشق والقتل وغير ذلك.

-2تضاربت أقوالهم في الطائر فقيل هو من طيور الجنة وقيل هو إبليس فعلى هذا القول استطاع الشيطان أن يوقع داود في تلك الفتنة القبيحة والله يقول: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر، الآية: 42] الآية.

-3اشتملت تلك الروايات على نسبة تكرار النظر المحرم إلى داود ثم السعي للزواج بتلك المرأة بعد قتل زوجها، وقالوا إنها أم سليمان. فلو كان الأمر كما ذكروا لم يكن المولود نبياً مكرما كسليمان بل كان أولى بأن يأتيه شق إنسان من سليمان عليه السلام مع أن سليمان ما حصل معه ذلك إلا لأنه لم يستثن كما سيأتي بيان ذلك، فكيف بما نسبوه إلى نبي الله داود عليه الصلاة والسلام.

فمن كان زواجه بهذه الطريقة وأتاه مولود لا يقول: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب﴾ [ص، الآية: 30] عوضاً عن معاقبته.

-4اشتملت ايضاً على نسبة الحرص على الدنيا والازدياد من النساء إلى نبي الله داود عليه الصلاة

---

[179] قصص الأنبياء ص313.

[180] بعض كلامنا مأخوذ من كلام الشيخ عبد الله الغماري في كتابه قصة داود ص17 إلى ص35، وقد أضفنا اضافات كثيرة قيّمة.

والسلام حتى أدى ذلك على زعمهم إلى أن لا يسلم منه المسلم في عرضه ولا في دمه.

5- قيل أنهم تذاكروا الذنوب وفتنة النساء فاضمر أنه إن ابتلي عصم ثم حصل ما حصل فلو كان نبي الله داود -الذي قال الله فيه ﴿ذا الأيد﴾ [ص، الآية: 17] أي القوة في الدين- لا صبر له على فتنة النساء لما كان وصف الله له بذلك صدقاً، ثم لو كان داود عليه السلام لا طاقة له على اجتناب فتنة النساء فكيف بسائر المؤمنين.

6- روي أنه برز له حافظاه... إلى أن قالوا فأوحى الله الى الملكين أن يعتزلاه ليعلم أنه لا غنى له عن الله. من العجب أن يقال هذا الكلام عن نبي الله داود، وهل يليق بالله أن يبعث نبياً لا يعرف أنه لا غنى له عن ربه حتى يوقعه في فتنة النساء.

7- تلك الروايات فيها إسناد الكذب إلى الملائكة حيث قالوا لم يكن ثم خصومه ولا نعاج. وإن حاولوا الهروب من ذلك بقولهم كان على وجه التمثيل أو الفرض.

8- توصلوا بإسناد الكذب إلى الملائكة إلى اسناد القبائح إلى نبي من أكابر الأنبياء.

9- نسبوا إلى داود أنه قال الويل الطويل لداود حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار وغير ذلك مما يجعل هيبة داود عليه السلام تسقط من قلب كل من يصدق تلك الروايات فيقع في الضلال وهو لا يشعر.

10- إن تلك الروايات تجعل شأن المعاصي بالنسبة لأفراد المؤمنين شيئاً هيناً حيث لم يسلم داود - بزعمهم- من تلك الأفاعيل الخسيسة من حسد ونظر محرم وغير ذلك.

11- في تلك الروايات مبالغات يعجب منها الناظر كقولهم كان يجتمع عنده اربعة آلاف راهب فيجلسون في المحاريب التي هي أربعة آلاف محراب، وقولهم إنه كان يقع في دموعه مثل الفرخ يضطرب وإنه مكث ساجداً أربعين يوماً حتى نبت الزرع من دموعه وأكلت الأرض من جبهته.

12- قالوا إن الله رسم خطيئته في كفه وكان يري ذلك للناس، فلو كان صحيحاً كيف يمكن لقومه أن يتبعوه؟ وماذا يكون جوابهم عندما ينهاهم عن معصية الله؟ بل لو كان صحيحاً لكان يخاف منه كل من له امرأة حسناء أن تقع عينه عليها فيعجب بها.

" 13- من المعلوم أن الدخول في دم أوريا أعظم من التزوج بامرأته [فلو كان ما قالوه صحيحاً] فكيف ترك الله الذنب الأعظم واقتصر على ذكر الأخف"[181].

---

[181] عصمة الأنبياء ص97.

14-قولهم إن الملك قال له أنت أحق أن يضـــرب منك هذا وهذا (أي على طرف الأنف والجبهة). وهذا مما لا يليق أن يخاطِب به ملكٌ نبياً من الأنبياء.

إبطال تلك الروايات

قال ابن كثير: "وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا قصصاً وأخباراً أكثرها إسرائيليات ومنها ما هو مكذوب لا محالة، تركنا ايرادها في كتابنا قصداً واقتصاراً على مجرد تلاوة القصة من القرآن العظيم"[182] ثم قال: "وقد ذكر بعض المفسـرين أنه عليه السـلام مكث سـاجداً أربعين يوماً وقاله مجاهد والحسن وغيرهما وورد ذلك في حديث مرفوع لكنه من رواية يزيد الرقاشي وهو ضعيف متروك الرواية"[183].

وقال الإمام الرازي: "الذي حكاه المفسـرون عن داود وهو أنه عشـق امرأة أوريا فاحتال حتى قتل زوجها فتزوجها لا يليق بالأنبياء بل لو وصف به أفسق الملوك لكان منكراً"[184].

وقال الخازن: "اعلم أن من خصه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته وشرفه على كثير من خلقه وائتمنه على وحيه وجعله واسطة بينه وبين خلقه لا يليق أن ينسب إليه ما لو نسب إلى آحاد الناس لاستنكف أن يحدث به عنه فكيف يجوز أن ينسب إلى بعض أعلام الأنبياء والصفوة الأمناء"[185].

وقال القاضـــي عياض: "لا يجوز[186] أن يلتفت إلى ما ســـطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسـرين ولم ينص الله تعالى على شـيء من ذلك ولا ورد في حديث صـحيح والذي نص عليه الله في قصـــة داود ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ [ص، الآية: 24]"[187] "وإلى نفي ما أضـــيف في الأخبار إلى داود عليه الصلاة والسلام ذهب أحمد بن نصر وأبو تمام وغيرهما من المحققين، قال الداوُدي: ليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم"[188].

فتبين بذلك بطلان تلك الروايات من حيث الإسناد ومن حيث المعنى.

---

[182] قصص الأنبياء ص486.

[183] قصص الأنبياء ص487.

[184] عصمة الأنبياء ص97.

[185] تفسير الخازن ج4 ص35.

[186] في الأصل: "لا يجب" والذي اثبتناه من الخازن ج4 ص35 وهو الصواب.

[187] الشفا ج2 ص163.

[188] الشفا ج2 ص164.

وقد نص علماء الحديث على أن من أدلة وضع الحديث أن يكون معناه ركيكاً كما قال العراقي:

"ويُعرف الوضعُ بالاقرارِ وما * نُـزِّلَ منزلتَهُ وربَّمـا

يُعرفُ بالـرِّكَّـة..."[189]

"وقال ابن الجوزي: واعلم إن الحديث المنكر يقشعر له جلد الطالب للعلم وينفر منه قلبه في الغالب"[190].

وقال الربيع بن خيثم: "إن للحديث ضوءاً كضوء النهار تعرفه وظلمة كظلمة الليل تنكره"[191].

---

[189] ألفية العراقي في المصطلح ص18 (ضمن النفائس).

[190] فتح المغيث ص142/ فتح الباقي ج1 ص281.

[191] فتح المغيث ص142/ فتح الباقي ج1 ص280.

دلالة السياق على براءة داود عليه السلام

ليعلم[192] أن الذين فسروا قصة داود بتلك الروايات بما ذكر غفلوا عن السياق، فإن هذه السورة اشتملت على أربع خصومات:

1- خصومة المشركين للنبي في أول السورة. ﴿بل الذين كفروا في عزة وشقاق" [ص، الآية: 2]
2- ﴿نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب﴾ [ص، الآية: 21].
3- ﴿إن ذلك لحق تخاصم أهل النار﴾ [ص، الآية: 64].
4- ﴿ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون﴾ [ص، الآية: 69].

والأنبياء المذكورون في هذه السورة كلهم ابتلوا وامتحنوا وصبروا حتى نجاهم الله ونصرهم فذكروا هنا تسلية للنبي وتسرية عنه وتثبيتاً لفؤاده. وقد جاء في أول السورة عن المشركين أنهم قالوا ﴿ربنا عجّل لنا قطّنا قبل يوم الحساب﴾ [ص، الآية: 16] فسألوا تعجيل العذاب استهزاء ومعاندة، فبيّن الله تعالى أنه يبتلي الصالحين لرفع درجاتهم فذكر له بعض من تقدَّمه من الأنبياء وما قاسوا من الشدائد فصبروا ليكون ذلك عزاءً ومواساة وحثاً له على التأسِّي والتؤدة فقال تعالى: ﴿اصبر على ما يقولون واذكر﴾ على سبيل التأسي ﴿عبدنا داود ذا الأيد﴾ أي القوة في الطاعة والصبر والتحمل ﴿إنه أواب﴾ كثير الرجوع إلى الله. فلم يجز أن يأمر الله نبيه بالتأسي بمن كان يسعى في قتل مسلم طمعاً في زوجته إرضاء لشهوته.

وقد جاء وصف داود في ابتداء القصة بأوصاف حميدة منها:

﴿ذا الأيد – إنه أواب – إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق – والطير محشورة كل له أواب – وشددنا ملكه – وآتيناه الحكمة – وفصل الخطاب﴾ [ص، الآية: 17-20].

ثم جاء قوله تعالى: ﴿وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب﴾ [ص، الآية: 21].

ثم بعد ذكر القصة قال الله تعالى: ﴿يا داود انا جعلناك خليفة في الأرض﴾ [ص، الآية: 26] وهذا من أجل الممادح "وترتيب الحكم على الوصف مشعر بكون الوصف علة لذلك الحكم. فعلى ما ذكروه يلزم أن يكون تفويض خلافة الأرض اليه بسبب اقدامه على القتل والفسق"[193] وهذا مما لا يقوله عاقل فإنه

[192] بعض ما أوردناه هنا مأخوذ من كلام الغماري بتصرف من قصة داود ص38 وما بعدها.

[193] عصمة الأنبياء ص99.

من المحال في كلام الله أن يتوسـط تلك الممادح ما يشـعر بما قالوه، فإنه "لو كان كذلك لجرى مجرى قول من يقول فلان عظيم الرتبة في طاعة الله يقتل ويزني وقد جعله الله تعالى خليفة وصـــوبه في أحكامه وأمر أفضل الأنبياء بالاقتداء به"[194].

ومما يزيد الأمر وضــوحاً أن الله تعالى قال في حق داود: ﴿وآتيناه الحكمة﴾ [ص، الآية: 20] "والحكمة اســـم جامع لكل ما ينبغي علما وعملا فكيف يجوز أن يقول الله وآتيناه الحكمة مع إصـــراره على ما يستنكفه أخبث الشياطين من مزاحمة أفضل أصحابه وأحبائه في الزوج والمنكوح"[195].

وكذلك "قوله تعالى في حق بعض الرسل: ﴿إنا أخلصناهم بخالصة ذكرى الدار وإنهم عندنا لمن المصطفين الأخيار﴾ [ص، الآية: 46-47] وكل ذلك ينافي وصفهم بالإقدام على الكبيرة والفاحشة"[196].

---

[194] عصمة الأنبياء ص99 بتصرف.

[195] عصمة الأنبياء ص98-99.

[196] عصمة الأنبياء ص99.

بيان وجه الصواب

بعد تنزيه داود عليه الصلاة والسلام مما نسب اليه مما لا يليق به هناك مسلكان في شرح قصة داود:

المسلك الأول أن يُقتصر على تلاوة الآيات وشرح ألفاظها من غير تعرض لبيان المقصود بقوله تعالى: ﴿وظن داود أنما فتناه﴾ [ص، الآية: 24].

والمسلك الثاني أن يُعيّن المقصود بذلك على ما يليق بنبي الله داود.

-1وقد اختلفت أقاويل المفسرين "فقيل أن ذنبه الذي استغفر منه قوله لأحد الخصْمين لقد ظلمك فظلّمه بقول خصمه"[197] قبل أن يسمع جوابه.

وقد رد ذلك كثيرون لأنه من البدهيات في القضاء أنْ لا يحكم الحاكم في الخصومة إلا بعد سماع الطرفين فكيف بمن آتاه الله الحكمة وفصل الخطاب. وممن رد هذا التفسير القاضي أبو بكر بن العربي فيما نقله عنه المحدث عبد الله الغماري[198]. وقال البغوي في تفسيره: "قيل معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك وقيل قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول"[199]، وذكر الخازن مثل ذلك[200]، وقال البيضاوي: "ولعله قال ذلك بعد اعترافه أو على تقدير صدق المدعي"[201]، وقال النسفي: "وإنما ظلّم الآخر بعدما اعترف به خصمه ولكنه لم يحك في القرآن لأنه معلوم"[202].

-2وقيل إن جماعة من الأعداء طمعوا في أن يقتلوا نبي الله داود عليه السلام، وكان له يوم يخلو فيه بنفسه ويشتغل بطاعة ربه، فانتهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب، فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواماً يمنعونه منهم، فخافوا فوضعوا كذباً فقالوا خصمان بغى بعضنا على بعض إلى آخر القصة، فلما دخلوا عليه بطلب قتله وعلم داود ذلك، دعاه الغضب الى أن يشتغل بالانتقام منهم، إلا أنه مال الى الصفح والتجاوز عنهم طلباً لمرضاة الله وكانت هذه الواقعة هي الفتنة، لأنها جارية مجرى الابتلاء والامتحان، ثم انه استغفر ربه مما هم به من الانتقام منهم وتاب عن ذلك الهم وأناب"[203].

---

197 الشفا ج2 ص164.

198 قصة داود ص20.

199 تفسير البغوي ج4 ص54.

200 تفسير الخازن ج4 ص35.

201 تفسير البيضاوي ج4 ص83.

202 تفسير النسفي ج4 ص35.

203 قصة داود ص33.

وهذا التفسير مما لا يقدح في عصمة الأنبياء، وان كان يُحتاج إلى إثباته بحديث صحيح.

3-قال بعضهم: "إن داود عليه السلام لم يرتكب معصية أصلاً وإن استغفاره إنما كان من الفزع الذي حصل منه وهو في تلك الخلوة يعبد الله، لأن الأنبياء يطالبون أنفسهم بأرقى الكمالات"[204].

فإن قيل: فما هو وجه التأسي الذي أمر الله به نبيه في هذه القصة؟

فالجواب على ما قاله بعض العلماء: "إن الخصمين قد أساءا إلى داود عليه السلام فصبر وتحمل، وخطأهما من وجوه أولها نزولهما من السور وهذا غير جائز عرفاً وشرعاً. ثانيها أنهما لم يعتذرا لما رأيا فزعه منهما بأن يقولا مثلا لا تؤاخذنا فموسى عليه السلام لما سأل الخضر أول مرة قال له ﴿لا تؤاخذني بما نسيت﴾ [الكهف، الآية: 73].

وأما الخصمان فقالا "لا تخف" عبارة جافة تجاوز عنها داود.

ثالثها قولهما "ولا تشطط" وهذه إساءة منها إذ خاطبا نبياً معصوما بذلك مع أنهما من أفراد أمته.

فكان بإمكان داود أن يعاقبهما على إساءة الأدب لكنه فضل الصبر والتحمل ولم ينتقم لنفسه فكان ذلك وجه التأسي المأمور به في تلك القصة"[205].

فائدة: "ذكر كثير من المفسرين عن علي أنه قال من حدثكم بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين وهو حد الفرية على الأنبياء"[206].

"وهذا مما لم يصح عن علي فإن حكم من نسب الى نبي الزنا القتل"[207] وكذا لو نسب إليه ما دون الزنا من مقدماته فإنه يقتل إن لم يرجع إلى الإسلام.

فائدة طريفة: "روي أن عمر بن عبد العزيز حدث بتلك القصة الباطلة وعنده رجل من أهل الحق فكذب المحدِّث وقال "إن كانت القصة على ما في كتاب الله فما ينبغي أن يلتمس خلافها، وأعْظِم بأن يقال

---

204 قصة داود ص41 و43 بتصرف.

205 قصة داود، نقلا عن البقاعي ص40-41 بتصرف.

206 تفسير الخازن ج4 ص35. تفسير النسفي ج4 ص34.

207 قصة داود ص21.

غير ذلك وإن كانت على ما ذكرت وكفّ الله عنها سـتراً على نبيه فما ينبغي إظهارها عليه" فقال عمر: لَسَماعي هذا الكلام أحبُّ الي مما طلعت عليه الشمس"[208].

[208] تفسير النسفي ج4 ص43 بتصرف.

دفع الشبه المتعلقة بقصة سليمان عليه السلام

وهي قسمان:

1- قال الله تعالى: ﴿ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب. إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد. فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب. ردوها عليّ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق. ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب. قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب. فسخرنا له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. والشياطين كل بناء وغوّاص. وآخرين مقرنين في الأصفاد. هذا عطاؤنا فامنن أو امسك بغير حساب. وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ [ص، الآية: 31-40].

2- -وقال تعالى: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين. قال عفريت من الجن أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين. قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك. فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر ومن شكر فإنما شكر لنفسه ومن كفر فإن ربي غني كريم. قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذي لا يهتدون. فلما جاءت قيل أهكذا عرشك قالت كأنه هو وأوتينا العلم من قبلها وكنا مسلمين. وصدها ما كانت تعبد من دون الله إنها كانت من قوم كافرين. قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل، الآية: 38-44].

القسم الأول

فيما يتعلق بقصة فتنة سليمان وإلقاء الجسد على كرسيه

قال الله تعالى: ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب. قال رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب﴾ [ص، الآية: 34-35].

ذكر كثير من المفسرين عند الكلام على هذه الآيات قصصاً مأخوذة عن أهل الكتاب اشتملت على ما يجب تنزيه الأنبياء عنه، وكنا قد قدّمنا أن سورة ص جاءت في محاجة منكري النبوة، وحضِّ النبي محمد عليه الصلاة والسلام على التأسي بأولئك الأنبياء الذي ذكروا في السورة، فكيف يليق أن يأتي في سياقها ما هو طعن في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وتتلخص الشبه التي ذكروها فيما يلي:

1- تفسير (فتنا) ابتليناه وامتحناه بسلب ملكه"[209].

2- "تفسير المراد بالجسد بشيطان اسمه صخر أو آصف أو حبقيق. وأن المعنى أجلسنا على كرسيه في ملكه شيطانا، وزعموا أن هذا الشيطان تسلط على ملك سليمان بأن حصل على خاتمه وتشكل بصورته فصار يحكم بأقضية فاسدة. وقيل إنه كان يأتي نساء سليمان في الحيض فأنكرن ذلك منه. وأما سليمان فقالوا إنه لم يعد يعرفه أحد وإنه كان يستطعم الناس فلا يطعمه أحد حتى حصل على خاتمه فطرد الشيطان. وقيل غير ذلك"[210].

3- "قيل في سبب ابتلائه بذلك -فيما زعموا- أنه كان له زوجة اسمها جرادة عبدت صورة أبيها في منزل سليمان أربعين صباحاً هي وولائدها فلما علم سليمان كسر تلك الصورة وعاقبها وولائدها"[211].

4- "وقيل سبب ابتلائه أنه قارب امرأة من نسائه في الحيض"[212].

---

[209] زاد المسير ج7 ص132/ تفسير البغوي ج4 ص61.

[210] زاد المسير ج7 ص132-135-136-137 بتصرف.

[211] زاد المسير ج7 ص133/ تفسير البغوي ج4 ص61-62.

[212] زاد المسير ج7 ص134.

وقد ذكر تلك الأقاويل ابن الجوزي في زاد المسير[213] والبغوي في تفسيره[214] والخازن[215] وذكر البيضاوي[216] والمحلي[217] في تفسير الجلالين بعض تلك الأقاويل.

إبطال تلك الروايات

قال ابن كثير: "ذكر ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما من المفسرين ههنا آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف وأكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات وفي كثير منها نكارة شديدة وقد نبهنا على ذلك في كتابنا التفسير"[218].

وقال القاضي عياض: "ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه لأن الشياطين لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الأنبياء من مثله"[219].

بيان وجه الصواب

روى مسلم "عن أبي هريرة قال: كان لسليمان ستون امرأة فقال لأطوفن عليهن الليلة فتحمل كل واحدة منهن فتلد كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل في سبيل الله فلم تحمل منهن إلا واحدة فولدت نصف إنسان فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كان استثنى لولدت كل واحدة منهن غلاماً فارساً يقاتل في سبيل الله"[220].

وفي رواية قال عليه الصلاة والسلام: "ولو قال إن شاء الله لم يحنث وكان دركا له في حاجته"[221] وكان تركه للاستثناء نسياناً كما روى مسلم عن النبي أنه قال "فلم يَقُل ونُسِّيَ"[222].

---

[213] زاد المسير ج7 ص132 الى ص137.

[214] تفسير البغوي ج4 ص61 الى ص64.

[215] تفسير الخازن ج4 ص40 الى ص42.

[216] تفسير البيضاوي ج4 ص86.

[217] تفسير الجلالين ص602 ذكر القصة باختصار.

[218] قصص الأنبياء ص506.

[219] الشفا ج2 ص167.

[220] صحيح مسلم بشرح النووي ج11 ص118-119.

[221] صحيح مسلم بشرح النووي ج11 ص121.

[222] صحيح مسلم بشرح النووي ج11 ص120.

القسم الثاني

قصة سليمان عليه السلام مع بلقيس

نتكلم في هذه القصة على أمرين: الأول فيما يتعلق بعرش بلقيس والثاني فيما يتعلق بالصرح.

1- قال الله تعالى إخباراً عن سليمان: ﴿قال يا أيها الملأ أيكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين﴾ [النمل، الآية: 38].

ذكر بعض المفسرين أن سبب طلب سليمان ذلك أنه علم أنها إن أسلمت يحرم عليه مالها فأراد أخذ عرشها قبل أن يحرم عليه أخذه بإسلامها[223].

والصواب أنه لا يليق بنبي الله سليمان أن يكون به حرص على أخذ عرش بلقيس لأن ذلك ليس من شيم الصالحين فضلاً عن الأنبياء، وكيف يكون ذلك وقد آتاه الله ذلك الملك العظيم. وقد ذكر الله تعالى عنه قبل ذلك أنه قال ﴿أتمدونن بمال فما آتاني الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون﴾ [النمل، الآية: 36].

ثم لو كان يريد عرشها لما نكره لها وأراها اياه.

فسبب طلبه إحضار عرشها هو إرادة اختبار عقلها كما قال النسفي[224] وغيره، أو ليريها قدرة الله وعظم سلطانه كما قال البغوي[225] والخازن[226]. والقول الثاني أقرب، لأنه على القول الأول "قيل إن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان فتفشي إليه أسرار الجن لأن أمها كانت جنية وإذا ولدت ولداً لا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأساؤوا الثناء عليها ليزهدوه فيها وقالوا إن في عقلها شيئاً وإن رجلها كحافر الحمار وإنها شعراء الساقين فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح"[227].

وهذا باطل لأن الله قد سخر لسليمان الجن فلا يحتاج إلى أن تفشي إليه بلقيس أسرار الجن، ولأن بلقيس لو كانت كما قالوا لكانت هي سخرت الجن لنفسها.

---

[223] تفسير البغوي ج3 ص419/ الخازن ج3 ص385.

[224] تفسير النسفي ج3 ص385.

[225] تفسير البغوي ج3 ص419.

[226] تفسير الخازن ج3 ص385.

[227] تفسير الخازن ج3/ص386، تفسير البغوي ج3 ص421، قصص الأنبياء ص503.

ومن أوضح دليل على بطلان ما قالوه أن الله تعالى ذكر قبل قصة بلقيس قوله: ﴿وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون﴾ [النمل، الآية: 17] ثم ذكر تفقده الطير ﴿فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين﴾ [النمل، الآية: 20] وبعد ذلك جاء ذكر قصة بلقيس وقول العفريت ﴿أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك﴾ [النمل، الآية: 39] فدل ذلك على أن الجن كانوا مسخرين له قبل أن يرى بلقيس.

-2فيما يتعلق ببناء الصرح قال الله تعالى: ﴿قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها. قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل، الآية: 44].

قال بعض المفسرين إن سليمان أراد أن ينظر إلى ساقيها من غير أن يطلب منها، ليرى إن كانت شعراء الساقين، أو إن كانت رجلها كحافر الحمار[228]. وقد قدّمنا ذكر القصة القائلة بأن الشياطين قالوا له ذلك.

وهذا بعيد عن نبي الله سليمان فإنه لا يليق به أن يصدق الشياطين في ذلك أو أن يشك كما لا يليق به أن يبني ذلك الصرح العظيم المنيف الممرّد من القوارير لينظر الى ساقيها. والدليل على ذلك أنها اعترفت بظلمها لنفسها وأسلمت، فإسلامها واعترافها بظلمها لنفسها لم يكن بسبب نظره الى ساقيها كما زعموا. والصواب أن سليمان عليه السلام "أراد أن يريها ملكاً هو أعز من ملكها"[229] "وفعل ذلك ليزيدها استعظاماً لأمره وتحقيقاً لنبوّته"[230]. "فلما رأت السرير والصرح علمت أن ملك سليمان من الله"[231]، وأنه نبي كريم وانقادت لأمر الله وأسلمت لله عز وجل و﴿قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾. [النمل، الآية: 44].

---

[228] تفسير الخازن ج3 ص386. تفسير البغوي ج3 ص421. قصص الأنبياء ص503.

[229] زاد المسير ج6 ص178.

[230] تفسير النسفي ج3 ص387.

[231] تفسير البغوي ج3 ص422.

دفع الشبه المتعلقة بشأن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

وهي قسمان

1- قال الله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً وكان أمر الله مفعولاً. ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له. سنة الله في الذين خلوا من قبل وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ [الأحزاب، الآية: 37-38].

2- وقال تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم. ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرضٌ والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد﴾ [الحج، الآية: 52-53].

القسم الأول

قال الله تعالى: ﴿وإذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه أمسك عليك زوجك واتق الله وتخفي ما في نفسك ما الله مبديه وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾ [الأحزاب، الآية: 37].

ذكر بعض المفسرين في تفسير هذه الآية ما يجب تنزيه النبي عنه، فاتخذ ذلك بعض الملحدين وسيلة للطعن في نبينا والانتقاص منه.

وهذه الآيات وردت في قصة زيد بن حارثة وزوجه زينب بنت جحش. وزيد هو مولى رسول الله، وأما زينب فهي ابنة عمة النبي، أمها أميمة بنت عبد المطلب. وكان رسول الله قد أراد أن يزوجها زيداً فكرهت ذلك ثم رضيت بما صنع رسول الله. ونورد الآن الشبه التي أوردوها ثم نتبعها ببيان نزاهة النبي عما قالوه.

قيل "إن رسول الله لما زوج زينب من زيد مكثت عنده حيناً ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيداً ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخمار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق، من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنها، فقال سبحان الله مقلب القلوب وانصرف، فلما جاء زيد ذكرت ذلك له ففطن زيد وألقي في نفس زيد كراهيتها في الوقت. فأتى رسول الله فقال إني أريد أن أفارق صاحبتي. قال ما لَكَ أرابَك منها شيء قال لا يا رسول الله ما رأيت منها إلا خيراً ولكنها تتعظم علي لشرفها وتؤذيني بلسانها فقال له النبي ﴿أمسك عليك زوجك﴾ يعني زينب بنت جحش ﴿واتق الله﴾ فيها ولا تفارقها ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ أي تسر في نفسك ما الله مظهره أي كان في قلبه: لو فارقها لتزوجها. وقال ابن عباس: حُبها. وقال قتادة: وَدَّ أنه طلَّقها"[232] ذكر ذلك البغوي في تفسيره، وذكر البيضاوي[233] نحو ذلك، وكذلك ابن الجوزي[234] والخازن[235] والنسفي[236].

"وقيل الذي أخفى في نفسه تعلق قلبه بها ومودة مفارقة زيد إياها"[237].

---

[232] تفسير البغوي ج3 ص531.

[233] تفسير البيضاوي ج3 ص586.

[234] زاد المسير ج6 ص386-387.

[235] تفسير الخازن ج3 ص468.

[236] تفسير النسفي ج3 ص468.

[237] تفسير النسفي ج3 ص468.

رد تلك الشبه

والجواب على ما رووه "أن الله تعالى ذكر في [هذه] القصة أنه ليس على النبي من حرج فيما فرض الله له وهذا تصريح بأنه لم يصدر منه ذنب البتة"[238] "ولو كان ما قالوه من محبته لها ومحبته طلاق زيد لها لكان فيه حرج عظيم، وما لا يليق به من مدّ عينيه لما نهي عنه من زَهرة الحياة الدنيا، ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الأتقياء فكيف بسيد الأنبياء"[239].

ثم إن الله تعالى بيّن لنا أنه "إنما زوجه إياها كيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً، ولم يقل الله تعالى إني فعلت ذلك لأجل عشقك"[240].

"ويؤيد ما قلناه، أن الله تعالى لم يُبْدِ من أمره معها غير زواجه لها، فدل أنه الذي أخفاه صلى الله عليه وسلم مما كان أعلمه به تعالى، وقوله تعالى في القصة: ﴿ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له سنة الله﴾ [الأحزاب، الآية: 38] الآية، فدل أنه لم يكن عليه حرج في الأمر"[241].

قال البيضاوي: "وليست المعاتبة على الإخفاء وحده فإنه وحده حسن بل على الإخفاء مخافة قالة الناس"[242].

وقال الخازن: "وكيف يقال رآها فأعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت ولا كان النساء يحتجبن منه وهو زَوَّجها لزيد"[243].

وقال الحافظ ابن حجر: "بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله، وكان رسول الله أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله فزوجها إياه ثم أعلم الله عز وجل نبيه بعدُ أنها من أزواجه فكان يستحي أن يأمره بطلاقها وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس، فأمره رسول الله أن يمسك زوجه وأن يتقي الله وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه وكان قد تبنى زيداً. ثم قال والذي كان

---

[238] عصمة الأنبياء ص129.

[239] الشفا ج2 ص189 بتصرف.

[240] عصمة الأنبياء ص129.

[241] الشفا ج2 ص189.

[242] تفسير البيضاوي ج3 ص587.

[243] تفسير الخازن ج3 ص468.

يحمله على إخفاء ذلك خشـــية قول الناس تزوج امرأة ابنه وأراد الله إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال منه وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنًا. قال ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم"[244].

[244] فتح الباري ج8 ص523-524.

القسم الثاني

قال الله تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم﴾. [الحج، الآية: 52].

ذكر كثير من المفسرين عند الكلام على هذه الآية أقاويل غير سديدة مما يمس منصب النبوة وينافي العصمة.

"فقيل تمنى لحرصه على إيمان قومه أن ينزل عليه ما يقربهم إليه، واستمر به ذلك حتى كان في ناديهم، فنزلت عليه سورة والنجم، فأخذ يقرؤها فلما بلغ ومناة الثالثة الأخرى، وسوس إليه الشيطان حتى سبق لسانه سهوا إلى أن قال: "تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهن لترتجى"، ففرح به المشركون حتى شايعوه بالسجود لما سجد في آخرها، بحيث لم يبق في المسجد مؤمن ولا مشرك إلا سجد، ثم نبهه جبرائيل فاغتم به، فعزّاه الله بهذه الآية، وهو مردود عند المحققين"[245].

هكذا ذكر البيضاوي في تفسيره، وذكر نحو ذلك الخازن[246] والبغوي[247] وابن الجوزي[248] والنسفي[249].

وقد رد هذه القصة العلماء المحققون كالقاضي عياض وغيره، كما أعقبها كثير من المفسرين بالنقد والرد كالخازن والنسفي وابن الجوزي. وها نحن نورد بعض ما قالوه في إبطالها.

إبطال تلك الرواية

قال النسفي: "وهذا القول غير مرضي لأنه لا يخلو اما أن يتكلم النبي عليه السلام بها عمداً، وإنه لا يجوز، لأنه كفر، لأنه بعث طاعناً للأصنام لا مادحاً لها، أو أجرى الشيطان ذلك على لسان النبي عليه السلام جبراً بحيث لا يقدر على الامتناع منه وهو ممتنع، لأن الشيطان لا يقدر على ذلك في حق غيره لقوله تعالى: ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر، الآية: 42] ففي حقه أولى، أو جرى ذلك على لسانه سهواً وغفلة وهو مردود أيضاً، لأنه لا يجوز مثل هذه الغفلة عليه في حال تبليغ الوحي،

---

[245] تفسير البيضاوي ج3 ص389.

[246] تفسير الخازن ج3 ص293-294.

[247] تفسير البغوي ج3 ص292-293.

[248] تفسير زاد المسير ج5 ص441.

[249] تفسير النسفي ج3 ص393.

ولو جاز ذلك لبطل الاعتماد على قوله ولأنه تعالى قال في صفة المنزل عليه: ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه﴾ [فصلت، الآية: 42] وقال: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر، الآية: 9]"[250].

وقال الشيخ زاده عند تعليقه على قول البيضاوي: "وهو مردود عند المحققين":

يعني أن جماعة من المفسرين وإن قالوا إن هذه الآية نزلت تسلية له عليه الصلاة والسلام في اغتمامه بما سبق به لسانه سهواً من حديث الغرانيق إلا رؤساء أهل السنة.

والجماعة ردوا هذا القول وقالوا هذه الرواية باطلة موضوعة واحتجوا عليه بالقرآن العظيم والسُنة والمعقول. أما القرآن فمنه قوله تعالى: ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين﴾ [الحاقة، الآيات: 44-46] ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿قل ما يكون لي أن أُبدّلَهُ من تلقاء نفسي إنْ اتبعُ إلا ما يوحى إليّ﴾ [يونس، الآية: 15] ومنه قوله تعالى: ﴿وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى﴾ [النجم، الآية: 53-54] فلو أنه عليه الصلاة والسلام قرأ عقيب هذه الآية قوله تلك الغرانيق العلى، لكان قد ظهر كذب الله تعالى في جميع ذلك وذلك لا يقول به مسلم.

وأما السنة فهو أنه روى عن محمد بن خزيمة انه سئل عن هذه القصة فقال هذا من وضع الزنادقة وصنف فيه كتاباً. وقال الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي: هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل، وإن رواة هذه القصة مطعونون، وأيضاً فقد روى البخاري في صحيحه أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد، وسجد المسلمون والمشركون والإنس والجن ولم يذكر حديث الغرانيق، وأما المعقول فما ذكره النسفي في تفسيره"[251] ونقل عنه الكلام الذي قدمناه.

قال القاضي عياض: اعلم أكرمك الله أن لنا في الكلام على مشكل هذا الحديث مأخذين أحدهما في توهين أصله والثاني على تسليمه.

---

[250] تفسير النسفي ج3 ص293.

[251] حاشية الشيخ زاده ج3 ص389.

المأخذ الأول

أما المأخذ الأول فيكفيك أن هذا حديث لم يخرجه أحد من أهل الصحة ولا رواة ثقة بسند سليم متصل، وإنما أولع به وبمثله المفسرون والمؤرخون المولعون بكل غريب، المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم، وصدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال: لقد بُلي الناس ببعض أهل الأهواء والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته وانقطاع اسناده واختلاف كلماته، فقائل يقول إنه في الصلاة وآخر يقول قالها وقد أصابته سنة وآخر يقول بل حدث نفسه منها، وآخر يقول إن الشيطان قالها على لسانه، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا أقرأتك وآخر يقول بل أعلمهم الشيطان أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم ذلك قال والله ما هكذا نزلت إلى غير ذلك من اختلاف الرواة، ومَن حكيت هذه الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها أحد منهم ولا رفعها إلى صاحب، وأكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة، والمرفوع فيه حديث شعبة"[252] ثم ذكر عن أبي بكر البزار ما حاصله أنه ليس لهذا الحديث طريق يثبت به. ثم قال: "والذي منه في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس. هذا توهينه من طريق النقل.

فأما من جهة المعنى فقد قامت الحجة وأجمعت الأمة على عصمته صلى الله عليه وسلم ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة. أما من تمنيه أن ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة غير الله وهو كفر، أو أن يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم أن من القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم أو يقول ذلك النبي صلى الله عليه وسلم من قبل نفسه عمداً وذلك كفر أو سهواً وهو معصوم من هذا كله وقد قررنا بالبراهين والإجماع عصمته من جريان الكفر على قلبه أو لسانه لا عمداً ولا سهواً، أو أن يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان أو يكون للشيطان عليه سبيل أو أن يتقول على الله لا عمداً ولا سهواً ما لم ينزل عليه. وقد قال الله تعالى: ﴿ولو تقوَّل علينا بعض الأقاويل﴾ [الحاقة، الآية: 44]، الآية وقال تعالى: ﴿إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات﴾ [الإسراء، الآية: 75] الآية.

ووجهٌ ثانٍ وهو استحالة هذه القصة نظراً وعرفاً وذلك أن هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الأقسام ممتزج المدح بالذم، متخاذل التأليف والنظم، ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم

[252] الشفا ج2 ص125-126.

ولا من بحضـرته من المسـلمين وصـناديد المشـركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على أدنى متأمل فكيف بمن رجح حلمه واتسع في باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه.

ووجه ثالث: أنه قد عُلم من عادة المنافقين ومعاندي المشـركين وضـعفة القلوب والجهلة من المسـلمين نفورهم لأول وهلة وتخليط العدو على النبي صلى الله عليه وسلم لأقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة وارتداد من في قلبه مرض ممن أظهر الإسـلام لأدنى شـبهة، ولم يَحْك أحد في هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الأصل، ولو كان ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولأقامت بها اليهود عليهم الحجة كما فعلوا مكابرة في قصة الإسراء حتى كانت في ذلك لبعض الضعفاء ردة. وكذلك ما روي في قصة القضية، ولا فتنة أعظم من هذه البلية لو وُجدت، ولا تشغيب للمعادي حينئذ أشد من هذه الحادثة لو أمكنت، فما رُوي عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنتُ شفة، فدل على بُطْلها واجتثاث أصلها، ولا شك في إدخال بعض شياطين الإنس والجن هذا الحديث على بعض مغفلي المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين.

ووجه رابع: ذكر الرواة لهذه القضية أن فيها نزلت ﴿وإن كادوا ليفتنونك﴾ [الإسراء، الآية: 73] الآيتين وهاتان الآيتان تردان الخبر الذي رووه لأن الله تعالى ذكر أنهم كادوا يفتنونه حتى يفترى وأنه لولا أن ثبته لكاد يركن إليهم فمضـمون هذا ومفهومه أن الله تعالى عصـمه من أن يفتري وثبته حتى لم يركن إليهم قليلاً، فكيف كثيراً؟ وهم يروون في أخبارهم الواهية أنه زاد على الركون والافتراء بمدح آلهتهم وأنه قال صلى الله عليه وسلم "افتريتُ على الله وقلت ما لم يقل" وهذا ضد مفهوم الآية وهي تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له"[253] فالله تعالى امتنّ على رسوله بعصمته وتثبيته بما كاده به الكفار وراموا من فتنته"[254].

---

[253] الشفا ج2 ص126-128 باختصار.

[254] الشفا ج2 ص129.

المأخذ الثاني

قال القاضي "وأما المأخذ الثاني فهو مبني على تسليم الحديث لو صح وقد أعاذنا الله من صحته"[255] ثم ذكر عدة أوجه ورد بعضها لكونها لا تليق بالنبي ولا تجوز عليه[256] ثم نقل عن موسى بن عقبة أنه قال في الجواب "إن المسلمين لم يسمعوها وإنما ألقى الشيطان ذلك في أسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الإشاعة والشبهة وسبب هذه الفتنة"[257].

"وقيل إن النبي صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى، خاف الكفار أن يأتي بشيء من ذمها، فسبقوا إلى مدحها بتينك الكلمتين ليخلطوا في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم، ويشنعوا عليه على عادتهم، وقولهم ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ [فصلت، الآية: 26] ونسب هذا الفعل إلى شيطان لحمله لهم عليه، وأشاعوا ذلك وأذاعوه وأن النبي صلى الله عليه وسلم قاله، فحزن لذلك من كذبهم وافترائهم عليه، فسلّاه الله تعالى بقوله: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى﴾ [الحج، الآية: 52] الآية، وبيَّنَ للناس الحق من ذلك من الباطل، وحفظ القرآن وأحكم آياته ودفع ما لبّس به العدو، كما ضمنه تعالى بقوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ [الحجر، الآية: 9]"[258].

---

[255] الشفا ج2 ص129.

[256] الشفا ج 2 ص129.

[257] الشفا ج2 ص130.

[258] الشفا ج2 ص131-132.

خاتمة الجزء الأول

إلى هنا تم مقصودنا من الجزء الأول من هذا الكتاب، وأثبتنا بفضل الله وعونه عصمة الأنبياء وبراءتهم عما نسب إليهم في بعض التفاسير مما لا يليق بهم، وقد أيّدنا ما أوردناه بالنصوص القرآنية القاضية بعصمتهم، وبكلام الأئمة الأعلام على اختلاف مذاهبهم وعصورهم، فلا يُلتفت بعد ذلك إلى تلك الأساطير التي وضعها من لا يخشى الله تعالى مما فيه تنقيصهم وذمهم، ولا يغتر بورودها في بعض التفاسير المنتشرة الذائعة الصيت، وإن جلّ ناقلوها، فإنهم رووا الصحيح والسقيم، وفي كثير من المواضع ردوا تلك الروايات وفنّدوها، فظهر أن مرادهم من روايتها بيان بطلانها، وأما ما لم يعقبوه بالنقد والردّ فإما أن نحمل ذلك على أنهم اكتفوا ببيان بطلان ذلك وأشباهه في مواضع أخرى من التفسير، فلم يروا ضرورة إعادة البيان والتنبيه وإما أنهم رووا ذلك بإسناده غير معتقدين له فيعلم من يقف على الإسناد -إن كان من أهل ذاك الفن- أن هذه الروايات باطلة، وإن كنا نرى ضرورة التنبيه على ذلك في كل موضع حذراً من وقوع القارئ في اعتقاد نقيصة في نبي من أنبياء الله فيهلك وهو لا يدري، ومعلوم أنه بمجرد ذكر الإسناد لا تبرأ عهدة الراوي إن كانت الرواية موضوعة إلا أن يبيّن ذلك. وعلى من أراد المطالعة في كتب التفسير أن يكون من أهل التمييز، وأن يجعل ما بيناه في عصمة الأنبياء نُصب عينيه، وأن لا يغفل عن ذلك فينساق خلف ما يجده مما لا يجوز اعتقاده، فإن الجهل في مثل هذه الأمور قد يودي بصاحبه إلى الهلاك، لأن الجهل ليس عذراً.

ويتلخص مما مضى أن الأنبياء معصومون من الكفر وجميع أنواع الكبائر ومن الصغائر التي فيها خسّة كسرقة لقمة، وهم كذلك معصومون من الكذب والخيانة والرذائل، ولا تجوز عليهم الأمراض المنفرة ولا البلادة ونحو ذلك.

ويجوز عليهم وقوع معصية صغيرة ليس فيها خسة ولا دناءة، كما حصل من سيدنا آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة.

وما ورد في كتب التفسير وغيرها مما ينافي عصمتهم فليرد ولا ينظر إلى علو قدر من نسب إليه ذلك التفسير.

وعلم مما تقدم أن كثيراً من التفاسير تروي في هذا الباب ما لا يجوز اعتقاده إما مع البيان وإما بدون بيان فليتنبه لذلك، وبالله التوفيق.

الجزء الثاني

تنزيه الأنبياء عما نُسب إليهم في كتب اليهود والنصارى مما لا يليق بهم.

ويشتمل على قسمين:

القسم الأول في المقدّمات.

القسم الثاني في تفنيد تلك الافتراءات.

القسم الأول

المقدمات

ويشتمل على المواضيع التالية:

1- إثبات تحريف التوراة والإنجيل.

2- ذكر كتب العهدين القديم والجديد.

3- بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتبهم.

4- ذكر افتراق اليهود.

5- اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار.

6- ظاهرة التقليد والتعصب عند اليهود.

7- عقيدة اليهود في الله.

8- ذكر افتراق النصارى.

9- التثليث عند النصارى.

10- ظاهرة التقليد الأعمى عند النصارى.

11- عقيدة اليهود والنصارى في الأنبياء.

– تمهيد –

بعد أن تم بعون الله تعالى إثبات عصـــمة الأنبياء على الوجه الذي يليق بهم من غير إفراط ولا تفريط، وتبين بطلان التهم التي نُسبت إليهم في كتب التفسير، من غير إطناب ممل ولا إيجاز مُخلّ، بحيث كان ما ذكرناه من الأدلة والأمثلة كافياً لمن أراد الوقوف على الصـواب في هذا الباب، ولم نزد في التوسـع، إذ أن فيما أوردناه مَقْنَع، ننتقل إلى الجزء الثاني من هذا الكتاب، تكميلاً للفائدة، وذلك أنه لما نفينا ما في تفاسير القرآن من الدسائس على أنبياء الله، ناسَبَ أن نبين ما في كتب اليهود والنصارى من هذا القبيل، وأن ننبه على ذلك كي لا يغتر أحد بورود أخبار في كتبهم تؤيد الإســـرائيليات التي أقحمت في كتب التفســـير إقحاماً، فيتضـــح لمن يقف على ما أوردناه في الجزء الأول وما ســـنورده في الجزء الثاني، أنه لا مستند لمن يروي تلك الأباطيل التي تنتقص الأنبياء، وتجعل معتقدها يظن في نفسه أنه ربما يكون أفضـل منهم إذ لم يرتكب الفواحش التي نسبها إليهم. نعوذ بالله من هذا الضـلال والكفر المبين، ونسأل الله أن لا يجعلنا من الرحمة محرومين ولا من العقل مسلوبين.

وها نحن نشـرع في المقصـود على ما قدّمنا، فنبْدأ ببيان تحريف كتب اليهود والنصـارى وننبه باختصـار إلى بعض ما اشتملت عليه عقائدهم من السـخافات والتناقضـات التي لا يستسيغها من له أدنى معقول، ثم ننتقل إلى ذكر جملة من افتراءاتهم على أنبياء الله تعالى وبيان ما فيها من الهذيان الذي تضـــحك منه الثكلى ويُنسي المهموم أحزانه– لفرط بلادة قائليه وسخافة عقولهم.

إثبات تحريف التوراة والإنجيل

مقدمة

ليعلم أن التوراة والإنجيل اللذين بأيدي اليهود والنصـــارى محرفان، لا ريب لعاقل في ذلك وقد أعلمنا الله تعالى بذلك في القرآن الكريم قال تعالى: ﴿يحرفون الكلم عن مواضـــعه﴾ [المائدة، الآية: 13]، وقال تعالى: ﴿وإن منهم لفريقاً يلوون ألسـنتهم بالكتاب لتحسـبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله﴾ [آل عمران، الآية: 78]، وقال تعالى أيضاً: ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ [آل عمران، الآية: 71]. وغير ذلك من الآيات. فتبين بذلك أنه لا ريب في وقوع التحريف في التوراة والانجيل وأن ألفاظهما بُدّلت، لا كما يدعي بعض أدعياء العلم أنه حرفت معانيهما فقط، ومما يزيد الأمر وضـوحاً وبياناً أن الله تعالى قال في القرآن الكريم: ﴿محمد رسـول الله والذين معه أشـداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سُـجّداً يبتغون فضـلاً من الله ورضواناً سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزُرّاع ليغيظ بهم الكفار﴾ [الفتح، الآية: 29] وليس شيء من هذا فيما بأيدي اليهود والنصارى مما يدعون أنه التوراة والإنجيل.

اتفق علمـاء المســـلمين على ثبوت التحريف في التوراة والانجيـل واعترف بـذلـك كثير من علمـاء المسيحيين[259]، ومن شاء فليرجع إلى كتاب الفصل في الملل والأهواء والنِحَل لابن حزم، "فإنه قد ذكر ما في التوراة والانجيل من المناقضات الكثيرة التي لا تحتمل التأويل بحيث يظهر لكل من قرأها بفهم وإنصاف وقوع التحريف والتبديل فيها ويعتقد يقيناً أنهما غير المنزلَين على موسى وعيسى عليهما السلام، إذ ذكر في إثبات التحريف والتبديل سـبعة وخمسـين فصـلاً في أكثر من مائة صـحيفة، فمن أراد الوقوف عليها فليراجع كتابه المذكور"[260] .

ومن العلماء الذين بينوا ذلك أيضاً الإمام القرطبي في كتاب "الاعلام" ومنهم المقريزي فقد ذكر في تاريخه ما يدل على ذلك ومنهم الإمام العيني في شـرحه على البخاري عند حديث نسـخ القبلة من الجزء الأول

---

[259] منهم هورن وموشم ولاردز وجيروم وآدم كلارك، انظر ما سيأتي في هذا البحث.

[260] الفِصَل لابن حزم من ص141 ج1، إلى ص63 ج2.

ومنهم الإمام ملّا كاتب جلبي[261] في كتابه كشــف الظنون، ومنهم عبد الســلام الذي كان من أحبار اليهود وأسلم في زمن السلطان بايزيد في رسالته الهداية التي ألّفها بعد إسلامه ومنهم الشيخ "رحمة الله" في كتابه إظهار الحق فقد ذكر فيه في الباب الأول والثاني في مائة وسبعين صحيفة[262] الدلائل والبراهين على وقوع التحريف والتبديل في التوراة والإنجيل بتفصــيل لم يُســبق إليه، ولا يمكن أن يتوقف أحد عنده أدنى فهم وإنصاف في ذلك، فمما قاله رحمةُ الله: اعلم أن التوراة الأصلية والإنجيل [الأصلي] فُقِدا قبل بعثة رســول الله صــلى الله عليه وســلم، والموجودان الآن بمنزلة كتابين من الســير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة... وأما هذه التواريخ والرسائل الموجودة الآن فهي ليست التوراة والإنجيل المذكورين في القرآن فليسا واجبَيْ التسليم بل حكمهما وحكم سائر الكتب من العهد العتيق أن كل رواية من رواياتها إن صــــدقها القرآن فهي مقبولة يقيناً وإن كذبها القرآن فهي مردودة يقيناً وإن كان القرآن ســــاكتاً عن التصديق والتكذيب فنسكت عنها فلا نصدّق ولا نكذّب"[263].

---

[261] هو مصطفى بن عبد الله المعروف بحاجي خليفة المتوفي سنة 1067 هـ.

[262] إظهار الحق ج1 ص335-508. للشيخ رحمة الله الكيرانوي.

[263] القول الثبت ص14-15، عبد القادر الإسكندراني.

ذكر كتب العهدين القديم والجديد

"ليعلم أن النصارى يقسمون هذه الكتب الى قسمين، قسم منها يدعون أنه وصل إليهم بواسطة الأنبياء الذين كانوا قبل عيسى عليه السلام، وقسم منها يدعون أنه كتب بالإلهام بعد عيسى عليه السلام، فمجموع الكتب من القسم الأول يسمى بالعهد العتيق، ومن القسم الثاني [يسمّى] بالعهد الجديد، ومجموع العهدين يسمى "بَيْبِل" وهذا لفظ يوناني بمعنى الكتاب، ثم ينقسم كل من العهدين إلى قسمين قسم اتفق على صحته جمهور القدماء من المسيحين وقسم اختلفوا فيه.

أما القسم الأول من العهد العتيق فثمانية وثلاثون كتاباً:

1- سِفْر التكوين ويسمى سِفر الخليقة أيضاً، 2- سفر الخروج، 3- سفر الأحبار [3- 5- 29- 35- 38] (في النسخة المطبوعة من العهد القديم هذه الأسماء مذكورة هكذا على الترتيب: اللاوين، التثنية، عاموس، صَفَنْيا، ملاخي]) 4- سفر العدد، 5- سفر الاستثناء. ومجموع هذه الكتب الخمسة يسمى بالتوراة وهو لفظ عبراني بمعنى التعليم والشريعة، وقد يطلق على مجموع كتب العهد العتيق مجازاً.

6- كتاب يوشع بن نون، 7- كتاب القضاة، 8- كتاب راعوث، 9- سفر صموئيل الأول، 10- سفر صموئيل الثاني، 11- سفر الملوك الأول، 12- سفر الملوك الثاني، 13- السفر الأول من أخبار الأيام، 14- السفر الثاني من أخبار الأيام، 15- السفر الأول لعزرا، 16- السفر الثاني لعزرا ويسمى سفر نحميا، 17- كتاب أيوب، 18- زبور، 19- أمثال سليمان، 20- كتاب الجامعة، 21- كتاب نشيد الإنشاد، 22- كتاب إشْعَيَاء، 23- كتاب إرْمِياء، 24- مراثي إرْمياء، 25- كتاب حزقيال، 26- كتاب دانيال، 27- كتاب هوشع، 28- كتاب يوئيل، 29- كتاب عاموص، 30- كتاب عوبديا، 31- كتاب يونان، 32- كتاب ميخا، 33- كتاب ناحوم، 34- كتاب حَبَقُّوق، 35- كتاب صفونيا، 36- كتاب حجّى، 37- كتاب زكريا، 38- كتاب ملاخيا. وهذه الكتب الثمانية والثلاثون كانت مسلّمة عند جمهور القدماء من المسيحيين. والسامريون لا يسلمون منها إلا سبعة كتب: الكتب الخمسة المنسوبة الى موسى عليه السلام، وكتاب يوشع بن نون، وكتاب القضاة وتخالف نسخة توراتهم نسخة توراة اليهود"[264]، ويقولون إن التوراة التي بأيدي اليهود محرفة مبدلة ويقطعون بذلك، وسائر اليهود يقولون إن التي بأيدي السامرية أيضاً محرفة مبدلة.

"وأما القسم الثاني من العهد العتيق فتسعة كتب:

---

[264] إظهار الحق ج1 ص95-96، للشيخ رحمة الله.

1- كتاب أســتير، 2- كتاب باروخ، 3- جزء من كتاب دانيال، 4- كتاب طوبيا، 5- كتاب يهوديت، 6- كتاب وزدم، 7- كتاب ايكليزيا ستيكس، 8- كتاب المقابيين الأول، 9- كتاب المقابيين الثاني"[265].

"وأما القسم الأول من العهد الجديد فعشرون كتاباً:

-1إنجيل متى، 2- إنجيل مرقس، 3- إنجيل لوقا، 4- إنجيل يوحنا، ويقال لهذه الأربعة الأناجيل، ولفظ الإنجيل مختص بكتب هؤلاء الأربعة وقد يطلق مجازاً على مجموع كتب العهد الجديد، وهذا اللفظ معرّب كان في الأصل اليوناني "انكليون" بمعنى البشارة والتعليم.

5- كتاب أعمال الحواريين ([5 في القسم الأول إلى 7 في القسم الثاني- بدل هذه الألفاظ مذكورة في النســخة المطبوعة للعهد الجديد هكذا "على الترتيب": 1- أعمال الرســل، 2- كورنثوش، 3- فيلبي، 4- كولوســي، 5- تسـالونيكي، 6- تيطس، 7- فليمون، 8- يهوذا، 9- رؤيا يوحنا]) 6- رســالة بولس إلى أهل رومية، 7- رســالته إلى أهل قورنيثيون، 8- رســالته الثانية إليهم، 9- رســالته إلى أهل غلاطية، 10- رســالته إلى أهل إفســس، 11- رســالته إلى أهل فيلبس، 12- رســالته إلى أهل قولا سائس، 13- رسالته الأولى إلى أهل تسالونيقي، 14- رسالته الثانية إليهم، 15- رسالته الأولى إلى تيموثاوس، 16- رســالته الثانية إليه، 17- رســالته إلى تيطوس، 18- رســالته إلى فيليمون، 19- الرسالة الأولى لبطرس، 20- الرسالة الأولى ليوحنا سوى بعض الفقرات.

وأما القسم الثاني من العهد الجديد فسبعة كتب وبعض الفقرات من الرسالة الأولى ليوحنا:

1- رسالة بولس إلى العبرانيين، 2- الرسالة الثانية لبطرس، 3- الرسالة الثانية ليوحنا، 4- الرسالة الثالثة ليوحنا، 5- رسالة يعقوب، 6- رسالة يهودا، 7- مشاهدات يوحنا"[266].

---

[265] إظهار الحق ج1 ص96-97.

[266266] إظهار الحق ج1 ص97-98.

بيان أن أهل الكتاب

لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتبهم

"ليعلم أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد، وأما الإسناد إلى شخص ذي إلهام بمجرد الظن والوهم فلا يكفي، فلا نعتقد بمجرد نسبَة كتاب من الكتب إلى نبي أو حواري، أنه إلهامي أو واجب التسليم، وكذلك لا نعتقد ذلك بمجرد ادعائهم بل نحتاج إلى دليل يثبت صحة نسبة أي كتاب بالسند المتصل الذي يرويه الثقة عن الثقة من ابتداء السند إلى انتهائه بالشروط المتقررة لدى أهل هذا الشأن.

أما التوراة هذه فتواترها منقطع قبل زمان يوشيا بن آمون، والنسخة التي وجدت بعد ثماني عشرة سنة من جلوسه على سرير السلطنة لا اعتماد عليها يقيناً، ومع كونها غير معتمدة ضاعت هذه النسخة أيضاً غالباً قبل حادثة بختنصّر، وفي حادثته انعدمت التوراة وسائر كتب العهد العتيق عن صفحة العالم رأساً، ولما كتب عزرا هذه الكتب على زعمهم ضاعت نسخها وأكثر نقولها في حادثة أنتيكوس[267]. ومن أراد التوسع في الاستدلال على ذلك فليراجع كتاب إظهار الحق فإنه يجد بغيته"[268].

وأما هذه الأناجيل الأربعة فقد اعترف بعض علمائهم بعدم وجود سند كهذا عندهم "بل اعتذر القسيس "فرنج" عن ذلك بوقوع حوادث عظيمة في القرون الأولى من القرون المسيحية الى ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة، ولا ننكر الظن والتخمين، ولا نقول إنهم لا ينسبون كتبهم الى مصنفيها بالظن والقرائن، بل نقول إن الظن والقرائن لا تسمى سنداً على أنّ كثيراً من علمائهم المعتبرين عندهم من طائفة البروتستانت والكاثوليك صرحوا بوقوع التحريف بأقسامه والتبديل والتغيير في كتبهم، ويجدر بنا أن نذكر بعض أسماء علمائهم المعترفين بذلك"[269] إتماماً لإقامة الحجة عليهم بأقوال مقدَّميهم، فمنهم:

1- **هورن** فقد "قال في الباب الثاني من القسم الثاني من المجلد الرابع من تفسيره المطبوع سنة 1812: الحالات التي وصلت الينا في باب زمان تأليف الأناجيل من قدماء مؤرخي الكنيسة ناقصة وغير معينة، لا توصلنا إلى أمر معيّن، لا توصلنا إلى أمر معيّن، والمشايخ القدماء الأولون

---

[267] المراد هنا أنتيكوس الرابع حكم سوريا من 174 إلى 164 ق م، واضطهد اليهود وذبحهم. "من حاشية إظهار الحق ص104 ج1.

[268] هذه الفقرة أغلب عباراتها منقولة من إظهار الحق ج1 ص101-104 مع بعض التصرف والزيادة.

[269] القول الثبت ص16 بتصرف.

صـــــدقوا الروايات الواهية وكتبوها وقَبِلَ الذين جاؤوا من بعدهم مكتوبهم تعظيماً لهم، وهذه الروايات الصادقة والكاذبة وصلت من كاتب إلى كاتب آخر وتعذر انتقادها بعد انقضاء المدة.

ثم قال في المجلد المذكور:

ألف الإنجيل الأول ســــنة 37 أو 38 أو 41 أو 43 أو 48 أو 61 أو 62 أو 63 أو 64 من الميلاد.

وألف الإنجيل الثاني سنة 56 أو ما بعدها الى سنة 65.

وألف الإنجيل الثالث سنة 53 أو 63 أو 64.

وألف الإنجيل الرابع سنة 68 أو 69 أو 70 أو 97 أو 98 من الميلاد"[270].

وقد صرح هورن بوقوع التحريف في كتبهم في المجلد الثاني من تفسيره.

2- موشم في الصحيفة 65 من المجلد الأول من تاريخه المطبوع سنة 1332.

3- لاردز، قال في الصحيفة الرابعة والعشرين بعد المائة من المجلد الخامس من تفسيره:

حكم على الأناجيل المقدسة لأجل جهالة مصنفيها بأنها ليست حسنة فأمر السلطان "أناصطيوث" في الأيام التي كان فيها حاكماً في القسطنطينية فصححت مرة أخرى.

4- جيروم، قال إنه لما اراد ترجمة العهد الجديد قابل نسخه التي كانت عنده فوجد اختلافاً عظيماً.

5- آدم كلارك، قال في المقدمة من المجلد الأول من تفسيره: كانت الترجمات الكثيرة باللسان اللاتيني من المترجمين المختلفين موجودة قبل جيروم وكان بعضــــها محرفاً في غاية درجة التحريف وبعض مواضعها مناقضاً للمواضع الأخرى"[271].

وغيرهم ممن لا نطيل بسرد أقوالهم اكتفاء بما أوردناه نقلاً عن هؤلاء المشهورين عندهم.

فتبين أن دعوى عدم تحريف التوراة والإنجيل الأصـليين دعوى باطلة، وان حاول البعض الاسـتدلال على ذلك ببعض الآيات القرآنية مؤولين لها على وفق ما تملي عليهم شياطينهم وأهواؤهم فإن في ذلك مغالطة واضحة، وبطلان ذلك من وجوه:

"الأول: قد ثبت بنص القرآن الصـــريح كما قدمنا ما يدل على تحريف تلك الكتب التي بأيدي أهل

---

[270] إظهار الحق ج1 ص134-135.

[271] القول الثبت ص16-17 بتصرف.

الكتاب.

الثاني: ثبت باعتراف الكثيرين من مشاهير علمائهم المعتمدين عندهم ما يدل على ذلك أيضاً كما مرّ آنفا.

الثالث: في تلك الكتب مئات الشواهد على ما لحقها من تحريف وتبديل وزيادة ونقصان وقد ذكر الشيخ رحمة الله في كتابه إظهار الحق مائة شاهد من نصوصهم على وقوع ذلك، وكذا الشيخ عز الدين المحمدي ذكر في كتابه الفاصل بين الحق والباطل عدة من التناقضات الواقعة في العهد الجديد الدالة على التغيير والتبديل وعدم الوثوق به، وهو ممكن مراجعته لكل شخص وكذلك كتاب تحفة الأريب لعبد الله ترجماني.

الرابع: يعترف علماء النصارى أن عيسى عليه السلام لم يأخذ قلماً بنفسه مطلقاً ولم يترك شيئاً مسطراً من أقواله ولم يكلف أحداً بجمع مقالاته، وإنما أحاديثه ومواعظه كانت كلها شفاهاً لم تسطرها الأقلام، لا في زمنه ولا في زمن قريب منه، وبعد رفعه عليه السلام اشتغل تابعوه بالمنازعات والمدافعات عن دينهم والمقاومات الدموية التي أهرقت دماء كثير من أتباعه، فبقوا سنين كثيرة على ذلك ولم يتفكروا في تدوين ذلك حتى آل الأمر إلى اختلاف المذاهب وتعدد الطوائف، وصار أكثر من خمسين إنجيلاً، ثم في الجيل السادس بعد رفع عيسى عليه السلام اتفقوا على أربعة أناجيل:

الأول: إنجيل متى وهو من الحواريين الاثني عشر، وبشر بإنجيله باللغة السريانية بأرض فلسطين بعد صعود المسيح بثماني سنين وقد ضاعت النسخة الأصلية ولم يبق على قولهم إلا ترجمتها اليونانية الموجودة الآن ويستحيل صحة تحقيق الترجمة لعدم وجود الأصل.

الثاني: إنجيل مرقس، وهو من السبعين ولم يجتمع بالمسيح وبشر بإنجيله باللغة اليونانية بمدينة رومة بعد صعود المسيح بثلاثين سنة.

الثالث: إنجيل لوقا وهو من السبعين ولم ير المسيح وبشر بإنجيله باللغة اليونانية بإسكندرية بعد صعوده بثمان وعشرين سنة.

الرابع: إنجيل يوحنا وهو من الحواريين الاثني عشر وبشر بإنجيله في مدينة أفسيس باللغة اليونانية التي تعلمها في سن الشيخوخة بعد أن كان لا يعرف الكتابة والقراءة في لغته وذلك بعد صعود عيسى عليه السلام بثمان وثلاثين سنة.

ثم في هذه الأناجيل الأربعة من التناقض والتعارض أمر عظيم حتى إن من وقف عليها يشهد بصريح

عقله أنها ليست الإنجيل المنزل من عند الله تعالى، وأنّ أكثرها أقوالُ الرواة وقصصهم وأنَّ نقلَتَها أفسدوها بما ألحقوا فيها من حكايات وأمور غير مسموعة من المسيح ولا من أصحابه، وذلك مثل حكاية صورة الصلب التي يزعمونها واسوداد الشمس وتغير لون القمر وانشقاق الهيكل، وهذه الأمور إنما جرت على زعمهم بعد المسيح بسبب قتله فكيف تُجعل من كلامه.

فالإنجيل الحق واحد وهذه أربعة أمليت في أقطار متباعدة بلغات مختلفة وأقلام متباينة وإن كل واحد منها ذكر فيه من القصص والحكايات ما لم يذكر في الآخر، ثم إن لوقا ومرقس ليسا من الحواريين ولم يجتمعا بالمسيح، وقد اعترف لوقا في صدر إنجيله أنه لم يلق المسيح ولم يخدمه.

ثم إن هؤلاء الأربعة لم يدعوا أن ما كتبوه هو الإنجيل المنزل من عند الله، ولم يسموا ما كتبوه إنجيلاً وانما سموها تواريخ كما يظهر من أقوالهم التي في أوائل كتبهم، قال متى: كتاب ميلاد عيسى المسيح بن داود بن إبراهيم ثم سمتها النصارى بعدهم أناجيل.

الخامس: لا يوجد للعهدين سند متصل، ولا توجد شروط التواتر في نقلهما.

السادس: إن اليهود ضيعوا كتباً من الكتب الإلهية لأجل غفلتهم بل لأجل عدم ديانتهم، ومزقوا بعضها وأحرقوا بعضها، كما قال ذلك "كريزاستم" من علماء البروتستانت وكذا كثير من علماء الكاثوليك. وقد قال "طامس انكاس" من علماء الكاثوليك في كتابه المسمى بـ "مرآة الصدق" الذي طبع بلسان الهند سنة 1851: "اتفق العالم على أن الكتب المفقودة من الكتب المقدسة ليست أقل من عشرين كتاباً"[272].

ولا نطيل الكلام بسرد الأدلة ونقل العبارات التي تدل على التناقض والتحريف في العهدين، اكتفاء بما مرّ وبما سنورده من بيان فساد معتقد أهل الكتاب في الله تعالى وفي أنبيائه، ومن أراد مزيد توسع فليطلع على ما في كتاب إظهار الحق.

ذكر افتراق اليهود

"ذكر جمهور المفسرين أن قوماً من بني إسرائيل لما طالت عليهم المدة وقست قلوبهم تكلفوا ووضعوا كتباً كما كانوا يشتهونه، وكانوا يدعون أن تلك الكتب من عند الله، وكانوا يقولون إن من خالفنا في هذا قتلناه، ثم تفكروا فقالوا جميع بني اسرائيل لا يمكن قتلهم، ولكن لبني إسرائيل عالم هو حبرهم فيما بينهم

[272] القول الثبت ص18-19-20-21-22-23، باختصار وتصرف وزيادة.

كبير نعرض عليه ما وضعناه فإن قبله صار من أتباعنا، وإن لم يقبله قتلناه حتى يصير جميع بني إسرائيل تبعاً لنا، فراسلوه فعلم الرجل ما في أنفسهم فكتب كتاب الله في رق رقيق بخط دقيق، ووضع ذلك في قرن، ثم تقلد ذلك القرن، ولبس فوقه الثياب، ثم جاء إليهم فعرضوا عليه ما كان عندهم، ودعوه إلى الإيمان به. فأشار إلى صدره حيث كان ذلك القرن وقال نعم آمنت بهذا ومالي لا أؤمن به. وكان له أصحاب يراعون حاله حتى مات فوجدوا معه ذلك القرن، فقالوا إنه إنما قال لهذا القرن آمنت به واختلفوا فيه، ووقع الخلاف بسببه في بني إسرائيل حتى صاروا إحدى وسبعين فرقة.

وعلى الإجمال تجمعهم خمْس فرق وهي:

السامرية: وهم يقولون إن مدينة القدس هي نابلس، وهي من بيت المقدس على ثمانية عشر ميلاً، ولا يعرفون حرمة لبيت المقدس ولا يعظمونه، ولهم توراة غير التوراة التي بأيدي سائر اليهود، ويبطلون كل نبوة كانت في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع عليهما السلام... ولا يقرون بالبعث البتة وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها.

والصدوقية: ونسبوا إلى رجل يقال له صدوق، وهم يقولون من بين سائر اليهود إن العزير هو ابن الله، تعالى الله عن ذلك، وهم بجهة اليمن.

والعنانية: وهم أصحاب عنان الداودي اليهودي، وتسميهم اليهود العراس والمس، وقولهم إنهم لا يتعدون شرائع التوراة وما جاء في كتب الأنبياء عليهم السلام، ويتبرؤون من قول الأحبار ويكذبونهم، وهذه الفرقة بالعراق ومصر والشام وهم من الأندلس بطليطلة وطليبرة.

والربانية: وهم الأشعنية وهم القائلون بأقوال الأحبار ومذاهبهم وهم جمهور اليهود.

والعيسوية: وهم أصحاب أبي عيسى الأصبهاني رجل من اليهود كان بأصبهان، اسمه محمد بن عيسى وهم يقولون بنبوة عيسى ابن مريم ومحمد صلى الله عليهما وسلم، ويقولون إن عيسى بعثه الله عز وجل الى بني إسرائيل على ما جاء في الإنجيل، وإنه أحد أنبياء بني إسرائيل، ويقولون إن محمداً صلى الله عليه وسلم نبي أرسله الله تعالى بشرائع القرآن إلى بني إسماعيل وإلى سائر العرب.

فاليهود إذاً في أصل الدين فريقان:

قوم ينكرون نبوة محمد عليه الصلاة والسلام وقوم لا ينكرون لكن يقولون إنه كان مبعوثاً إلى العرب دون العجم. "وهم العيسويون".

واعلم أن اليهود في أصول التوحيد فريقان:

فريق منهم القدرية ويقولون إن الحيوانات تخلق أفعالها، وكثير من الأمم كان فيما بينهم جماعة من القدرية وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم: لُعنت القدرية على لسان سبعين نبياً[273].

والفريق الآخر المشبهة، وهم الأصل في التشبيه، وكل من قال قولاً في دولة الإسلام بشيء من التشبيه فقد نسج على منوالهم، وقد أخذ ببعض مقالاتهم الهشامية من الروافض وغيرهم"[274].

وإن من ينظر في الكتب التي بأيدي اليهود لعنهم الله تعالى يجد فيها أنهم قد جعلوا الله عز وجل إنساناً كسائر البشر حيث وصفوه بالمكان والانتقال والشكل والصورة والرأس والشعر والوجه والقفا والعين والأذن والفم والشفة واللسان والأجفان واليد والعضد والأصابع والقدم والظهر والبطن والفرج والقلب والمشي والتعب والاستراحة والندم وغير ذلك مما يَقِفُّ منه شعر المؤمن.

---

[273] أخرجه الطبراني في الأوسط بإسناد فيه متروكُ الحديث، (من حاشية الكوثري على التبصير).

[274] التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ص135-136 بتصرف.

اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار[275]

لليهود مشكلة نفسية قائمة على اعتقادهم أنهم شعب الله المختار، وأنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم جبلّة خاصة تمتاز على سائر أمم الأرض، وأن سائر الأمم بالنسبة إليهم بمنزلة البهائم التي ينبغي أن تكون مسخرة لهم، لذلك فلا حرج عندهم أن يسلبوا "الأميّين" أموالهم بأية وسيلة غير مشروعة، ولا حرج عندهم أن يفتكوا بالشعوب ويفسدوا أخلاقها وأوضاعها الاجتماعية، فدماء الأمم مهدرة في نظرهم، وهم يحقدون على سائر الأمم والشعوب، لأنها لا تعترف لهم بهذا الحق الذي يرونه لأنفسهم من دون الناس زوراً وبهتاناً، وظلماً وعدواناً ولأنها لا تمنحهم مقام السيادة المطلقة، مع أن الله قد ضرب عليهم الذلة والمسكنة بذنوبهم الكثيرة وجرائمهم الشنيعة.

إنهم يرون أنفسهم ذرية النبيين الذين تتصل أصولهم بإبراهيم عليه السلام ويعتبرون هذه النسبة وحدها كافية في تفضيلهم على الناس مهما تنكروا بعقائدهم وأعمالهم لأنبيائهم ورسلهم، ويُزهون بأن الله اصطفى موسى عليه السلام من بني إسرائيل، فأنزل عليه التوراة، وحمّله رسالة كبيرة ذات شأن في تاريخ الرسالات السماوية، ويعتبرون هذا كافياً لأن يخلد لبني إسرائيل مجداً دينياً تدعمه الصلة النَسَبية فقط، مهما ابتعدوا عن جوهر الرسالة التي أمرهم الله بالاستمساك بها ومهما حرّفوا فيها وبدلوا، وهما تنكروا لرسالات الله اللاحقة، التي أمرهم الله باتباعها، وأخذ عليهم العهد بذلك على ألسنة أنبيائهم.

وما زال اليهود قديماً وحديثاً يقسمون الناس إلى قسمين: يهود، وجوييم "أي أمم" والأمم غير اليهودية عندهم بهائم وأنجاس وكفرة، وهم يعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية على سبيل الاستحقاق الذاتي لها، والتكريم لهم، أما الجوييم فقد خلقوا من طينةٍ أخرى حيوانية، ونفوسهم نجسة شيطانية، وأن الله خلقهم ليخدموا اليهود، ومنحُهم الصورة البشرية لا على سبيل الاستحقاق الذاتي، ولكن ليأنس بذلك أسيادهم، ويسهل عليهم تسخيرهم.

فإذا كان هذا معتقدهم فلا حرج عندهم أن يستحلوا السرقة والكذب والخداع والظلم والغش والربا، والقتل وهتك العرض، وكل وسيلة قبيحة خبيثة في معاملة الأمم غير اليهودية.

كيف لا وهم يعتقدون أنهم أبناء الله وأحباؤه، أما الأمم الأخرى فهم أعداء الله، وبما أنهم أعداء الله فإن الله لا يعاقب أبناءه وأحباءه على الجرائم التي يرتكبونها في معاملة أعدائه من الأمم مهما كان شأنها، بل

---

[275] مكائد يهودية ص11-17، عبد الرحمن حبنكة الميداني بتصرف.

يسجلها لهم في صحائف قرباتهم وحسناتهم ويثيبهم عليها.

وفي مقدمة ما يحتجون به ما فعله موسى عليه السلام حينما وكز المصري الفرعوني منتصراً للإسرائيلي الذي يختصم معه فقضى عليه، ومعلوم أن موسى لم يكن يقصد قتل الرجل وإنما أراد دفع أذاه، وفعل ذلك بغير وحي، فليس فيه حجة لليهود بحال من الأحوال.

ومما يستندون إليه نصوص مفتراه على شريعة الله موجودة في كتبهم التي يعتمدون عليها. ففي تلمودهم أكاذيب ومفتريات كثيرة وضعها أحبارهم، والتلمود هو عبارة عن شروح وتفسيرات ومنقولات وضعها أحبار اليهود في عصور شتى، وكانوا يتبعون في وضعها الأهواء.

ومما جاء في التلمود قولهم: تتميز أرواح اليهود عن باقي أرواح البشر بأنها جزء من الله تعالى، كما أن الابن جزء من أبيه، وإنه يجب على كل يهودي أن يبذل جهده لمنع تسلط باقي الأمم في الأرض، وأن اليهودي معتبر عند الله أكثر من الملائكة، وأن اليهود جزء من الله فإذا ضرب "أميٌّ" إسرائيلياً فكأنه ضرب العزة الإلهية.

ومشكلتهم النفسية هذه كانت سبباً لظاهرة التقليد لما عليه آباؤهم وأجدادهم ولو كان باطلاً ظاهراً وضلالاً مبيناً.

ظاهرة التقليد والتعصب عند اليهود[276]

تبدو عند اليهود ظاهرة التقليد الأعمى أو التقليد المبصر في اتباع الشر- خبثاً أو تعصباً لما كان عليه الآباء والأجداد- أكثر مما تبدو عند أية أمة من الأمم، حتى الوثنيين منهم، لكنهم يستطيعون في كثير من الأحيان التلاعب بالحجة حتى يصوروا هذه الظاهرة عندهم كأنها بعيدة عن معنى التقليد والتعصب، في حال أنهم أشد ما يكونون غارقين في التعصب والتقليد الأعمى، وقد لا نسميه تقليداً أعمى بكل ما في هذه الكلمة من معان، بل نسميه تقليداً مبصراً في اتباع سبل الشر، وهذا شر وأخبث من التقليد الأعمى، لأنه تلاعب شيطاني بقضايا الحق تحت ستار التقليد لتحقيق شهوات النفوس الشريرة وغاياتها الدنيئة.

وضمن هذا التلاعب الشيطاني في إطار الاحتجاج بحجة اتباع ما كان عليه الآباء والأجداد، احتج بعض اليهود على الرسول صلى الله عليه وسلم حينما دعا يهود المدينة إلى الإسلام، ورغبهم فيه وحذرهم من عذاب الله ونقمته، إذ قال له رافع بن خارجة، ومالك بن عوف -وهما من أحبار يهود بني قينقاع-: بل نتبع يا محمد ما وجدنا عليه آباءنا فهم كانوا أعلم وخيراً منا فأنزل الله تعالى في سورة البقرة قوله:

﴿وإذ قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أَوَلَو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ [البقرة، الآية: 170].

أي أنهم يتبعون آباءهم ويقلدونهم ويصرون على رأيهم هذا إذا كان آباؤهم لا يهتدون إلى سبيل النجاة مهما جاءتهم المبشرات والمنذرات، لأن نفوسهم مردت على الشر ولأن قلوبهم مرت عليها عوامل التحجر فقست، فهي لا تلين للمواعظ ولا تنتفع بالمذكرات.

وبهذا تضع الآية الكريمة التقليد في الأمور التي يلتزم بها المقلدون دون أن يكون لهم فيها حجة إلا التقليد بين سببين:

السبب الأول: العمى الفكري عن البحث والتأمل الذاتي، الذي يجعل سلطان هوى التعصب للأنانية القومية أقوى من سلطان العقل، لأن العقل لديهم قد تبلّد عن الحركة، وأصابه الجمود عن البحث في المعارف، وتمييز الحق من الباطل، وتعطل عما خلق لأجله.

فلا بد والحالة هذه أن يكون الحاكم في الإنسان أهواؤه، ومن الأهواء ذات السلطان على النفس هوى

---

[276] مكائد يهودية ص17-20، عبد الرحمن حبنكة الميداني، بتصرف.

التعصـــب لما كان عليه الآباء والأجداد، لأن الجمود الفكري يرافقه دائماً إلفٌ للواقع واســتحســان له، وعدم الرغبة بالتغيير، وهذا الســبب هو ما أشــارت إليه الآية بقوله تعالى: ﴿أَوَلَو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً﴾.

الســبب الثاني: تحكم ســلطان الأهواء والشــهوات عند مدعي التقليد، ثم التســتر بحجة اتباع الآباء والأســلاف، والتعامي عن إظهار تفهم منطق الحق، لئلا تلزمهم الحجة -بزعمهم- وهؤلاء في الحقيقة يعلمون الحق، وليس لديهم ذلك العمى الفكري عن معرفته، ولكن أعمتهم أهواؤهم الخاصــة، وأضـلتهم شـهواتهم عن سـلوك سـبل الهدى، ثم أخذوا يتعللون بحجة التقليد، ويكون ذلك إذا كان ما عليه آباؤهم وأجدادهم موافقاً لأهوائهم وشهواتهم الخاصة، وهذا السبب هو الذي دفع أحبار اليهود إلى إنكار رسالة عيسى عليه السـلام، ثم إلى إنكار رسـالة محمد صـلوات الله وسـلامه عليه، وجحود الحق الذي جاء به، وما احتجاجهم بحجة تقليد أسـلافهم إلا تهرب من سـلطان الحجة العقلية الملزمة، وهذا السـبب هو ما أشارت إليه الآية في قوله تعالى: ﴿ولا يهتدون﴾ أي أولوا كان آباؤهم تمردوا على الحق بعد معرفته وأصروا على سلوك سبل الضـلالة، بتأثير دوافع غرائزهم وأهوائهم وشـهواتهم ورفضـوا أن يسلكوا مسـالك الهداية، أفهم يقلدونهم في خطتهم هذه؟ فإذا قلدوهم في خطتهم هذه مع معرفتهم بدوافعهم لســلوك ســبل الضـلالة، فهم مثلهم في التزام طرق الشـر والضـلال بدوافع الغرائز والأهواء والشـهوات مضـافاً إليها هوى التعصب المذموم.

عقيدة اليهود في الله

جاء في مواضع كثيرة جداً من العهد القديم نسبة الجسمية والشكل والأعضاء لله تعالى ونذكر هنا أمثلة لا على سبيل الحصر[277]:

1- إثبات الشكل والصورة لله: في العدد 26 و 27 من الباب الأول من سفر التكوين

في العدد السادس من الباب التاسع من السفر نفسه

2- إثبات الرأس: العدد 17، الباب، كتاب أشعياء

3- إثبات الرأس والشعر: العدد 9، الباب 7، كتاب دانيال

4- إثبات الوجه واليد والعضد: العدد 3، الزبور الثالث والأربعين

5- إثبات الوجه والقفا: العدد 22-23، الباب 33، كتاب الخروج

6- إثبات العين والأذن: العدد 18، الباب 9، كتاب دانيال

7- إثبات العين: العدد 29 و 52، الباب 8 سفر الملوك الأول

العدد 17، الباب 16 كتاب أرمياء "وفيه نسبة الوجه أيضاً"

العدد 19، الباب 32 كتاب أرمياء

العدد 21، الباب 34 كتاب أيوب

العدد 21، الباب 5 كتاب الأمثال

العدد 3، الباب 15 كتاب الأمثال

8- إثبات العين والأجفان: العدد 4، الزبور العاشر

9- إثبات الأذن والرجل والأنف والنفس والفم: العدد 6-8-9-15، الزبور السابع عشر

10- إثبات الشفة واللسان: العدد 27، الباب 30 كتاب أشعياء

11- إثبات اليد والقدم: العدد 3، الباب 33 سفر الاستثناء

12- إثبات الأصابع: العدد 18، الباب 31 سفر الخروج

13- إثبات البطن والقلب: العدد 19، الباب 4 كتاب أرمياء

---

[277] إظهار الحق ج1، ص544 - 545 بتصرف.

14- إثبات الظهر: العدد 3، الباب 21 كتاب أشعياء

15- إثبات الفرج: العدد 7، الزبور.

هذا بالإضافة إلى وصفهم الله عز وجل بالمكان والانتقال والمشي والندم والتعب.

ومن وجدت فيه هذا الأعضاء التي أثبتها اليهود لله عز وجل، لم يكن إلا من قبيل البشر، ومن كان كذلك كان محتاجاً مخلوقاً ولم يكن خالقاً، وبم يجيبون فرعون لعنه الله في ادعائه الربوبية؟!

على أنه في بعض المواضع من كتبهم توجد عبارات فيها أن الله عز وجل لا شبيه له، فثبت التناقض.

هذا وقد قام البرهان العقلي القاطع المؤيد بالأدلة النقلية الثابتة على أن الله عز وجل ليس كمثله شيء، وأنه خالق كل شيء فلا مثيل له ولا شبيه وأنّى يشبه المخلوق خالقه والمقدور مقدِّره.

ذكر افتراق النصارى

"ذكر بعض العلماء أنه كان في اليهود رجل اسمه بولس قتل من النصـارى مقتلة عظيمة ثم قال لليهود إن كان قوم عيسـى على الحق ونحن قد كفرنا بهم يكون علينا غبن عظيم فإنهم يدخلون الجنة ونحن ندخل النار، ولكني احتال حيلة حتى أفسـد عليهم دينهم، وكان له فرس اسمه عقاب، وكان يقاتل عليه، فقام وعقر ذلك الفرس وأظهر الندم على ما كان منه ونثر التراب على رأسـه ثم جاء الى النصـارى متندما بظاهره فقالوا له من أنت؟ فقال أنا بولس كنت أشد عدو لكم ولكني سمعت من السماء نداء أن توبتك لا تقبل إلا أن تتنصر. الآن تبت ورجعت إلى دينكم. فأكرموه وأدخلوه كنيستهم فلازم بيتاً من بيوتها لم يخرج منه ليلاً ولا نهاراً حتى تعلم الإنجيل ثم خرج وقال سمعت من السـماء إن توبتك قد قُبلت، وإن صـدقك قد عرف، وإنك قد أحببت وقبلت. ثم خرج إلى بيت المقدس واسـتخلف رجلاً من نسـطور وعلّمه أن عيسـى ومريم والإله كانوا ثلاثة، ثم خرج إلى الروم وعلمهم اللاهوت والناسـوت وقال لهم إن عيسى لم يكن ناساً ثم صار ناساً، ولم يكن جسماً ثم صار جسماً، وكان ابن الله وعلم يعقوب هذا القول، ثم دعا رجلاً كان اسمه ملكاء وقال له إن الإله الذي لم يزل ولا يزال هو عيسى. ثم دعا كل واحد من هؤلاء الثلاثة منفرداً وقال له أنت صاحبي خالصاً فإني أريد أن أفضي إليك سراً، ينبغي أن لا تتركَ نِحْلتك هذه وتدعو الخلق إليها، فقد رأيت عيسى عليه السلام البارحة في المنام وكان راضياً عني، فينبغي أن لا ترجع عن نِحلتك بحال، فإني أريد أن أتقرب إلى الله تعالى بقربان لرضاه عني أذبح نفسي قرباناً، ثم قام ودخل المذبح وذبح نفسه.

فلما كان اليوم الثالث من وفاته قام كل واحد من أولئك الثلاثة ودعا الناس إلى نحلته. وتبع كل واحد منهم جماعة من الناس وكانوا يتقاتلون فيما بينهم، وبقي بينهم ذلك الخلاف، ولم يزالوا يختلفون حتى بلغ عدد فرقهم مثل ما نطق به الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم: "افترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة"[278].

[278] التبصير في الدين لأبي المظفر الإسفراييني ص137 – 138 بتصرف.

التثليث عند النصارى

"ليعلم أن النصـارى قائلون إن الله تعالى جوهر واحد وثلاثة أقانيم، أُقنوم الأب، وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس، وإن الثلاثة واحد في الجوهر مختلفة الأقانيم، وقال بعضـهم إنها أشـخاص وذوات، وقال بعضـهم إنها خواص، وقال بعضهم إنها صفات، وقال بعضهم إن أقنوم الأب هو الذات وأقنوم الابن هو الكلمة وهي العلم وإنها لم تزل متولدة من الأب لا على سبيل التناسل بل كتولد ضياء الشمس عنها، وإن أقنوم روح القدس هي الحياة وإنها لم تزل فائضة بين الأب والابن.

والنصارى ثلاثة مذاهب: اليعقوبية، والملكية، والنسطورية.

فأما اليعقوبية فهم فرق كثيرة وهم قائلو بأن المسـيح عليه السـلام طبيعة واحدة من طبيعتين، أحدهما طبيعة اللاهوت والأخرى طبيعة الناسـوت، وإن هاتين الطبيعتين تركبتا كما تركبت النفس مع البدن واتحدتا فصارتا إنسـاناً واحداً وجوهراً واحداً وإلهاً واحداً، وإن هذه الطبيعة الواحدة والشخص الواحد هو المسيح، وهو بزعمهم إله كلّه وإنسان كله، ومنهم من يقول بالممازجة بين أقنوم الأب وأقنوم روح القدس وانه صار منهما شيء ثالث كما تمتزج النار بالفحمة فيصير منها جمرة، والجمرة ليست ناراً خالصة ولا فحمة خالصة، وهذا موافق لما يذكرونه فيما يسمونه بتسبيحة إيمانهم من قولهم نزل من السماء وتجسد من روح القدس وصار إنسـاناً، ولذلك قالوا المسيح جوهر من جوهرين، وأقنوم من أقنومين، ويقولون إن مريم ولدت الله تعالى، وإن الله تعالى تألم وصلب متجسداً ودقت المسامير في يديه ومات ودفن وقام من بين الأموات بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء.

وأما النسـطورية فهم فرقة واحدة وظاهر قولهم أن الاتحاد على معنى المسـاكبة وأن الكلمة جعلته محلاً ادّرعته ادّراعاً، وقالوا إن المسيح جوهران أقنومان، وقال بعضـهم إن الاتحاد وقع به كما اتحد نقش الفص بالشـمع وصـورة الوجه بالمرآة من غير أن يكون قد انتقل نقش من الفص إلى الشـمع أو من الوجه الى المرآة، وقال بعضهم اتحاد الكلمة هو ظهورها وظهور المعجزات عليها، وقال بعضهم إن المسيح شخصان وطبيعتان، وإن طبيعة اللاهوت التي للمسيح غير طبيعية ناسوته، وإن المسيح صار بذلك إلهاً وإنسـاناً، فهو إله بجوهر اللاهوت الذي لا يزيد ولا ينقص، وإنسان بجوهر الناسوت القابل للزيادة والنقصان، وقالوا إن مريم ولدت المسيح بناسوته وإن اللاهوت لم يفارقه قط منذ اتحد بناسوته.

وأما الملكية وهم الروم فيقولون إن الابن الأزلي الذي هو الكلمة تجسد من مريم تجسداً كاملاً، وإنه صار إنسـاناً بالنفس والجسـد اللذين هما من جوهر الناسـوت وإلهاً بجوهر اللاهوت كمثل أبيه، وهو شـخص

واحد، وقالوا إن مريم ولدت إلها، وإن المسيح وهو اسم يجمع اللاهوت والناسوت قد مات وقالوا إن الله لم يمت وإن الذي ولدته مريم مات بجوهر ناسوته"[279].

ظاهرة التقليد الأعمى عند النصارى

"النصارى أمة عمياء وطائفة جهلاء، قد غلب عليهم التقليد، وتجنبوا محجة النظر السديد، حتى إنهم لا يبحثون عن صحة ما يلقيه إليهم أساقفتهم، ولا يتأملون ما يعتمده في دينهم أكابرهم وطغاتهم، ولولا ذلك لم يبق لدين النصرانية وجود لظهور فساده، وناهيك من قوم يعتقدون أن إلههم خلق أمه، وأن أمه قد ولدت خالقها"[280].

"فهم في مباحث عقائدهم لا يعولون إلا على التقليد المحض عاضين بالنواجذ على ظواهر أطلقها الأولون ولم ينهض بإيضاح مُشكلها –لقصورهم– الآخرون، ظانين بأن ذلك هو الشرع الذي شرعه لهم عيسى عليه الصلاة والسلام، معتذرين عن اعتقادها بما ورد من نصوص يعتقدون أنها قاهرة للفكر غير قابلة للتأويل وأن صرفها عن ظاهرها عسير. وهم في ذلك طائفتان:

طائفة – وهم الأكثر– لم يمارسوا شيئاً من العلوم التي يقف بها الناظر على استحالة المستحيل فيجزم باستحالة وجوده وإيجاب الواجب، فينفي إمكان عدمه، وإمكان الممكن. بل ارتسمت في أذهانهم صور منذ صغرهم، واستمرت بهم الغباوة إلى أن صار ذلك فيهم ملكة، فهذه الطائفة برؤها من دائها عسير.

وطائفة لهم أدنى معقول، قد ألموا بيسير من العلوم فتجدهم ناكصين عن هذا المعتقد، لا يسامحون أفكارهم بمقاربته، يعولون تارة على تقليد الفيلسوف في مسألة الاتحاد لإعظامهم ما يؤدي إليه من هدم قواعد تظافرت على ثبوتها صرائح العقول، فارّين من هذه المعضلة إلى التقليد المحض، معتقدين أن الفيلسوف قد حاول العلوم الخفية فأبانها جلية مبرهنة، ظانين أن من هذا شأنه جدير بأن يعول على أقواله ويقلد في المعتقدات"[281].

"ثم إن النصارى لا يلتفتون إلى أن التناقض والمخالفة في الكلام يسلب الوثوق به والاعتماد عليه، بل مطمح نظرهم التقليد لمعلميهم، وإن صدر منهم كلام مناقض لآخر. وكتبهم الموجودة في أيديهم التي

[279] الصراط المستقيم ص36-37 بتصرف.

[280] الأجوبة الفاخرة ص5، شهاب الدين القرافي.

[281] الرد الجميل ص1-3، بتصرف (منسوب للغزالي).

تلقوها عن متقدمي المعلمين المشتملة على المخالفات والخرافات دليل على سقم أذهان معلميهم وعدم فهمهم"[282].

"ومما يبين ضلالهم ما حكى أحدهم في تاريخه وغيره، أن أكابرهم اجتمعوا على تعيين ما يعتقدونه في دينهم عشر مرات بالقسطنطينية، والإسكندرية، ومتى اجتمعوا على أن هذا المعتقد هو الحق أنكروه بعد مدة، وكفّروا من يعتقده، وأثبتوا غيره، فهم حينئذ متبعون لوساوس أساقفتهم، لا لرسالات ربهم، ومنها أنهم في بلاد الروم بأسرها كبرشلونة، وبركونة، ومرسيلية، وفرنسا، وسائر مدن الفرنج لهم ثلاثة أيام في السنة معلومة يقول فيها الأساقفة للعامة: "سرقت اليهود دينكم"، واليهود ساكنون معهم في البلاد فتنطلق العامة وأهل البد بجملتهم يطلبون اليهود، فمن وجدوه قتلوه، وأي دار قدروا عليها نهبوها، واليهود تعلم تلك الأيام فتتحصن وتستعد لها، فإذا فرغت تلك الأيام خرج الأسقف الكبير إلى ظاهر المدينة، فدخل إلى سرداب هناك فقعد ساعة، ثم خرج بحق عظيم محاط بالحلي والطيب، يزعم أن الدين فيه، ويقول لهم قد وجدت دينكم فيتركون اليهود، ويعاشرونهم بالمعروف إلى تلك الأيام بعينها، ثم يعود الحال كذلك، وهذا مما أطبق عليه الفرنج لا ينكرونه أبداً.

ومما أطبق عليه النصارى أن الأسقف إذا لم يوافقه شخص على هواه حرّم عليه ومعنى حرم عليه –عندهم– أن الرب تعالى غضب عليه، وأن الخلائق يمتنع عليهم بعد ذلك معاشرته ومؤالفته، بل يتعين عليهم هجرانه وتركه، ويخطُر لهم أن تلك الحالة إذا دامت عليه تنتزع منه البركة، وتموت دوابه ويهلك رزقه، وإن مات فيها ذهب إلى السخط الدائم والعذاب المقيم، ويتخيلون أن الأساقفة قد صاروا في الأرض يتصرفون في العباد تصرف رب العباد، وأن بيدهم السعادة والشقاء، مع أنهم أقل من قليل وأحقر من ذليل، يبيت الواحد من الأساقفة وعذرته على فخذيه، طول عمره يأكل الرشا في الأحكام، ويتغذى بالحرام، وهو في الجهالة أشد من الأنعام، ألكن اللسان، مشكل الرأي، بمعزل عن الاشتغال بالفضائل، ناءٍ عن رياضات العلوم، فهم وأتباعهم لا يزالون في هذه الغفلة مستمرين على هذه النوبة، حتى يأتي أحدهم الموت فيجد نفسه لا مع بني آدم الصالحين في اتباع الحق ولا مع البهائم في الراحة من التكليف فتذوب نفسه أسفاً ويندم حيث لا تنفع الندامة.

ولما علم حذاقهم أن دينهم ليس له قاعدة تبنى عليه، ولا أصل يرجع إليه، جمعوا عقول العامة بتخييلات موهمة، وأباطيل مزخرفة، وضعوها في الكنائس والمزارات، فمن ذلك أنهم وضعوا صوراً من الحجارة إذا

[282] الصراط المستقيم ص9، إبراهيم الحيدري.

قرئ عليها الإنجيل تبكي وتجري دموعها يشـــاهدها الخاص والعام، فيعتقدون أن ذلك من أمر الإنجيل، ويكون لها مجارٍ رقاق في أجوافها من ورائها متصلة بزق مملوء من الماء يعصره بعض الشمامسة، وكذلك يصنعون أصناماً يخرج اللبن من ثديها عند قراءة الإنجيل وذلك بصقلية وغيرها.

ومن ذلك أن لهم كنيســـة كانوا يزعمون أن يد الله تعالى تظهر من الهيكل بها يوماً معلوماً من الســـنة يصافحه الناس، فدخل إليها بعض ملوكهم فصافح اليد وأمسكها مسكاً شديداً، وقال "والله لا تركت هذه اليد حتى أرى وجه صاحبها، فقال له الأساقفة: "أما تخشى الرب، أخرجت من دين النصرانية"؟ فأبى أن يتركها بكثرة تهويلهم، حتى يرى صـــاحب اليد، فلما أعياهم أمره، أخبروه أنها يد راهب منهم فقتله ومنعهم من العود لذلك فلم يعودوا.

وبالجملة الإسهاب في هذا الباب يطول زمانه لكثرته، وإنما أردنا التنبيه على أنهم يمشون على ما هم عليه من الضـــلال بنوع من الشـــعبذة وأصـــناف من الخيال لما عدموا من الحق الذي يصـــدع القلوب وتقبله العقول، وننبّه على أن القوم ليس لهم حظ من النظر القويم ولا العقل المســـتقيم، بل وجدوا آباءهم على الضـــلال فهم على آثارهم يهرعون، قد غمرهم الجهل وعمهم العمى، فلذلك لا نهبط العزيمة إلى بســـط القول في الحديث معهم"[283]، فإن مخاطبة أمثالهم لا تجدي، فنقتصر على بيان بعض ضلالاتهم في هذا البحث، ونعارض معتقداتهم بالأسئلة وبالنصوص من كتبهم.

---

[283] الأجوبة الفاخرة، ص5-8، بتصرف واختصار. شهاب الدين القرافي.

عقيدة اليهود والنصارى في الأنبياء

ليعلم أن اليهود والنصارى لا يعتقدون في الأنبياء العصمة، فيصدر عنهم على مقتضى أصولهم جميع الذنوب قصداً فضلاً عن الخطأ والنسيان، ومن ينظر في التوراة الموجودة في أيدي اليهود الآن يجد فيها من الطعن في الأنبياء ورميهم بالفواحش ما تكاد تخر الجبال منه، وذلك من مفتريات بني إسرائيل "دسّها من لا يخشى الله تعالى في الكتب السماوية حسداً منهم للأنبياء الكرام ليجعلوا منهم أبناء زنا، وليس ذلك ببعيد على قوم عبدوا العجل بعد أن رأوا الآيات البينات والمعجزات الباهرات، وقتلوا جملة من الأنبياء الكرام، وقذفوا السيد المسيح وأمه الطاهرة البتول"[284].

ومن العجيب أن النصارى يعتمدون هذه التوراة ولا يتدبرون ما فيها من الهذيان الذي لا يخفى على الأطفال. ومثل ذلك يقال في الإنجيل الموجود عندهم الذي حوى من السفاهات والتناقضات ما يأبى العاقل أن يتفوه به فضلاً عن أن يعتقده أو يجعله وحياً منزلاً.

وأن مجموع الكتب التي بأيدي اليهود والنصارى، "لا يذكر فيها نبي من نوح إلى المسيح عليهما السلام إلا ويكون – بزعمهم – فاسقاً أو كافراً أو كاذباً أو زانياً أو من أولاد الزنا، أعاذنا الله من أمثال هذه العقائد الفاسدة في حق الأنبياء عليهم السلام"[285].

وإنا ننقل جملة من الافتراءات على أنبياء الله تعالى التي سطرتها أقلامهم وادعوا أنها كلام الله تعالى، وذلك على سبيل الاختصار، إذ أن حصر ذلك يحتاج إلى مجلد كبير.

---

[284] السيف الصقيل ص18 وص20 بتصرف، للشيخ بكر بن عمر التميمي.

[285] السيف الصقيل ص5.

القسم الثاني

تفنيد افتراءات اليهود والنصارى على الأنبياء

ويشتمل على المواضيع التالية

1- افتراء اليهود والنصارى على آدم عليه السلام، وإبطال قول النصارى بالفداء.
2- افتراؤهم على نوح عليه السلام.
3- افتراؤهم على إبراهيم عليه السلام.
4- افتراؤهم على إسحق عليه السلام.
5- افتراؤهم على لوط عليه السلام.
6- افتراؤهم على يعقوب عليه السلام.
7- افتراؤهم على هارون عليه السلام.
8- افتراؤهم على موسى وهارون عليهما السلام.
9- افتراؤهم في شأن شمشون.
10- افتراؤهم على داود عليه السلام.
11- افتراؤهم على سليمان عليه السلام.
12- افتراؤهم في شأن شاوُل.

افتراء اليهود والنصارى على آدم عليه السلام

"في الباب الثالث من السفر الأول من التوراة المحرفة مذكور أن الله تعالى نزل من السماء إلى الجنة ومشى فيها فلما رأى آدم عليه السلام ربه يمشي في الجنة، وكان آدم حينئذ عرياناً لأكله من الشجرة، اختفى آدم حياء من ربه وتستر بالنبات، نادى الله تعالى: في أي مكان أنت يا آدم فقال آدم: أنا هنا، فذهب الله تعالى إلى آدم فرآه متستراً بالحشيش فقال من أخبرك أنك عريان حتى تسترت بالحشيش؟ هل أكلت من الشجرة التي نهيتك عنها؟ إلى آخر القصة حتى عفا الله تعالى عن آدم.

فلينظر العاقل إلى هذا الهذيان المُزري بمقام الربوبية، وكيف يُعقل أن تكون هذه المهزلة كلام الله تعالى، وكيف نسب من يدعي العقل هذا الهذيان والخلط واللعب إلى الله تعالى ورسله، فإن نسبة المشي إلى الله تعالى في الجنة تستلزم إحاطة المكان به وعروض الحوادث عليه وأنه مركب كالإنسان فيلزم حدوثه تعالى عن ذلك علواً كبيراً. وكيف ينسبون إلى آدم أنه اختفى عن الله الذي لا تخفى عليه خافية، أم يظنون أن آدم عليه السلام الذي علمه الأسماء كلها وأسجد له ملائكته، كان يعتقد أن الله تعالى لا يراه إذا اختبأ، فيلزم أن يكون آدم عليه السلام جاهلاً بما يليق بالله تعالى، وقولهم إن الله قال له: "في أي مكان أنت" صريح في نسبة الجهل إلى الله تعالى، وأنه عز وجل لم يره إذ تستر بالحشيش، وقولهم إنه عز وجل قال له "من أخبرك أنك عريان" من باب الهذيان وكيف يجهل الإنسان كونه عرياناً ولو كان أعمى أو عينه فوق رأسه حتى يُسأل عن علمه بذلك[286].

---

[286] الصراط المستقيم ص15-16 بتصرف.

استطراد في إبطال قول النصارى بالفداء

قد مر آنفاً أنه ذكر في التوراة في السفر الأول أن الله تعالى تاب على آدم عليه الصلاة والسلام وعفا عنه قبل تكوُّن عيسى ووجوده، ومع ذلك فإن النصارى يقولون بأن المسيح عليه السلام نزل من السماء، وتجسد من روح القدس، وصار إنساناً، وولد من مريم البتول وتألم وصلب من أجل خلاص البشرية وليكون فداء عن العصاة آدم فمن بعده، وهو مع ذلك كله إله في معتقدهم. وقولهم بأنه فداء عن العصاة من أركان معتقدهم كما يعلم من تسبيحتِهم. فليت شعري "أي معنى لتجسد كلمة الله تعالى وصيرورتها جسماً وإلهاً، وأي معنى لسر الفداء، فإن الله تعالى إذا ثبت أنه فاعل مختار يفعل ما يشاء، كما هو مسلّم لدى جميع أهل الشرائع، فلم لا يعفو عمن يشاء من العصاة من دون فداء كما هو مقتضى عفوه وكرمه ورحمته، والحق حقه وليس حق الغير.

ولا ينفعهم أن يقولوا العفو من غير فداء خلاف العدالة لأنا نقول إنما يكون خلاف العدالة لو كان الحق للغير ولم يأذن بذلك، وأما إذا كان الحق له تعالى فالعفو من غير فداء هو اللائق برحمته الواسعة. فإن قيل لِمَ لـمْ يعف عن ذبح ولد إبراهيم من دون فداء كبش؟ قلنا جعل الكبش فداءً عنه ليكون سنة متبعة في الأضحية ونفوز بالأجر والثواب وهذا تكريم من الله تعالى. بل يلزمهم أن يكون هذا الفداء منافياً للعدالة، لأن الجاني يستحق العقاب، فالفداء عنه بأحد يكون ظلما لما فُدي به، فما وجه رعاية الجاني وعدم رعاية ما فديَ به؟!

ويلزمهم أن يكون كل من عصى أفضل من عيسى عليه السلام وأحب عند الله تعالى لأن المتقرر أن المفدى عنه لا بد أن يكون أفضل وإلا لما فدى عنه، وكيف وقد فدى الله –على زعمهم– بولده عن العصاة والفسقة.

كما يلزمهم أن يكون هذا الفداء بالله عن خلقه، إذ زعموا أن الله جعل عيسى إلها وهذا مع كونه من الهذيان، خارج عن طريقة الفداء، لأن صاحب الحق هو الله تعالى وهو المفدى به وهو الذي أفدى على الجاني أيضاً على مقتضى اعتقادهم، ولا يتصور عاقل لهذا معنى، بل هو مستحيل بالبداهة والضرورة، على أن اللائق بشفقة الأبوة أن يفدي الأب عن ابنه بآخر، لا أن يجعله فداءً عن الجُناة.

وليت شعري كيف جعل ولده – بزعمهم – فداءً عن عامة النصارى من الفسقة العصاة وجعل لولد إبراهيم الخليل عليهما السلام الكبش فداءً، فهل يليق بعدالة البارئ عندهم أن يفدي عن نبي كبشاً، وعن فاسق فاجر من العامة بولده الوحيد بزعمهم؟! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ولا يقال إن آدم عصى وكذا العصاة فكان عيسى فداء عنهم، وولد إبراهيم لم يعص فكان الكبش فداء عنه لأنا نقول بل المناسب على مقتضى مذهبهم أن يفدي الله بولده عن ولد إبراهيم، لأن الله تعالى قادر على إحياء ولده وإبراهيم غير قادر على إحياء ولده، والولد يناسب الولد، وليفد عن كل عاص بكبش أو بعير مثلاً، على أن الفداء بالولد لم ير له نظير، بل المعقول الفداء بشيء عن الولد، لا الفداء بالولد عن الغير.

هذا ولم جاز أن يكون فداء عمن عصاه ممن هو قبله وبعده من أمته على زعمهم ولا يجوز أن يكون فداء عن عصاتنا معاشر المسلمين، وعن عصاة اليهود الذين صلبوه – بحسب معتقدهم – وعمن بعدهم من العصاة؟!

على أن الله تعالى هو خالق الخير والشر ولا يصدر في ملكه شيء إلا بإرادته، كما هو اللائق بشأن الربوبية فإذا تحقق ذلك فما معنى خلقه للعصاة وإقدارهم على المعصية ثم صلب ابنه بزعمهم وجعله فداء عنهم؟! وهل هذا إلا تلاعب وهذيان والقول به يستلزم الإخلال بمقام الربوبية، وتنقيص الرب الواحد الذي لم يلد ولم يولد بأفعال لا تصدر عن مجانين الخلق فضلاً عن الخالق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهذا مثل رجل له ولد فجنى عبده جناية هي حق لمولاه، ثم فدى الرجل ولده عن عبده بأن سلمه إلى العبد وأمره بصلبه ليكون فداء عنه ليعفو عن جنايته فانظر أيها العاقل الى هذا الهذيان.

فإن قالوا إن عيسى عليه السلام إنما يكون فداء بشرط الإيمان به، واليهود الذين صلبوه –بزعمهم – لم يؤمنوا به فلا يكون فداء عنهم.

قلنا مردود بوجهين:

- الأول ما سبق من أن القول بالفداء مما لا يُتصور على ما بيّناه بالشواهد
- الثاني أن عيسى عليه السلام لم يكن متجسداً في عهد آدم عليه السلام لما أكل من الشجرة بل كان حينئذ محض كلمة الله على زعمهم، فلم يتحقق –على مقتضى ما ذهبوا إليه – إيمان آدم بعيسى، فلا يصح أن يكون فداء عن آدم وعمن عصى قبل عيسى أيضاً ولا يسعفهم أن يقولوا إن آدم وأمثاله كانوا مؤمنين بكلمة الله تعالى، لأن الإيمان الذي يستحق صاحبه الفداء عندهم إنما هو بعيسى الذي هو عبارة عن اللاهوت والناسوت ولا ناسوت إذ ذاك إذ لم يتجسد ولم يتكوّن.

فكما لا يكون فداء عنا معاشر المسلمين لأنا لا نؤمن إلا بكونه مرسلاً من عباد الله تعالى، أي بناسوته

فقط لا يكون فداء عن آدم لأن إيمانه حينئذ على زعمهم إنما هو بلاهوته فقط.

على أنه يلزم مما ذكروه من تجسد كلمة الله تعالى أن يكون الله تعالى محلاً للحوادث، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً"[287].

"فدعوى النصارى هذه مخالفة لبداهة العقل، وكأنهم لا يعلمون التناقض والمخالفة في الكلام واستلزام المحال، ولم يتفكروا أن مَثَل عيسى عند الله كمثل آدم، ومخالفة أيضاً لجميع الكتب السماوية والشرائع المتقدمة، لأن التوراة وغيرها ليس فيها ذلك، ولم ينقل عن أحد من الأنبياء من عهد آدم إلى محمد صلى الله عليهما وسلم، فإن كان الأنبياء يعلمون ذلك فلم أخفوه عن الناس مع كونهم مأمورين بتبليغ الشرائع، والأمورُ الاعتقادية من أعظم الأمور، بل هي أساس الدين، وإن كانوا غير عالمين بذلك فيلزم الجهل بأحكام الدين على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم حاشاهم عن ذلك"[288].

وقولهم بالفداء ينافي ما هو مذكور في التوراة من توبة آدم عليه السلام وقبولها عند الله فلا حاجة الى الفداء. على أن من النصارى من صرح بأن آدم عصى عمداً ولم يعترف بذنبه، ولم تثبت توبته عندهم إلى آخر حياته فقد "قال مؤلف كتاب طريق الأولياء[289]: يا أسفي على أنه لم تثبت توبته وعلى أنه ما استغفر الله لذنبه مرة واحدة أيضاً. وذلك في الصحيفة الثالثة والعشرين من الكتاب المذكور"[290]، فإن كان هذا معتقدهم في أول الأنبياء فلا عجب أن افتروا على سائر الأنبياء من بعده، بل عندهم هذا هو الأمر الطبيعي فالأنبياء الآخرون اقتدوا بأبيهم في المعاصي والآثام وكما قال القائل: ومن يشابهْ أبَهُ فما ظَلَم.

---

[287] الصراط المستقيم ص5-6-7-8.

[288] الصراط المستقيم ص8.

[289] اسمه وليم اسمث.

[290] إظهار الحق ج2 ص449.

افتراؤهم على نوح عليه السلام

"في الباب التاسع من سفر التكوين مذكور هذا النص: 18 فكان بنو نوح الذين خرجوا من الفلك سام وحام ويافث، وحام أبو كنعان، 20 وبدا نوح فلاح يحرث في الأرض، وغرس كرما، 21 وشـــرب خمراً، فســكر وتكشــف في خبا، 22 فلما نظر حام ابو كنعان ذلك أي عورة أبيه أنها مكشــوفة أخبر إخوته خارجاً، 24 فلما استيقظ نوح من الخمر وعلم بما عمل به ابنه الأصغر 25 فقال ملعون كنعان، فيكون عبد العبيد لإخوته اه[291].

ففيه تصريح بأن نوحاً شرب الخمر وسكر وصار عرياناً، وهذا فيه من البطلان ما لا يخفى، إذ أن الأنبياء مبرؤون من مثل ذلك، والعجب أن المذنب بالنظر إلى عورة أبيه على ما قالوه هو حام أبو كنعان، والذي عوقب باللعنة ابنه كنعان، مع أن أخذ الابن بذنب الأب خلاف العدل.

وفي كتاب حزقيال في الباب الثامن عشر، العدد العشرون ما نصه: النفس التي تخطئ فهي تموت والابن لا يحمل إثم الأب والأب لا يحمل إثم الابن وعدل العادل يكون عليه ونفاق المنافق يكون عليه اه.

ولو فرضنا أن الابن يحمل إثم الأب فما وجه تخصيص كنعان؟ لأن أبناء حام كانوا أربعة: كوش ومصرايم وفوط وكنعان كما هو مصرح به في العدد السادس من الباب العاشر من سفر التكوين"[292].

"على أنه ما سمع أن كنعان ولا بنوه كانوا عبيداً في وقت من الأوقات، بل كانوا ســـادات وملوكاً وجبابرة فلسطين وغيرها كما يعلم ذلك من سفر التكوين"[293].

افتراؤهم على إبراهيم عليه السلام[294]

"في الصحيفة الرابعة والسبعون من الكتاب المسمى طريق الأولياء في حال إبراهيم ما نصه:

لا يعلم حاله إلى ســبعين ســنة من عمره، وهو تربى في الوثنيين، ومضــى أكثر عمره فيهم... ويحتمل أن إبراهيم أيضاً كان يعبد الأصنام ما لم يظهر الله عليه، ثم ظهر وانتخبه من أبناء العالم وجعله عبداً خاصاً. اه

---

[291] إظهار الحق ج2 ص449 بتصرف. هناك اختلاف قليل في بعض الألفاظ بين ما نقلناه وبين الترجمة المطبوعة. منها نصب سام وحام بالتنوين.

[292] إظهار الحق ج2 ص449-450.

[293] السيف الصقيل ص7.

[294] إظهار الحق ج2، ص450-451-452-453 بتصرف.

فظهر أن المظنون عند النصارى بل الأقرب الى اليقين على أصولهم أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام كان عابداً للأصنام إلى أن بلغ سبعين سنة، لأن أهل وقته –عندهم– كانوا وثنيين وهو ترَبى فيهم وأبواه منهم أيضاً، ولم يظهر عليه الرب –على زعمهم– إلى ذلك الوقت، والعصمة عن عبادة الأوثان ليست بشرط عندهم بعد النبوة فضلاً عن أن تكون شرطاً قبل النبوة، فإن كان حال أبي الأنبياء هكذا عندهم إلى سبعين سنة من عمره قبل النبوة، فلننتقل إلى حاله عندهم بعد النبوة.

في الباب الثاني عشر من سفر التكوين مذكور ما نصه هكذا: فلما قرب أن يدخل إلى مصر قال لسارة زوجته إني علمت أنك امرأة حسنة ويكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلوني ويستبقونك والآن أرغب منك فقولي إنك أختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي من أجلك، فلما دخل إبرام إلى مصر رأى المصريون المرأة أنها حسنة جداً ورآها رؤساء فرعون ومدحوها لدى فرعون، فأخذت المرأة إلى بيت فرعون، فصُنع إلى إبرام خير بسببها وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال، فضرب الرب فرعون وبيته ضربات عظيمة بسبب سارة امرأة إبرام، فدعا إبرام وقال ما هذا الذي صنعته بي لماذا لم تخبرني انها امرأتك، لماذا قلت هي أختي حتى أخذتها لي لتكون زوجتي والآن هو ذا امرأتك خذها واذهب. اهـ

فظهر من هذه الحكاية أنه لو لم يقل عن زوجته إنها أخته ما كان أخذها فرعون وأن الكذب بقوله هي أختي ما كان لمجرد الخوف بل كان لرجاء حصول المنفعة والخير أيضاً، بل رجاء حصول الخير والمنفعة كان أقوى ولذلك قدمه في كلامه، على أن خوفه من القتل مجرد وهم لا سيما إذا كان راضياً بتركها فإنه لا وجه لخوفه بعد ذلك أصلاً، وكيف يجوز العقل أيها العاقل صدور مثل هذا عن إبراهيم عليه السلام وكيف يرضى بترك زوجته وتسليمها للغير ولم يدافع دونها؟ حاشا جنابه الشريف أن يرضى بذلك بل لا يرضى بمثله من له أدنى غيرة فكيف إبراهيم خليل الله أبو الأنبياء وصفوة الأمناء؟!

وفي الباب العشرين من سفر التكوين مذكور ما نصه: وانتقل ابراهيم من هناك إلى أرض الجنوب وسكن بين قادش وشور، وتغرب في جرار. وقال إبراهيم عن سارة امرأته هي أختي. فأرسل أبيمالك ملك جرار وأخذ سارة. فجاء الله إلى أبيمالك في حلم الليل وقال له ها أنت ميت من أجل المرأة التي أخذتها فإنها متزوجة ببعل. ولكن لم يكن أبيمالك قد اقترب إليها. فقال يا سيد أأمّةً بارةً تقتُلُ. ألم يقل هو لي إنها أختي وهي أيضاً نفسها قالت هو أخي. اهـ (عدد 1-5) فعلى زعمهم كذب هناك إبراهيم وسارة مرة أخرى، ولعل السبب هنا كان حصول المنفعة مع الخوف أيضاً، وقد حصلت المنفعة كما هو مصرح به

في العدد الرابع عشر من الباب نفسه على أنه لا وجه للخوف إن كان راضياً بتسليمها بدون مقاتلة ولا ممانعة.

وفي الكتاب المسمى بطريق الأولياء يقول مؤلفه في الصحيفة التاسعة والتسعين: لعل إبراهيم لما أنكر كون سارة زوجة له في المرة الأولى عزم في قلبه أنه لا يصدر عنه مثل هذا الذنب، لكنه وقع في شبكة الشيطان السابقة مرة أخرى بسبب الغفلة. اهـ

ويقول المؤلف نفسه في الصحيفة الثانية والتسعين والثالثة والتسعين: لا يمكن أن يكون إبراهيم غير مذنب في نكاح هاجر، لأنه كان يعلم جيداً قول المسيح المكتوب في الإنجيل إن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى، وقال من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسداً واحداً. اهـ

ويلزمهم أنه كما أنه لا يمكن أن يكون غير مذنب في نكاح هاجر، لا يمكن أيضاً أن يكون غير مذنب في نكاح سارة لأنه كان يعلم جيداً قول موسى المكتوب في التوراة: "أي رجل تزوج أخته ابنة أبيه أو أخته ابنة أمه ورأى عورتها ورأت عورته، فهذا عار شديد فيقتلان أمام شعبهما وذلك لأنه كشف عورة أخته فيكون إثمهما في رأسهما". وكذا قوله: "يكون ملعونا من يضاجع أخته من أبيه أو أمه". اهـ[295].

وسارة زوجة إبراهيم عليه السلام كانت -على حسب ما هو مذكور في التوراة المحرفة- أخت إبراهيم، ففي العدد الثاني عشر من الباب العشرين من سفر التكوين ما نصه: "إنها أختي بالحقيقة ابنة أبي وليست ابنة أمي وقد تزوجت بها"[296].

ومثل هذا النكاح عندهم على ما بينا حرام ومساوٍ للزنا، فيلزمهم القول بأن ابراهيم عليه السلام كان زانياً قبل النبوة وبعدها، فيكون أولاده كلهم من سارة أولاد زنا، فعلى أصلهم الفاسد يلزم أن هذا النبي أبا الأنبياء كما كان كاذباً، فكذا كان زانياً طيلة عمره ومع هذا كان خليل الله !! أيكون خليل الله هكذا؟!"

فإن كان حال خليل الله عندهم هكذا فلننظر كيف يكون حال ابنه النبي إسحق عندهم الذي جاء من ذريته كل من بعده من الأنبياء باستثناء سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام.

---

[295] القول الأول موجود في العدد السابع عشر من الباب العشرين من سفر الأحبار، والقول الثاني في العدد الثاني والعشرين من الباب السابع والعشرين من كتاب الاستثناء.

[296] وذلك في الترجمة العربية سنة 1625 وسنة 1648.

افتراؤهم على إسحق عليه السلام[297]

"جاء في الباب السادس والعشرين من سفر التكوين من التوراة المحرفة ما نصه:

6فمكث إسحق في جَرار. 7 وسأله رجال ذلك الموضع عن زوجته فقال هي أختي لأنه خاف أن يقول إنها زوجته لئلا يقتلوه من أجل حسنها. اهـ

فعلى زعمهم كذب إســحق عمداً أيضـــاً مثل أبيه وقال عن زوجته إنها أخته، ولننظر ماذا يقول مؤلف الكتاب المسمى بطريق الأولياء في حق هذا النبي الكريم ابن النبي الكريم عليهما الصلاة والسلام.

في الصحيفة التاسعة والستين بعد المائة من الكتاب المذكور يقول: "يا أسفي يا أسفي إنه لا يوجد كمال في أحد من بني آدم غير الواحد العديم النظير، والعجب أن شـبكة الشـيطان التي وقع فيها إبراهيم، وقع فيها إســحق أيضــاً وقال عن زوجته إنها أخته، فيا أســفي إن امثال هؤلاء المقربين عند الله محتاجون إلى وعظ" اهـ كلام القسيس بلفظه وقال قبل ذلك: "زل إيمان إسحق لأنه قال عنها إنها أخته"، في صحيفة 168.[298]

"ولما تأسـف هذا القسـيس تأسـفاً شـديداً على عدم وجود كمال في أحد من الناس غير المسـيح الواحد العديم النظير، وعلى أن هؤلاء المقربين محتاجون الى واعظ يعظهم وعلى مزلة إيمان إسحق فلا نطيل الكرم في رده، ولكني أتأســف تأسـفاً شـديداً على عدم وجود هذا القسـيس في تلك الأيام لكي يكون واعظاً لهؤلاء المقربين والأنبياء الصالحين! ربنا لا تجعلنا من القوم الضالين، ولا من العقول مسلوبين"[299].

افتراؤهم على لوط عليه السلام

في الباب التاسع عشر من سفر التكوين مذكور ما نصه: 30 وصعد لوط من صوغَر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه. 31 وقالت البكر للصغيرة أبونا قد شـاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. 32 هلم نسـقي أبانا خمراً ونضـطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً. 33 فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. 34 وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة

---

[297] إظهار الحق ج2، ص457-458، بتصرف.

[298] إظهار الحق ج2، ص457-458، بتصرف.

[299] السيف الصقيل ص8-9.

مع أبي، نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه فنحيي من أبينا نسلاً. 35 فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً، وقامت الصغيرة واضطجعت معه ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. 36 فحبلت ابنتا لوط من أبيهما. 37 فولدت البكر ابناً ودعت اسمه مُواب. وهو أبو الموابيين إلى اليوم. 38 والصغيرة أيضاً ولدت ابنا ودعت اسمه عمان وهو أبو العمانيين إلى اليوم. اهـ[300].

"أقول لو فرضنا صدق هذه القصة المحال وقوعها، وأنها مما أخبر به موسى عليه السلام، فما الحامل له على ذكرها؟ وما الغرض والفائدة من بثها مع أنه لم يلحقها بوعيد عذاب ولا شديد عقاب، فما هي إلا دسيسة دسها من لا يخشى الله في الكتب السماوية"[301]، وهذا الإنجيل المتداول يشهد بأن لوطاً عليه السلام بار قديس لم يقع الوهن في بِرّه بعد نسبة هذه الحركة الشنيعة له ففي العدد السابع من الباب الثاني من رسالة بطرس الثانية هكذا: وأنقذ لوطاً البار مغلوباً من سيرة الأردياء في الدعارة. اهـ

على أنه ما سُمع أن السكر يوصل إلى هذه الحركة الشنيعة، فإن السكران لا يخلو إما أن يكون سكره متوسطاً أو في أعلى طبقة، فإن كان متوسطاً يبقى له تمييز، فيميز بناته عن الأجنبيات، وإن كان سكره في أعلى طبقة يسقط حينئذ تمييزه لكن لا يبقى في هذا الوقت قابلاً للجماع كما شهد بذلك الأطباء والمولعون بشرب الخمر، وإلى هذا الحين ما سمعنا أن في الدنيا بأسرها رذيلاً من الأرذال الذين يكونون في أغلب أوقاتهم مخمورين أنه فعل مثل هذا الفعل الشنيع.

وإن كان الخمر موصلاً إلى هذه الرتبة السافلة فوا أسفا على حال المولعين بشرب الخمر كيف يرجى نجاة بناتهم وأمهاتهم من أيدي الآباء والأبناء والإخوة.

والعجب كل العجب من أنه كما ابتلي في الليلة الأولى ابتلي في الليلة الثانية وما انتبه فيها لما فعلته معه ابنته الكبرى في الليلة الأولى وهو البار القديس بحكم هذا الإنجيل.

وكيف يجوز وقوع ذلك الفعل الشنيع من ابنتي لوط عليه السلام بعد أن رأتا وقوع الخسف والعذاب في قوم أبيها بسبب فعل الفاحشة التي كانوا يفعلونها بالأجانب فضلاً عن الأقارب، ولو فرضنا وقوع ذلك لِمَ لَمْ تخسف بهم الأرض كما خسفت بأقوامهم بل كان يجب أن يعذبوا بعذاب أشد حيث رأوا العقاب

[300300300] إظهار الحق ج2 ص453-إلى ص457 بتصرف كثير وتقديم وتأخير وحذف وزيادة بعض العبارات. وفي بعض النسخ مذكور هكذا ودعت اسمه بَن عَمّي وهو أبو بني عَمُّون إلى اليوم.

[301] السيف الصقيل ص11.

على مثل ذلك الفعل الشنيع بأعينهم وقد نجاهم الله منه ولم يخشوه فيما بعد وما اتعظوا.

ثم لو كان ذلك صحيحاً فلم لم يقتل الرب ولدي الزنا هذين كما قتل على ما زعموا الولد الذي تولد من زنا داود عليه السلام بامرأة أوريا؟! لعلهم يقولون إن الزنا بامرأة الغير أشد من الزنا بالبنات.

ولعل قسيسيهم يقولون إن فعل هذا الأمر كان مقضياً مرضياً ليتولد داود وسليمان وعيسى أبناء الله من نسل هذين الولدين السعيدين، لأن عوبيد جد لداود واسم أمه راعوث كما هو مصرح به في العدد الخامس من الباب الأول من إنجيل متى، وراعوث هذه كانت موابية من أولاد مواب بن لوط كما هو مصرح به في سفر راعوث.

ولأن رحبعام بن سليمان عليه السلام من أجداد عيسى عليه السلام كما هو مصرح به في العدد السابع من الباب الأول من إنجيل متى، واسم أمه نعمة، ونعمة هذه التي هي أم رحبعام الذي هو جد للمسيح كانت عمانية من أولاد عمان بن لوط كما هو مصرح به في العدد الثاني والعشرين من الباب الرابع عشر من سفر الملوك الأول.

فهذه نعمة من جدات ابن الله الوحيد بل الله – على زعمهم –، فأي شرف لـمُواب وعمان ولدي الزنا أزيد من أن بعض بنات الأول صارت جدة معظمة لأبناء الله على زعمهم، وبعض بنات الثاني الذي هو عمان صارت جدة خاصة لابن الله الوحيد بل الله على زعمهم، وحيث ثبت لك أيها اللبيب أن نسب المسيح عليه السلام قد وصل إلى مواب وعمان باعتبار تولده من هاتين الجدتين، فقد صار المسيح عليه السلام موابياً وعمانياً وما كان للموابيين والعمانيين أن يدخلوا في جماعة الرب إلى الأبد على ما هو مصرح به في العدد الثالث من الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية ونص تلك العبارة هو: "والعمانيون والموبيون بعد عشرة أحقاب أيضاً لا يدخلون جماعة الرب الى الأبد" وفي بعض النسخ مذكور بهذا النص: "لا يدخل عموني ولا مُوابي في جماعة الرب. حتى الجيل العاشر لا يدخل أحد منهم في جماعة الرب إلى الأبد". وإن حاولوا الانفصال عن ذلك بأن المسيح عليه السلام ولد بعد الجيل العاشر لم يمكنهم ذلك في حق داود عليه السلام.

فكيف دخل المسيح عليه السلام في جماعة الرب بل صار رئيسهم على زعمهم؟! ولا يصح لهم أن يقولوا إن اعتبار النسب بالآباء لا بالأمهات فلا يكون المسيح عليه السلام عمانياً ولا موابياً، لأنا نقول لو كان الأمر كذلك يلزم أن لا يكون المسيح أيضاً إسرايلياً يهوذاوياً أو داودياً سليمانياً أيضاً إذ حصول هذه الأوصاف له من جانب الأم أيضاً فلا يكون حينئذ مسيحاً موعوداً به، واعتبارهم هذه الأوصاف باعتبار

الأم وعدم اعتبارهم كونه عمانياً أو موابياً من جهة الجدات ترجيح بلا مرجح.

وهذا وارد على نبوة داود وسليمان عليهما السلام أيضاً باعتبار راعوث. لكن لا نطيل الكلام في هذا فليتأمل العاقل.

افتراؤهم على يعقوب عليه السلام[302]

في الباب الخامس والعشرين من سفر التكوين موجود ما نصه: "فطبخ يعقوب طبيخاً، ولما جاء عيسو إليه تعباً من الحقل. 30 فقال له أطعمني من هذا الطبيخ الأحمر فإني تعب جداً ولهذا السبب دعى اسمه أدوم. 31 فقال له يعقوب بع لي بكوريتك. 32 فأجاب وقال هوذا أنا أموت فماذا تنفعني البكورية. 33 فقال له يعقوب احلف لي فحلف له عيسو وباع البكورية. 34 فقدم يعقوب لعيسو خبزاً ومأكولاً من العدس فأكل وشرب ومضى وتهاون في أنه باع البكورية. اهـ

فلينظر العاقل المنصف إلى ما يزعمونه، وإلى ديانة عيسو عندهم الذي هو الولد الأكبر لإسحق عليه السلام، أنه باع البكورية التي كان بها استحقاق منصب النبوة والبركة، وما كان ذلك عنده في رتبة هذا الخبز والإدام من العدس، وانظروا إلى محبة يعقوب عليه السلام وجوده وأنه ما أعطى للأخ الأكبر الجائع التعب هذا المأكول إلا بالبيع وما راعى المحبة الأخوية والإحسان بلا عوض.

ومن يطالع الباب السابع والعشرين من سفر التكوين[303] يجد فيه نسبة الكذب إلى نبي الله يعقوب عليه السلام ثلاث مرات، وأنه خادع أباه، حاشا جنابه الشريف أن يصدر عنه ذلك.

أما الخداع الذي نسب إليه في الإصحاح المذكور فهو أن أباه إسحق عليه السلام لما شاخ وكبر طلب من ولده عيسو طعاماً لكي يدعو له بالبركة التي يكون بها مستحقاً وأهلاً لمنصب النبوة، فلما سمع بذلك يعقوب عليه السلام ذهب وجاء إلى والده بالطعام المطلوب وقال له ها أنا ولدك عيسو قد فعلت لك الطعام كما أمرتني، قم يا والدي وكُل لكي تباركني نفسك فلما أكل إسحق عليه السلام من ذلك الطعام دعا لولده يعقوب عليه السلام بدعاء كثير وباركه لكن بنيته أنه عيسو لا أنه يعقوب، ومع ذلك فقد صار يعقوب عليه السلام بسبب ذلك الدعاء مستحقاً لمنصب النبوة ولذلك حصلت له بخلاف عيسو، فكما أثر ذلك الخداع عند إسحق عليه السلام أثر عند الله تعالى أيضاً فإن إسحق عليه السلام كان

---

[302] إظهار الحق ج2 ص458 إلى ص471 بتصرف كثير واختصار وزيادة بعض العبارات.

[303] سفر التكوين، العدد "1" إلى "40" ص 42-43-44 من العهد القديم.

بصــميم قلبه واعتقاده داعياً لولده عيســو لا لولده يعقوب عليه الســلام، لأن يعقوب جاء بصــورة أخيه عيســو، وكما لم يميز إســحق عليه الســلام بين الأخوين في حال الدعاء فكذلك لم يميز الله عز وجل – على زعمهم– بينهما عند إجابة الدعاء، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والعجب أن ولاية الله والنبوة والصــلاح تحصــل بالمحال على أصــول كتبهم التي يقدســونها، فلو كان حال ديانة أبي الأنبياء الإســرائيليين هكذا، أو علمُ الله هكذا، لقال الـــــمُنكر يجوزُ أن يكون مبنى معاملات الأنبياء الإسرائيليين مع الله تعالى على الخداع والمكر كأبيهم الأعلى، ويجوز أن يكون عيسى عليه السلام وعد الله أنه إن أعطاه المعجزات فإنه سيدعو الخلق إلى توحيده وعبادته وحده عزو جل، لكن الله ما ميز الصــــدق من الكذب فأعطاه تلك المعجزات من إحياء الموتى وغير ذلك، فدعا إلى ربوبية نفســـه وبغى وطغى، نعوذ بالله من هذه الأمور الواهية التي يكذبها البرهان، وتقشعرّ من ذكرها جلود أهل الإيمان.

قال وليم اسمث في كتابه: هذا مقام غاية الخوف أن مثل هذا الشـخص تفوه بكذب بعد كذب، وأشـرك اسم الله في خداعه، ثم قال ثانياً: قال يعقوب قولاً هو نهاية الكفر إن إرادة الله كانت أني وجدتُ الصيد سريعاً، ثم قال ثالثاً: نحن لا نعتذر من جانب يعقوب في هذا الأمر بعذرٍ ما وليتنفرّ كل صـالح وليفرّ عن مثل هذا الأمر، ثم قال رابعاً: خلاصــة الكلام أنه أســاء ليحصــل الخير، وفي الإنجيل يجب الجزاء بمثله، ثم قال خامســـاً كما أذنب يعقوب أذنبت أمه أزيد منه لأنها كانت بانيةَ هذا الفســـاد وهي أمرت يعقوب بفعل هذه الأمور الخادعة اهـ[304].

وفي الباب التاسع والعشرين من سفر التكوين[305] مذكور ما نصه: 17 وكان بعيني ليا استرخاء، وراحيل جميلة الوجه وحســنة المنظر. 18 فأحب يعقوب راحيل وقال أنا أتعبد لك براحيل ابنتك الصـغرى سـبع سـنين. 19 فقال له لابان أنت أحق بها من غيرك فأقم عندي. 20 وتعبد يعقوب براحيل سـبع سـنين وكانت عنده مثل أيام قليلة لِمَا دخله من محبتها. 21 فقال للابان أعطني امرأتي لأني قد أكملت الأيام لأدخل إليها. 22 فجمع لابان كثيراً من المحبين وصـنع عرسـا. 23 ولما كان المسـاء أدخل ابنته ليا على يعقوب. 24 وأعطى لابان أَمَةً اسمها زِلفا لابنته ودخل عليها يعقوب كالعادة ولما كان الصـــبح رآها ليا. 25 فقال للابان ما هذا الذي صنعت بي ألـم أتعبد لك براحيل فلم خدعتني. 26 أجاب لابان ليس في

[304] عباراته هذه في كتابه المسمى طريق الأولياء في صحيفة 179-181

[305] سفر التكوين ص46-47، مع بعض الاختلاف، مثلُ: "وكانت عينا لَيْئَة ضعيفتين".

أرضنا عادة أن تزوج الصغرى قبل الكبرى. 27 فأكمل الأسبوع هذا فأعطيك الأخرى عوضاً عن العمل الذي تعمل لي بسبع سنين أخرى. 28 ففعل يعقوب هكذا وبعدما دخل الأسبوع تزوج براحيل. 29 ودفع لابان إلى ابنته راحيل اسمها بِلها. 30 فدخل على راحيل وأحبها أكثر من ليا وخدمه سبع سنين أخرى. اهـ

ويَرِد عليهم أمور:

الأول: ان يعقوب عليه السلام كان يقيم في بيت لابان ويرى بنتيه ويعرفهما معرفة جيدة باعتبار الوجه والجسم والصوت وكان في ليا علامة بيّنة هي استرخاء العينين، فالعجب كل العجب مما زعموه من أن تكون ليا في فراشه جميع الليل ويراها ويضاجعها ويلمسها ولا يعرفها، إلا أن يقولوا إنه كان سكران كلوط عليه السلام، فكما لم يميز لوط فكذا هو.

الثاني: أنه أحب راحيل وخدم لأجلها أباها أولاً سبع سنين، وكانت عنده مثل أيام قليلة لأجل عشقها وفرط محبتها ثم لما خادع لابان، وزوّجه بنته الكبرى – بزعمهم – خاصمه يعقوب، وأخذ راحيل بخدمة سبع سنين أخرى، فكما خادع أباه خودع من صهره، فاعجب لهذا الهذيان. ثم إنه على مقتضى كلامهم كان أحد النكاحين باطلاً من أكثر من وجه، فإنه لم يكن يريد الزواج بليا فلا تكون زوجته، واليهود لا يقرون بالنسخ، والجمع بين الأختين حرام قطعاً في الشريعة الموسوية، ويَرِد على ذلك الطاعن في إبراهيم عليه الصلاة والسلام أن يقال له يلزمك أن يعقوب عليه السلام كان يعلم جيداً قول المسيح المكتوب في الإنجيل: إن الذي خلق من البدء خلقهما ذكراً وأنثى الخ. وكذا كان يعلم جيداً قول موسى عليه السلام إن الجمع بين الأختين حرام قطعاً كما مر، فأحد النكاحين باطل، لأن ليا وراحيل أختان، والامرأة التي نكاحها باطل يكون أولادها أولاد زنا فيلزمهم كون كثير من الأنبياء الإسرائيليين كذلك والعياذ بالله تعالى.

وقال وليم اسمث معتذراً في كتابه (المسمى طريق الأولياء) في الصحيفة التاسعة والثمانين بعد المائة: الظاهر أن يعقوب إن لم يخادعه لابان لم يتزوج غير راحيل، ولا يستدل به على جواز تعدد الزوجات لأنه ما كان بحكم الله ولا برضا يعقوب اهـ

وهذا الاعتذار بارد سَخيف ولا يحصل النجاة ليعقوب مما نسبوه إليه من الحرمة لأنه ما كان مكرهاً ومجبراً على النكاح الثاني، وكان بإمكانه أن يكتفي بزوجة واحدة، فانظروا إلى ديانة النصارى كيف يتهمون الأنبياء لأجل صيانة أصولهم الفاسدة، على أن هذا الاعتذار الأعرج لا يمشي في زلفا وبلها اللتين

تزوجهما يعقوب بإشـــارة ليا وراحيل على ما هو مذكور في الباب الثلاثين من ســفر التكوين، فأولادهما يكونون كافة أولاد زنا على أصولهم.

ومن يطالع الباب الحادي والثلاثين من سـفر التكوين كما سـيأتي نقل ذلك، يرى فيه أن راحيل سـرقت أصـنام أبيها، وكذبت عليه وظاهر كلامهم أنها سـرقت تلك الأصـنام لعبادتها كما يدل عليه ظاهر عبارة الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين، ولأنها كانت من بيت الوثنيين، وأبوها كان وثنياً يعبد الأصنام كما تدل عبارة العدد الثلاثين والثاني والثلاثين، والظاهر أنها كانت على دين أبيها، فهذه الزوجة المحبوبة ليعقوب عليه السلام كانت – على مقتضى ذلك – سارقة كاذبة وعابدة للأصنام.

بل ذُكر في الباب الخامس والثلاثين من ســفر التكوين ما نصـــه: 3 وقال يعقوب لأهله وجميع من معه اعزلوا الآلهة الغرباء من بينكم وتطهروا وأبدلوا ثيابكم. 4 فدفعوا له جميع الآلهة الغرباء التي كانت في أيديهم الخ. والظاهر من هذه العبارة أن أهل بيت يعقوب عليه الســـلام، ومن معه إلى هذا الحين كانوا يعبدون الأصنام، وهذا الأمر بالنسبة إلى بيته شنيع جداً، أما نهاهم قبل هذا عن عبادة الأوثان؟!

وفي الباب الحادي والثلاثين من ســفر التكوين مذكور ما نصــه: 19 وقد كان لابان ذهب ليجز غنمه وراحيل سرقت أصنام أبيها. 20 فكتم يعقوب أمره عن حميْه ولم يعلمه أنه هارب. 21 وهرب هو وجميع ما كان له وعبر النهر وتوجه نحو جبل جلعاد. 22 وبلغ لابان في اليوم الثالث أن يعقوب قد هرب. 23 فأخذ إخوته وتبعه مسيرة سبعة أيام ولحقه في جبل جلعاد. 29 وقال ليعقوب لماذا فعلت هكذا وسقت بناتي خفيةً عني مثل من قد سـبي بالسـيف. 30 والآن قد انطلقت وإنما حملك على ذلك الشـهوة أن تمضي إلى بيت أبيك فلم سرقت آلهتي.

انظروا إلى هذا الهذيان، وكيف ينسبون إلى نبي الله يعقوب الهرب مع البنتين مغتنما كون حميه ذهب ليجزّ غنمه! نعوذ بالله من هذه الحماقات.

وإذا كان هذا حال نبي الله يعقوب عليه الســـلام عندهم وكذلك حال ليا وراحيل، فلننظر كيف يكون حال أولاده الذكور والإناث على مقتضى كتبهم.

وفي الباب الرابع والثلاثين من ســفر التكوين مذكور ما نصــه: 1 وخرجت دينا ابنة ليا لتنظر إلى بنات ذلك البلد. 2 فنظرها شـــخيم بن حَمور الحاوي رئيس الأرض فأحبها فأخذها وضـــاجعها وأذلها. 3 وتعلقت نفسه بها وأحبها وكلمها بما وافقها ووقع بقلبها. 4 فقال شخيم لحمور أبيه خذ هذه الجارية لي

زوجة. 8 فكلمهم حمور الخ. 13 فأجاب بنو يعقوب الخ. 14 لا نستطيع أن نصنع ما تطلبان ولا أن نعطي أختنا لرجل أغلف فإن ذلك عار علينا. 15 بهذا نشبهكم إذا ما صرتم مثلنا لكي تختنوا كل ذكوركم. 24 فارتضى جميعهم واختتن كل من كان منهم ذكراً. 25 فلما كان اليوم الثالث وقد بلغ منهم الوجع جداً أخذ ابنا يعقوب شمعون ولاوي أخوا دينا كل واحد منهما سيفه ودخلا المدينة على طمأنينة وقتلا كل ذكر. 26 وحمور وشخيم ابنه وأخذا دينا أختهما من بيت شخيم. 27 وخرجا ودخل يعقوب على القتلى ونهبوا المدينة التي فضحت فيها دينا أختهم. 28 وأخذوا غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في البيوت وكل ما في الحقل وسبوا صبيانهم ونساءهم. اهـ

فانظروا إلى ديانة دينا بنت يعقوب عندهم كيف أنها زنت وتعلق قلبها بشخيم -الذي اغتصبها- كما يدل عليه قولهم ووقع بقلبها، وانظروا إلى ظلم أبناء يعقوب أنهم قتلوا ذكورا أهل البلدة كلهم وسبوا نساءهم وصبيانهم، ونهبوا جميع أموالهم على ما هو مذكور في السفر المذكور فخطؤهم وظلمهم ظاهر وخطأ يعقوب عليه السلام -على مقتضى كلامهم- أنه لم يمنعهم من هذه الأفعال الشنيعة قبل وقوعها، وما أجرى القصاص عليهم، وما رد النساء والصبيان والأموال المسلوبة، وإن كان غير قادر على منعهم ورد هذه الأشياء وأخذ القصاص فكان عليه أن يترك هؤلاء الظَلَمة. على أنه يبعد كل البعد أن يقتل رجلان ذكور أهل البلدة كلهم، ولو فرضنا أنهم كانوا في وجع الختان.

وفي الباب الخامس والثلاثين من سفر التكوين[306] جاء ما نصه: 22 ومضى روبيل وضاجع بلها سرية أبيه وسمع أبوه بذلك. اهـ

فانظر أيها اللبيب إلى ما نسبوه إلى روبيل الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام أنه زنى بزوجة أبيه وأبوه قد سمع بذلك ولم يُجرِ الحد ولا التعزير عليه ولا على هذه الزوجة والظاهر أن حد الزنا في ذلك الوقت كان إحراق الزاني والزانية بالنار على ما هو مذكور في العدد الرابع والعشرين من الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين وسيأتي نقل ذلك.

ولقد جاء مثل هذا الفعل الشنيع في حق يهوذا ابن يعقوب الآخر، ففي الباب الثامن والثلاثين من سفر التكوين[307] مذكور ما نصه: 6 وان يهوذا زوج ابنه بكره عير امرأة اسمها ثامار. 7 وكان عير بكر يهوذا

---

[306] في النسخة المطبوعة من العهد القديم مذكور ما نصه: وحدث إذ كان إسرائيل ساكناً في تلك الأرض أن رأوبين ذهب واضطجع مع بِلهة سُرِّيّة أبيه وسمع إسرائيل. اهـ ص58، واسرائيل هو يعقوب.

[307] ما ذكر هنا يختلف قليلاً عن النسخة المطبوعة من العهد القديم، انظر العهد القديم ص63-64.

رديئاً بين أيدي الرب فقتله الرب. وقال يهوذا لابنه أونان ادخل على امرأة أخيك وكن معها وأقم زرعاً لأخيك. فلما علم أونان أن الخَلَفَ لغيره كان إذا دخل إلى امرأة أخيه، يفسـد على الأرض لئلا يكون زرعاً لأخيه. فظهر ذلك منه سـوء أمام الرب لفعله ذلك وقتله الرب. فقال يهوذا لثامار كنّته اجلسـي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شـيلا ابني إلخ. فاعلموا ثامار قائلين هوذا حموك صـاعداً إلى تِمنة ليجزّ غنمه. فطرحت عنها ثامار ثياب الترمل وأخذت رداءً وتزينت وجلسـت في قارعة الطريق إلخ. فلما رآها يهوذا ظن أنها زانية لأنها كانت قد غطت وجهها لئلا تعرف. ودخل عندها وقال لها: دعيني أدخل إليك، لأنه لم يعلم أنها كنته، فقالت له: تعطيني حتى تدخل اليّ؟ فقال لها: أنا أعطيك جدياً ماعزاً من القطعان، وهي قالت له: أعطني رهنا حتى ترسـله. فقال يهوذا: أي شـيء أعطيك رهنا؟ فقال: خاتمك وعمامتك وعصـاك التي بيدك، فأعطاها لها، ودخل عليها فحبلت منه. وقامت فمضـت وطرحت عنها لبسـها ورداءها، ولبسـت ثياب ترملها. فلما كان بعد ثلاثة أشـهر أخبروا يهوذا قائلين: زنت كنتك، وهو ذا قد حبلت من الزنا، فقال يهوذا أخرجوها لتحرق. وإذا هم أخرجوها أرسـلت إلى حميها قائلة: مِنَ الرجل الذي هذه له حبلت أنا، فاعرف لمن هو الخاتم والعمامة والعصـا. فعرفها يهوذا وقال: تبررت هي أكثر مني لموضع أني لم أعطها لشيلا ابني، ولكنه لم يعد يعرفها بعد ذلك. وكان لما دنا وقت الولادة وإذا توأم في بطنها فعند طلقها الواحد سـبق وأخرج يده فأخذت القابلة قرمزاً وربطته في يده قائلة هذا يخرج أولا. فها ضـمَ يده إليه للوقت وخرج أخوه فقالت هي لماذا من أجلك انقطع السـياح[308]، ولذلك دعت اسمه فارِص وبعد ذلك خرج أخوه الذي على يده القرمز فدعت اسمهُ زَارَح. اهـ "من العدد 6 إلى العدد 30".

ونقول لا عجب ولا استغراب من نسبة هذا الفعل الشـنيع ليهوذا على حسـب أصـولهم، ولكن نعجب من نظم وتركيب هذه القصة الخرافية، ومن قولهم إن يهوذا أعطى خاتمه وعصاه وعمامته لكنّته رهنا على أجرة ذلك الفعل الشـنيع، وكيف يتصـورون أيها العاقل اللبيب أن يهوذا يذهب من ذلك المكان في رابعة النهار إلى محلّه بلا عمامة مكشوف الرأس مع أنه كان رئيساً في قومه؟! وإلى هذا الحين ما سمعنا في الدنيا بأسـرها أن رذيلاً من الأرذال – الذين يكونون في أغلب أوقاتهم في محلات الفواحش – أعطى عمامته رهناً على أجرة مثل هذا الفعل الشنيع!

والأغرب منه قولهم إن يهوذا أمر بإحراق كنته لما أخبروه أنها حبلى من الزنا، ولما أعلمته أنه هو الذي

[308] هكذا في الأصل، وفي النسخة المطبوعة من العهد القديم فقال لماذا اقتَحَمْتَ. عليك اقتحامٌ. ص64.

كان قد زنى بها وأحبلها أمر بتركها وشهد لها بشدة البر وأنها أبر منه فنعم البارُّ ونعمت البارَّة الفائقة في البِرِّ! كيف لا وهي لم تكشف عورتها إلا لأبي زوجها ولم تزن إلا به وقد حصلت منه بسبب هذا الزنا الواحد على ابنين كاملين، تولد من أحدهما الذي هو فارص أنبياء كرام داود وسليمان وعيسى عليهم السلام على ما هو مصرح به في الباب الأول من إنجيل متى، فأي شرف لثامار أعظم من أن ابنها فارص المولود لها من حميها صار جداً لأبناء الله داود وسليمان وعيسى ابن الله الوحيد بل الله على زعمهم.
ويلزم على قولهم أن لا يدخل داود في جماعة الرب لأنه البطن التاسع من فارص لأنه عندهم لا يدخل ابن زنا في جماعة الرب حتى الجيل العاشر.

واعجب لقولهم إن الرب قتل عير زوج ثامار. لكونه رديئاً، ورداءته لم تتبين من أي جهة كانت، أكانت هذه الرداءَة أعظم من رادءَة أبيه حيث زعموا أنه زنى بزوجته بعد موته؟ أو من رادة عمه الكبير حيث زعموا انه زنى بسرّية أبيه، أو من رداءَة عمّيه الآخرين شمعون ولاوي حيث زعموا أنهما قتلا ذكورا أهل البلدة كلهم، أو من رداءَة أبيه وجميع أعمامه حيث زعموا أنهم نهبوا أموال تلك البلدة وسبوا نساءها وأطفالها، أو من رداءة لوط وابنتيه على زعمهم حيث نسبوا إليهم تلك الفاحشة بعد أن نجاهم الله تعالى من عذاب قومهم. أهؤلاء كانوا قابلين للرأفة وعدم القتل وكان عير الذي لم تُعلم خطيئته مستحقاً للقتل فقتله الرب.

ومن العجب أيضاً زعمهم أن الرب قتل أونان على خطيئة عزل المني، وما قتل أعمامه وأباه على الخطيئات المذكورة، أهذا العزل أشد ذنباً من تلك الخطيئات؟!

وكيف لم يُجْرِ يعقوب الحد ولا التعزير على هذا الولد العزيز ولا على هذه المرأة الفاجرة، بل لم يثبت من هذا الباب ولا من باب آخر من كتبهم أنه تنغص لأجل هذا الأمر من يهوذا، بل إن الباب التاسع والأربعين[309] من سفر التكوين يشهد على عدم تكدره، حيث ذم روبيل وشمعون ولاوِي على ما صدر منهم، ولم يذم يهوذا على ما صدر منه، بل سكت عما صدر منه ومدحه مدحاً بليغاً، ودعا له دعاءً كاملاً ورجحه على إخوته بما فيهم روبيل الذي زنى –على زعمهم – بسريته بلها!

واعجب من تناقضهم بزعمهم أن الله ما قتل فارص وزارح مع كونهما ولدي زنا، بل أبقاهما كما أبقى ابني لوط، ولم يقتلهما كما قتل ولد داود الذي ولد بزناه بامرأة أوريا على ما زعموا. فلعل الزنا بامرأة الغير

---

[309] في العدد الثامن من الباب المذكور جاء أن يعقوب قال: يهوذا إياك يحمد إخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. اهـ ص84 من العهد القديم.

أشد عندهم من الزنا بالبنت أو بزوجة الابن.

افتراؤهم على هارون عليه السلام[310]

في الباب الثاني والثلاثين من سفر الخروج[311] جاء ما نصه: 1 ورأى الشعب أن موسى قد تأخر أن يهبط من الجبل فاجتمع الشعب إلى هارون وقالوا له قم فاجعل لنا آلهة يسيرون أمامنا من أجل أن موسى هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا ندري ماذا أصابه. 2 فقال لهم هارون انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وأبنائكم وبناتكم وائتوني بها. 3 فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. 4 فأخذ ذلك من أيديهم وصوره بالإزميل وصنعه عجلاً مسبوكاً. فقالوا هذه آلهتكَ يا إسرائيل التي اصعدتك من أرض مصر. 5 فلما نظر هارون ذلك بنى مذبحاً أمامه، ونادى هارون وقال غداً عيد للرب. 6 فبكَّروا في الغد وأصعدوا مُحْرَقات وقدموا ذبائح سلامةٍ، وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب. اهـ

ففي هذه العبارات أن هارون صنع عجلاً وبنى مذبحاً أمامه ونادى قائلاً غداً عيد للرب فعبد العجل وأمر بني إسرائيل بعبادته فقربوا الذبائح. ولا شك أن هارون نبي رسول، وإنكار صاحب الكتاب المسمى ميزان الحق نبوته في الصحيفة الخامسة بعد المائة من كتابه المسمى بحل الإشكال المطبوع سنة 1847 ليس بشيء.

ففي العدد السابع والعشرين من الباب الرابع من سفر الخروج مذكور ما نصه: فقال الرب لهارون اذهب وخذ موسى إلى البرية فمضى وأخذه إلى جبل الله وقبّله.

وفي الباب الثامن عشر من سفر العدد جاء ما نصه: 1 وقال الرب لهارون الخ. 8 ثم كلم الرب هارون وقال له إلخ. 20 ثم قال الرب لهارون. ففي هذا الباب من الأول الى الآخر هو المخاطب حقيقة.

وفي الباب الثاني عشر والرابع عشر والسادس عشر والتاسع عشر من سفر الخروج توجد هذه العبارة: "وكلم الرب موسى وهارون وقال لهما" في ستة مواضع.

وفي العدد الثالث عشر من الباب السادس من سفر الخروج مذكور ما نصه: فكلم الرب موسى وهارون وأوصاهما وأرسلهما إلى بني إسرائيل وإلى فرعون ملك مصر ليخرجا بني إسرائيل من مصر.

فظهر من هذه العبارات أن الله أوحى إلى هارون عليه السلام منفرداً وبشركة موسى عليه السلام، وأرسله

---

[310] إظهار الحق ج2، ص471-472-473 بتصرف.

[311311] سفر الخروج ص139-140، من العهد القديم.

إلى بني إســـرائيل وإلى فرعون كما أرســـل موســـى عليه الســـلام، ومن يطالع كتاب الخروج يجد فيه أن المعجزات التي صدرت في مقابلة فرعون ظهر أكثرها على يد هارون عليه السلام.

افتراؤهم على موسى وهارون عليهما السلام[312]

في الباب الرابع من سفر الخروج[313] مذكور ما نصه: 10 فقال موسى للرب استمع أيها السيد، لست أنا صــاحب كلام منذ أمس ولا أولِ من أمس ولا من حين كلمت عبدك، بل أنا ثقيل الفم واللســـان. 11 فقال له الرب من صنع للإنسـان فماً أو من يصنع أخرس أو أصـم أو بصـيراً أو أعمى، أما هو أنا الرب. 12 فالآن اذهب وأنا أكون مع فمك وأعلمك ما تتكلم به. 13 فقال استمع أيها السيد أرسل بِيَدِ مَن ترسل. 14فحمي غضب الرب على موسى إلخ.

فانظر أيها اللبيب إلى ما زعموه في حق موسى من انه استعفى واستقال من منصب النبوة والرسالة وقد كان الرب وعده أن يكون معه وأن يجعله مطمئناً، فاشتد غضب الله تعالى عليه.

فكيف يتصور أيها العاقل أن يشتَدّ غضب الرب على موسى عليه السلام مع أنه من أنبيائه وأصفيائه، وغضبه إنما يكون على أعدائه وعلى الذي فسقوا عن أمره.

وفي العدد الثاني عشر من الباب العشرين من سفر العَدَد[314] مذكور ما نصه: وقال الرب لموسى وهارون من أجل أنكما لم تصـدقاني وتقدسـاني قدام بني إسـرائيل من أجل ذلك لا تدخلان أنتما بهذه الجماعة إلى الأرض التي وهبت لهم. اهـ

وفي الباب الثاني والثلاثين من سفر الاستثناء مذكور ما نصه: 48 وكلم الرب موسى في ذلك اليوم وقال له. 49 ارق هذا الجبل عَبَريم وهو جبل المجازاة إلى جبل نابو الذي في أرض موآب تلقاء أريحاء، ثم انظر إلى أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسـرائيل ليرثوها ثم مت في الجبل. 50 الذي تصـعد إليه وتجتمع إلى شـعوبك، كما مات أخوك هارون في هُور الطور واجتمع إلى شـعبه. 51 على أنكما عصـيتماني في بني إسرائيل عند ماء الخصام في قَادِس برية صِيْن ولم تطهراني في بني إسرائيل. 52 فإنك ستنظر إلى الأرض

---

[312] إظهار الحق ج2، ص474-476 بتصرف.

[313] سفر الخروج ص92-93، من العهد القديم.

[314] سفر العدد ص246 مع اختلاف قليل، وفيه مذكور: "مِن أجل أنكما لم تؤمنا بي حتى تقدساني أمام أعين بني إسرائيل" الخ.

التي أنا أعطيها بني إسرائيل من تلقائها، وأما أنت فلا تدخلها اهـ.

ففي ذلك تصريح بأن الله تعالى حرمه وأخاه هارون عليهما السلام من دخول الأرض المقدسة لكونهما عصياه ولم يقدساه ولم يصدقاه أمام بني إسرائيل، فلعلهم يرون أن شعبهما الموعود بدخول الأرض المقدسة أعز مكاناً وأرفع شأناً عند الله تعالى بحيث استحقوا ما حرم منه هذان النبيّان الرسولان الجليلان! واعجب أيها العاقل مما نسبوه إليهما أيضاً من أن آخر حياتهما ختمت بإعراض الله عنهما جزاءً لهما – على زعمهم– على عصيانهما الرب وتركهما تقديسه وتصديقه أمام بني إسرائيل كما هو مصرح به في العبارات التي نقلناها آنفاً وفيها أن الرب قال لهما زاجراً "إنكما لم تصدقاني وتقدساني" "وإنكما عصيتماني".

فإن كان حال نبي الله موسى ونبي الله هارون عندهما هكذا من إعراض الله عنهما والحكم عليهما بسوء الخاتمة فلمن يصح حسن الخاتمة؟! نعوذ بالله تعالى من مثل هذا الكفر والضلال المبين، ونسأله حسن الخاتمة بتنزيهنا أنبياءه الكرام عن كل ما يشينهم.

افتراؤهم في شأن شمشون[315]

"في الباب السادس عشر من سفر القضاة[316] مذكور أن شمشون زنى بامرأة زانية كانت في غزة، ثم عشق امرأة اسمها دليلة من أهل وادي شوراق وكان يدخل إليها، فأمرها كفار فلسطين أن تسأله كيف يقدر الفلسطينيون عليه ويوثقونه ولا يقدر هو على كسر الوثاق ووعدوها عطية جزيلة فسألته فكذب ثلاث مرات، فقالت له هذه الفاجرة كيف تقول انك تحبني وقلبك ليس معي، وقد كذبتني ثلاث مرات وضيقت عليه بكلامها أياماً كثيرة فأطلعها على ذلك وقال إن حلقوا شعر رأسي زالت عني قوتي وصرت كواحد من الناس. فلما رأت أنه قد أظهر ما في قلبه دعت رؤساء أهل فلسطين، وأنامته على ركبتها، ودعت الحلاق فحلق سبع خصال من شعر رأسه، فزالت عنه قوته فأسروه وقلعوا عينيه وحبسوه في السجن ثم مات هناك.

وشمشون عندهم نبي على ما هو مذكور في العدد الخامس والعدد الخامس والعشرين من الباب الثالث

---

[315] إظهار الحق ج2 ص476 بتصرف.

[316] سفر القضاة ص407-408-409، من العهد القديم.

عشر من السفر نفسه[317] وكذلك العدد السادس والعدد التاسع عشر من الباب الرابع عشر[318] والعدد الرابع عشـر والثامن عشـر والتاسـع عشـر من الباب الخامس عشـر من السـفر المذكور. والعدد الثاني والثلاثون من الباب الحادي عشر من الرسالة العبرانية".

فيا للعجب كيف يعتقدون هذه الفواحش في نبي من الأنبياء وأنه أدمن عليها إلى أن كان سـبب هلاكه امرأة فاجرة تعلق قلبه بمحبتها وصار يتردد إليها لأجل الفاحشة حتى أوقعت به وعرفت سر قوّته فمكنت الكفار منه إلى أن مات في السـجن فكيف يكون حال من سـيرته وخاتمته كذلك؟! أيكون – عندهم – نبياً مقرباً عند الله؟!

افتراؤهم على داود عليه السلام[319]

في الباب الحادي والعشـرين من سـفر صـموئيل الأول[320] في حال داود عليه السـلام لما فرّ على زعمهم خوفاً من شاوول ملك إسرائيل ووصل إلى نوبا عند أخيملك الكاهن مذكور ما نصه: وأتى داود إلى نوبا أخيملك الحبر فتعجب أخيملك من إتيان داود وقال له لماذا جئت وحدك وليس معك أحد. فقال داود لأخيملك الكاهن إن الملك أمرني بشـيء وقال لي لا يعلمْ أحدٌ بهذا فيما أبعثك وأمرتك، فأما الفتيان فقد فرضت لهم ذلك الموضع وذلك. والآن إن كان شيء تحت يدك أو خمسة من الخبز فادفع إلي مهما وجدت. وأعطاه الخبز خبز القدس إلخ. وقال داود لأخيملك أهنا تحت يدك سيف أو حربة لأن سيفي وحربتي لم آخذ معي لأنه كان أمرُ الملك مسرعاً. اهـ

فعلى زعمهم كذب داود عليه السلام كذباً بعد كذب، وصارت ثمرة هذا الكذب المزعوم أن شاوول ملك بني إسرائيل قتل أهل نوبا كلهم ذكورهم ونساءهم وأطفالهم ودوابهم من البقر والغنم والحُمُر وقتل في هذه الحادثة خمسـة وثمانين كاهناً، ونجا ابن لأخيملك اسمه أبينار وفر ووصـل إلى داود عليه السـلام وأقر داود بأنه سبب لقتل أهل بيته كلهم كما هو مصرح به في الباب الثاني والعشرين من السفر المذكور[321].

---

[317] سفر القضاة ص403 و 404 من العهد القديم.

[318] سفر القضاة ص407 من العهد القديم.

[319] إظهار الحق ج2، ص477 إلى 482 بتصرف.

[320] سفر صموئيل الأول ص463-464 من العهد القديم. والاسم فيه مذكور هكذا: "أَخِيمالِكُ".

[321] سفر صموئيل الأول ص465-466 من العهد القديم.

وفي الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الثاني[322] مذكور ما نصه: 2 قام داود من فراشه بعد الظهر يتمشى على سطح مجلس ملكه، فأبصر امرأة تغتسل على سطحها وكانت جميلة جداً فأرسل داود وسأل عن الامرأة وقالوا له إنها بنت شباع امرأة أوريا فأرسل داود رسلاً وأخذها ونام معها، ثم رجعت إلى بيتها فحبلت وأخبرته وقالت إني قد حبلت. فأرسل داود إلى يواب قائلا له أرسل إلى أوريا فأرسل يواب أوريا وسأل داود عن سلامة يواب وعن سلامة الشعب وعن الحرب ثم قال انزل إلى بيتك. فخرج أوريا فرقد بباب بيت الملك ولم ينحدر إلى بيته وأخبروا داود عليه السلام أن أوريا لم ينزل إلى بيته فقال داود لماذا لم تنحدر إلى بيتك فقال أوريا تابوت الله وإسرائيل ويهوذا في الخيام وسيدي يواب وعبيد سيدي في القفر وأنا أنطلق إلى بيتي وآكل وأشرب وأنام مع امرأتي لا وحياتك وحياة نفسك إني لا أفعل هذا. وقال داود أقم اليوم أيضاً ههنا، وإذا كان الغد أرسلك. وبقي أوريا في أورشليم ذلك اليوم، وفي اليوم الآخر دعاه داود ليأكل قدامه ويشرب فأسكره، وخرج وقتَ المساء فنام مكانه على جانب عبيد سيده ولم ينحدر الى بيته، فلما كان الصباح كتب داود صحيفة إلى يواب وأرسلها بيد أوريا وقال صيروا أوريا في أول الحرب، وإذا اشتبك الحرب ارجعوا واتركوه وحده ليقتل، فلما نزل يواب حول القرية أقام أوريا في المكان الذي يعلم أن الرجال الشجعان هناك فخرج أهل القرية فقاتلوا يواب فسقط من الشعب قوم من عبيد داود عليه السلام، وأوريا فمات، وأرسل يُواب إلى داود عليه السلام وأخبره، وسمعت امرأة أوريا أن زوجها قد مات فناحت عليه، 27 فلما انقضت أيام مناحتها، أرسل داود عليه السلام فأدخلها بيته وصارت له امرأة وولدت له ابنا وساء هذا الفعل داود أمام الرب انتهى ملخصاً.

وفي الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني[323] مذكور ان حكم الرب لداود على لسان ناثان النبي هكذا: 9 ولماذا أزريت بوصية الرب وارتكبت القبيح أمام عين الرب وقتلت أوريا الحثي في الحرب وامرأته أخذتها لك امرأة وقتلته بسيف بني عمون 14 ولكن لأنك أشمت بك أعداء الرب بهذه الفعلة فالابن الذي وُلِدَ لك موتا يموت.

فقد صدر من داود على زعمهم خطيئات:

الأولى: أنه نظر إلى امرأة أجنبية بشهوة، ومذكور عندهم أن عيسى عليه السلام قال إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه كما هو مذكور في العدد الثامن والعشرين من الباب الخامس من إنجيل

[322] سفر صموئيل الثاني ص498 من العهد القديم.

[323] سفر صموئيل الثاني ص500، من العهد القديم.

متى.

والثانية: أنه ما اكتفى بنظر الشهوة بل طلبها وزنى بها، وحرمة الزنا قطعية من الكبائر وذلك من الأحكام العشرة المشهورة المذكورة عندهم في التوراة: "لا تَزْنِ"[324].

والثالثة: أن هذا الزنا كان بزوجة الجار وهذا أشد أنواع الزنا وذنب آخر على ما هو مصرح به في الأحكام العشرة المشهورة في الباب العشرين من سفر الخروج.

والرابعة: أن داود طلب أوريا من العسكر وأمره أن يذهب إلى بيته وجُلّ غرضه أن يلقي على عيبه ستراً ويكون هذا الحَبَل منسوباً إلى أوريا ولما لم يذهب لأجل ديانته وحلف أنه لا يروح، أقامه داود اليوم الثاني وجعله يشرب الخمر الكثير ليروح الى بيته في حالة السكر لكنه لم يرح في هذه الحالة أيضاً مراعيا لديانته، ولم يلتفت إلى زوجته الباهرة الجمال التي كانت جائزة له شرعاً. لعل السكر لا يؤثر على عوام الناس كما أثر على زعمهم على نبي الله لوط عليه السلام. وانظر أيها اللبيب إلى حال ديانة العوام عند أهل الكتاب في التورع عن المباح لأجل الديانة هكذا وانظر إلى حال ديانة الأنبياء الإسرائيليين عندهم كيف يسعون لارتكاب الفواحش ويصرون عليها. [فليت شعري من الأجدر بمنصب النبوة عندهم أهو أوريا الورع أم داود مرتكب الفواحش –على زعمهم– الذي لم يأمن منه جاره على نفسه وعِرضه، ولم يشغله التفكير بأمر الجيش الذي وجهه لخوض المعارك عن السعي في طلب الشهوات الدنيئة التي يأنف أراذل الملوك عن مقارفتها].

والخامسة: أنه لما لم تحصل ثمرة مقصوده على ما ذكروه من إسكار أوريا عزم على قتله، فقتله بسيف بني عمون، وقتل المسلم من أعظم الذنوب، وفي العدد السابع من الباب الثالث والعشرين من سفر الخروج: "لا تقتل البارَّ الزكي"[325].

والسادسة: أنه لم يتنبه إلى خطئه، ولم يتب لو لم يعاتبه ناثان الموصوف عندهم بالنبوة.

والسابعة: أنه قد وصل إليه حكم الله بأن هذا الولد الذي تولد بالزنا يموت، ومع هذا دعا لأجل عافيته[326].

---

[324] سفر الخروج، الباب العشرون عدد 14، ص119 من العهد القديم.

[325] سفر الخروج، باب 23، عدد 7، ص123، مذكور بلفظ "لا تقتل البريء والبارَّ" في النسخة المطبوعة من العهد القديم.

[326] سفر صموئيل الثاني ص500 من العهد القديم.

والثامنة: أنه ما أجرى حد الزنا على نفسه ولا على هذه المرأة، مع أنه مذكور في العدد العاشر من الباب العشرين من سفر الأخبار ما نصه: ومن زنى بامرأة لها رجل فليقتل الزاني والزانية.

وفي العدد الثاني والعشرين من الباب الثاني والعشرين من سفر الاستثناء ما نصه: إن اضطجع رجل مع امرأةٍ غيره فكلاهما يموتان الزاني والزانية وارفع الشر من إسرائيل. اهـــ. فلعل الحدود المذكورة في التوراة فرضها الرب للإجراء على الفقراء والمساكين المغلوبين لا على الملوك والسلاطين، نعوذ بالله أن نكون من القوم الكافرين الذي يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون على الله ما لا يعلمون.

والأغرب من هذا ما زعموه من أن الرب قد حكم عليه أيضاً على لسان النبي ناثان بهذا الحكم ونصه: "11 قال الرب ها أنا ذا أقيم عليك الشر من بيتك وآخذ نساءك أمام عينك وأعطيهن لقريبك فيضطجع مع نسائك في عين هذا الشمس. 12 لأنك أنت فعلت بالسر وأنا أفعل هذا الأمر قدام جميع إسرائيل وقدام الشمس" اهـ وذلك في الباب الثاني عشر من سفر صموئيل الثاني.

وقد زعموا أنه وفى بما وعد وهيج والعياذ بالله تعالى ولداً من أولاده اسمه أبيشالوم فنصب خيمة على السطح ودخل على جميع سراري أبيه فاضطجع معهن تجاه جميع بني إسرائيل وقدام الشمس كما هو مذكور في العدد الثاني والعشرين من الباب السادس عشر من السفر المذكور. ثم حارب أبيشالوم أباه داود عليه السلام حتى قتل في تلك المحاربة عشرون ألفاً من بني إسرائيل كما هو مذكور في الباب الثامن عشر من السفر المذكور.

فهذا الولد السعيد الذي لداود عليه السلام –على مقتضى كتبهم – قد فاق روبيل الولد الأكبر ليعقوب عليه السلام بثلاثة أوجه:

الأول: أنه زنا بجميع سراري أبيه بخلاف روبيل فإنه زنا بسرية واحدة.

والثاني: أنه زنا بهن تجاه بني إسرائيل علانية وأمام الشمس بخلاف روبيل فإنه زنا خفية.

الثالث: أنه حارب أباه حتى قتل عشرون ألفاً من بني إسرائيل.

وداود عليه السلام مع صدور هذه الأمور عن هذا الخلف السيء، كان قد أوصى رؤساء العسكر أن لا يقتله أحد لكن يواب خالف أمره وقتله ولما سمع داود عليه السلام بكى بكاء شديداً وحزن عليه.

لكن لا عجب ولا استغراب من هذه الأمور لأن أمثالها لو صدرت عن أولاد الأنبياء بل الأنبياء ليست عجيبة على حكم كتبهم، وإنما العجب والاستغراب من زعمهم أن زنا أبيشالوم بسراري أبيه كان بحكم الرب ورضاه وأنه هو الذي هيجه على هذا الفعل الشنيع مجازاة لداود عليه السلام على ما فعله، تعالى

الله عن ذلك علواً كبيراً، فهل يعقل أيها اللبيب أن الله يحكم على من زنا، بأن يزني ابنه بنسـائه جهاراً أمام الناس؟ نعوذ بالله من سلب العقول.

وقبل أن ننتقل إلى نقل افتراءاتهم على نبي الله سـليمان بن داود عليهما السـلام، ننقل ما نسـبوه إلى حمنون، الولد الأكبر لداود عليه السلام. ففي الباب الثالث عشر من سفر صموئيل الثاني مذكور أن حمنون الولد الأكبر لداود زنى بثامار قهراً ثم قال لها اخرجي، ولما امتنعت عن الخروج أمر خادمه فأخرجها وأغلق الباب خلفها فخرجت صارخة، وسمع داود عليه السلام بهذه الأمور وشقت عليه لكن لم يقل لحمنون شيئاً لمحبته له ولا لثامار، وكانت ثامار هذه أختاً لأبيشالوم بن داود عليه السلام يقيناً، ولذلك أبغض أبيشالوم حمنون وعزم على قتله، ولما قدر عليه قتله.

افتراؤهم على سليمان عليه السلام[327]

في الباب الحادي عشر من سفر الملوك الأول[328] مذكور ما نصه: 1 وكان سليمان الملك قد أحب نساء كثيرات غريبات، وابنة غريبات، وابنة فرعون، ونســـاء من نســـاء الموابيين ومن بنات عمون، ومن بنات أدوم، ومن بنات الصـــيدانيين ومن بنات الحيثانيين. 2 ومن الشـــعوب الذي قال الرب لبني إســـرائيل لا تدخلوا إليهم، ولا يدخلوا إليكم لئلا يميلوا قلوبكم إلى آلهتهم، وهؤلاء التصق بهم سليمان بحب شديد. 3 وصار له سبعمائة امرأة حرة وثلاثمائة سرية، وأغوت نساؤه قلبه. 4 فلما كان عند كبر سليمان أغوت نساؤه قلبه إلى آلهة أخر، ولم يكن قلبه سليماً لله ربه مثل قلب داود أبيه. 5 وتبع سليمان عشتروت إله الصـــيدانيين وملكوم صـــنم بني عمون. 6 وارتكب ســـليمان القبح أمام الرب ولم يتم أن يتبع الرب مثل داود أبيه. 7 ثم نصب سليمان نصبة لكاموش صنم مواب في الجبل الذي قدام أورشليم، ولملكوم وثن بني عمون. 8 وكذلك صنع لجميع نسائه الغريبات وهن يبخرن ويذبحن لآلهتهن. 9 فغضب الرب على ســـليمان حيث مال قلبه عن الرب إلى إســـرائيل الذي ظهر له مرتين. 10 ونهاه عن هذا الكلام، أن لا يتبع آلهة الغرباء، ولم يحفظ ما أمره به الرب!! فقال الرب لســـــليمان إنك فعلت هذا الفعل ولم تحفظ عهدي ووصاياي التي أمرتك بهن، أشقّ شقاً ملكك، وأصيّره إلى عبدك. اهـ

فقد صدر من سليمان على زعمهم أمور فاحشة

الأول: وهو أعظمها أنه ارتد في آخر عمره الذي هو حين التوجه إلى الله، وجزاء المرتد عندهم الرجم ولو كان نبياً ذا معجزات على ما هو مذكور في الباب الثالث عشر والسابع عشر من سفر الاستثناء[329]، ولا يُعلم من أي موضع من مواضع هذه التوراة أنه تقبل توبة المرتد، ولو كانت تقبل لما أمر موسى عليه السلام بقتل عبدة العجل حتى قتل ثلاثة وعشرين ألف رجل على هذا الفعل.

والثاني: أنه بنى المعابد العالية للأصنام في الجبل قدام أورشليم، وهذه المعابد كانت باقية مائتي سنة حتى نجسها، وكسر الأصنام يُوشِيّا بن آمون ملك يهوذا في عهده بعد موت سليمان عليه السلام بأزيد من ثلاثمائة وثلاثين سنة كما هو مصرح به في الباب الثالث والعشرين من سفر الملوك الثاني[330].

---

[327] إظهار الحق ج2، ص 483-486.

[328] سفر الملوك الأول ص553 من العهد القديم مع بعض الاختلاف في الألفاظ.

[329] سفر الاستثناء "وهو سفر التثنية" ص300-301، وص306. من العهد القديم.

[330] سفر الملوك الثاني ص626-727 من العهد القديم.

والثالث: أنه تزوج نساء من سفر الشعوب التي كان الله منع من الالتصاق بهن كما هو مذكور في الباب السابع من الاستثناء[331] بما نصه: 3 ولا تجعل معهم زيجة فلا تعط ابنتك لابنه ولا تتخذ ابنته لابنك.

والرابع: تزوج بألف امرأة وقد كانت كثرة الأزواج محرمة على ما يكون سلطان بني إسرائيل ففي العدد السابع عشر من الباب السابع عشر من سفر الاستثناء[332] مذكور ما نصه: ولا تكثر نساؤه لئلا يخدعن نفسه.

والخامس: أن نساؤه كن يُبَخّرْن ويذبحن للأوثان، وقد ذكر في الباب الثاني والعشرين من سفر الخروج[333] ما نصه: من يذبح للأوثان فليقتل. فكان قتلهن إذاً واجباً.

والسادس: أنهن أغوين قلبه، فكان رجمهن واجباً على ما هو مذكور في الباب الثالث عشر من سفر الاستثناء[334]. ولكنه لم يفعل إلى آخر حياته.

فالعجب كل العجب أن داود وسليمان عليهما السلام -على زعم أهل الكتاب - ما أجريا حدود التوراة على نفسيهما، ولا على أهل بيتهما، فأية مداهنة أكبر من هذا، أم أن هذه الحدود فرضها الله للإجراء على المساكين المغلوبين الذي لا حول لهم ولا قوة!

ولم تثبت توبة سليمان عليه السلام في موضع من المواضع في العهد القديم، بل الظاهر -عندهم - عدم توبته لأنه لو تاب لهدم المعاهد التي بناها وكسر الأصنام التي وضعها في تلك المعابد، ورجم أولئك النساء المغويات، على أنه لو تاب لما سلم من إجراء الحد عليه لأن حكم المرتد في التوراة ليس إلا الرجم.

وأما ما ادعاه صاحب الكتاب المسمى ميزان الحق في الصحيفة الخامسة والخمسين من طريق الحياة المطبوع سنة 1847، من توبة آدم وسليمان عليهما السلام، فادعاءٌ بحت وكذبٌ صرف على ما بأيديهم من أسفار العهد القديم.

فانظر أيها اللبيب إلى جراءة بني إسرائيل على الأنبياء العظام كيف أنهم لم يكتفوا بنسبة المعاصي

---

331 سفر الاستثناء ص290 من العهد القديم، العدد الثالث.

332 سفر الاستثناء ص307، من العهد القديم.

333 سفر الخروج ص123، من العهد القديم مذكور بلفظ من ذبح لآلهة غيرِ الربِ وحدَه يُهْلَكُ. "العدد العشرون".

334 سفر الاستثناء ص301 "العدد العاشر" من العهد القديم.

والكبائر إليهم بل تجاوزوا الحد حتى أخرجوا بعضاً منهم عن الدين بالكلية، ويا عجباً من بني إسرائيل كيف ساغ لهم أن يدخلوا في التوراة هذا البهتان المبين، وإذا حملهم الحسد لأنبيائهم الذي هم من جنسهم فافتروا عليهم هذه الأمور التي يكذبها البرهان وتقشعر من ذكرها جلود أهل الإيمان، فلا عجب ولا استغراب من إنكارهم اسم نبينا وحذفه وهو من غير جنسهم، ولا يستبعد ذلك من قوم قذفوا السيد المسيح وأمه الطاهرة البتول، وقد قتلوا جملة من الأنبياء الكرام بعد أن رأوا منهم الآيات البينات والمعجزات الباهرات وحيث ظهر لك أيها اللبيب أنهم يكفرون نبي الله سليمان عليه السلام تعرف سر قوله تعالى: ﴿وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا﴾ [البقرة، الآية: 102] وأنه وارد للرد على من افترى ذلك وتكذيبه، وليس وارداً مورد المدح وإلا لم يكن فيه كبير فائدة، الا ترى أنه لو قيل عن واحد من آحاد الناس في مقام المدح إنه ليس بكافر لم يُعَدّ كبير مدح، وربما أغضبَ من قيل فيه ذلك، لأن الكفر أقبح أنواع العيوب، واستدعاء نفيه قد يشعر بإمكان ثبوته، ولا يلزم من نفيه غيره من العيوب، بخلاف ما إذا أريد بذلك الرد على المفترين فتأمل أرشدك الله.

افتراؤهم في شأن شاوول[335]

في الباب العاشر من سفر صموئيل الأول[336] في حق شاوول ملك إسرائيل السفاك المشهور مذكور ما نصه: 10 وأتوا إلى الرابية وإذا صف من الأنبياء استقبله، وحل عليه روح الرب فتنبأ بينهم. 11 وحينما نظره الذين يعرفونه من أمس وقبل الأمس فإذا هو مع الأنبياء متبني قال كل امرئ منهم لصاحبه ما هذا الذي أصاب ابن قيس شاوول في الأنبياء. 12 فأجاب بعضهم البعض وقالوا مَنْ أبوهم. من أجل هذا صار مَثَلاً هل أيضاً شاوول في الأنبياء. وفرغ مما تنبأ فأتى إلى الخضيرة.

وفي العدد السادس من الباب الحادي عشر من سفر صموئيل الأول[337] مذكور ما نصه: فحلَّ روح الله على شاوول عندما سمع هذا القول وحمي غضبه جداً.

---

[335] إظهار الحق ج2 ص486-487.

تنبيه: لم أقف على شيء في المراجع التي بين يدي على ما يثبت كون شاوول نبياً، فما أوردته هنا لبيان أنهم ينسبون إلى أنبياء الله تلك القبائح، وشاوول في اعتقادهم من الأنبياء ومع ذلك نسبوا إليه ما نسبوا.

[336] سفر صموئيل الأول ص441 من العهد القديم، مع بعض الاختلاف في الألفاظ، وقد ذكر اسمه "شاؤل" بواو واحدة.

[337] سفر صموئيل الأول ص442 من العهد القديم.

فهذه العبارات تقضـي أن شـاوول كان مسـتفيضـاً بروح القدس، وكان يخبر عن الحالات المسـتقبلة وفي الباب السـادس عشـر من السـفر المذكور[338] جاء ما نصـه: 14 وابتعد روح الله من شـاوول وصـار روحٌ رديءٌ يعذبه بأمر الرب.

وذلك يقتضي أن هذا النبي سقط عن درجة النبوة فابتعد عنه روح الله وتسلط عليه روح الشيطان.

وفي الباب التاسـع عشـر من هذا السـفر[339] مذكور ما نصـه: فانطلق شـاوول إلى نويت التي في الرامة وحلت عليه أيضـاً روح الرب، فجعل يسـير وتنبأ حتى انتهى الأمر إلى نويت في الرامة. وخلع هو ثيابه وتَنبّأ هو أيضـاً أمام صـموئيل، وسـقط عريان نهاره ذلك كله وليلته تلك كلها، فصـار مثلاً شـاوول في الأنبياء.

فحصـل على زعمهم لهذا النبي السـاقط عن درجة النبوة هذه الدرجة العليا مرة أخرى ونزل عليه روح القدس نزولاً قوياً بحيث رمى ثيابه وصـار عرياناً، وكان على هذه الحالة يوماً بليلته، فهذا النبي الجامع بين الروح الشـيطاني والرباني –على ما هو مذكور عندهم – كان مجمع العجائب، فمن شـاء فلينظر حال ظلمه وعتوه في السفر المذكور.

وبعد أن تم بعون الله مرادنا من الجزء الثاني من هذا الكتاب، ببيان بطلان التهم التي نسـبت إلى الأنبياء في كتب اليهود والنصـارى، نذكر تتمة في رد قول من نسـب إلى الله الابن، وحيث أن اليهود والنصـارى وقعوا في هذا الضلال المبين، ووافقهم بعض من يدعي الإسلام، بدعوى أن إطلاق ذلك على المسيح – وغيره – إنما كان مأذونا فيه على وجه المجاز، نجعل ردنا مشـتملاً على آيات قرآنية وبراهين عقليه، بحيث تقوم الحجة على الجميع، ونسأل الله الرشاد والتوفيق.

---

[338] سفر صموئيل الأول ص453 من العهد القديم.

[339] سفر صموئيل الأول ص460 من العهد القديم، وما ذكر هنا فهو مختصر، بالمعنى.

تتمة

وتشتمل على:

بيان أن الله منزه عن الولد.

بيان منع قول: "المسيح ابن الله" ولو بقصد المجاز.

بيان أن الله منزه عن الولد

[قصص الأنبياء ص581-586، باختصار وتصرف]

قال الله تعالى: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا. لقد جئتم شـــيئاً إدا﴾ [مريم، آية: 88-89] شـــيئاً عظيماً ومنكراً من القول وزورا ﴿تكاد السـموات يتفطرن منه وتنشـق الأرض وتخِر الجبال هذا. أن دعوا للرحمن ولدا. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا. إن كل من في الســـموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً. لقد أحصاهم وعدهم عداً. وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ [مريم، 90-95].

فبيّن أنه تعالى لا ينبغي له الولد لأنه خالق كل شـيء ومالكه، وكل شـيء فقير إليه، خاضـع ذليل لديه، وجميع سكان السموات والأرض عبيده، هو ربهم لا إله إلا هو، ولا رب سواه كما قال تعالى: ﴿وجعلوا لله شـركاءَ الجنَّ وخَلَقَهُم وخَرَقوا له بنين وبناتٍ بغير علم سـبحانه وتعالى عما يصـفون بديع السـموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم. ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل﴾ [الأنعام، الآية: 100-102].

فبين أنه خالق كل شـيء فكيف يكون له ولد، والولد لا يكون إلا بين شـيئي متناسـبين، والله تعالى لا نظير له ولا شـبيه ولا عديل له، فلا صـاحبة له، فلا يكون له ولد كما قال تعالى: ﴿قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ [سورة الإخلاص].

يقرر أنه الأحد الذي لا نظير له في ذاته ولا في صــفاته ولا في أفعاله "الصــمد" وهو الســيد الكامل في علمه وحكمته ورحمته.

" لم يلد" أي لا يوجد منه ولد "ولم يولد" أو لم يتولد عن شـــيء قبله، "ولم يكن له كفواً أحد" أي وليس له عدل ولا مكافئ ولا مســـاوٍ، فنفى النظير المداني والأعلى والمســـاوي، فانتفى أن يكون له ولد إذ لا يكون الولد إلا متولداً بين شيئين متعادلين أو متقاربين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وقال تبارك وتعالى: ﴿يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسـيح عيسـى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا. لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾ [النساء، الآية: 171-172].

ينهى الله تعالى أهل الكتاب ومن شابههم عن الغلو والإطراء في الدين وهو مجاوزة الحد، فالنصارى لعنهم الله، غلوا وأطروا المســيح حتى جاوزوا الحد. فكان الواجب عليهم أن يعتقدوا أنه عبد الله ورســوله وابن

أمته العذراء البتول.

وقال تعالى: ﴿وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنّ يؤفكون﴾ [التوبة، الآية: 30].

فأخبر تعالى أن اليهود والنصارى عليهم لعائن الله كل من الفريقين ادعوا على الله شطط وزعموا أن له ولداً، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وأخبر أنهم ليس لهم مستند فيما زعموه ولا فيما ائتفكوه إلا مجرد القول ومشابهة من سبقهم وقال تعالى: ﴿وينذر الذي قالوا اتخذ الله ولداً. ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ [الكهف، الآية: 4-5].

وقال تعالى: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السموات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير﴾ [المائدة، الآية: 17].

وقال تعالى أيضاً: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم. أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم. ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صدّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنّ يؤفكون﴾ [المائدة، الآية: 72-75].

حكم الله تعالى بكفرهم، وبين لهم أن المسيح عبد مربوب مخلوق مصور في الرحم داع إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وتوعدهم على خلاف ذلك بالنار والخزي في الدار الآخرة والعار ثم قال لقد كفر الذي قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد. قال ابن جرير وغيره المراد بذلك قولهم بالأقانيم الثلاثة: أقنوم الأب وأقنوم الابن وأقنوم الكلمة المنبثقة من الأب إلى الابن على اختلافهم في ذلك ما بين الملكية واليعقوبية والنسطورية، عليهم لعائن الله.

ثم بيّن حال المسيح وأمه وأنه عبد رسول وأمه صديقة، أي ليست بفاجرة كما يقول اليهود لعنهم الله. وفيه دليل على أنها ليست نبية كما زعم ذلك طائفة من العلماء. وقوله: ﴿كانا يأكلان الطعام﴾ كناية عن خروجه منهما كما يخرج من غيرهما، أي ومن كان بهذه المثابة كيف يكون إلها تعالى الله عن قولهم وجهلهم علواً كبيراً.

وقال السدّيّ وغيره المراد بقوله: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ﴾ [المائدة، الآية:73] زعمهم في عيسى وأمه أنهما الإلهان مع الله، يعني كما بيّن تعالى كفرهم في ذلك بقوله في آخر هذه السورة الكريمة ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾ [المائدة، الآية: 116].

بيان منع قول: "المسيح ابن الله" ولو بقصد المجاز

ليعلم أنه قد وقع بعض من يدعي العلم في خطأ شنيع، في مسألة إطلاق لفظ ابن الله على المسيح وعلى بعض الأنبياء سواه، وكذلك في مسألة إطلاق لفظ أبناء الله على أتباع المسيح وعلى اليهود فقال بعضهم إن إطلاق ذلك كان جائزاً في شرائعهم، وإنه يحمل على المعنى المجازي، وكذلك قالوا في إطلاق لفظ الأب عليه تعالى، وقالوا هو بمعنى متولي المسيح -وغيره- بالرحمة والعناية لا بمعنى الأبوة الحقيقية.

وهذه الأقوال فاسدة باطلة لا يجوز الأخذ بها ولا يجوز اعتقادها، وقائلوها لا مستند لهم إلا هذه الكتب المحرفة التي لا يجوز اعتمادها لما فيها من الكفر والضلال كما بينا ذلك. بل الحق الذي لا محيد عنه أنه لم يرد في كتاب سماوي ولا على لسان نبي من الأنبياء إطلاق هذه الألفاظ.

ولو كان ذلك سائغاً كما ادعوه لورد بيان ذلك عن النبي المعصوم صلى الله عليه وسلم ولكان بيّن لنا أن الله ذم الذين نسبوا إلى الله الولد بالمعنى الحقيقي لا بالمعنى المجازي ولكنا نجد نصوص القرآن ناطقة بضد ما يزعمون كقوله تعالى رداً على اليهود والنصارى الذين نسبوا له الولد: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ﴾ [التوبة، الآية:30] فقولهم ادعاء محض وافتراء مبين ﴿ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [التوبة، الآية:30].

ومن يتتبع ما ورد في القرآن الكريم في شأن المسيح عليه السلام لا يجد شيئاً يؤيد ما قالوه، بل يجد فيه أن أول ما نطق به المسيح في المهد أن قال ﴿إني عبد الله﴾ [مريم، الآية:30] ومعلوم أن البُنُوَّة والعبودية لا يجتمعان. كما يفهم من قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء، الآية:26] رداً على من زعم أن له ولداً من الملائكة. فأفهمنا بذلك أن الملائكة ليسوا بنات الله كما زعم ذلك بعض المشركين بدليل أنهم عباد لله، فلو كان لله ولد لم يكن عبداً له.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة، الآية:18] فقد وبخهم الله تعالى ورد عليهم قولهم مع أنهم يقصدون ذلك مجازاً -بزعمهم-، وفيه رد لقول النصارى في المسيح إنه ابن الله، وذلك أن الأب لا يعذب الابن فكيف تركه

-على زعمهم- يتعذب بالصلب على أيدي اليهود؟!

فلا يجوز الأخذ بما خالف ذلك وإن كان منسوباً الى الغزالي وغيره، لأننا نُبَرّئُ الغزالي وأمثاله عن الوقوع في هذه الضلالة، ثم ماذا يكون الجواب لمن يقول من النصارى: "المسيح ابن الله بالمعنى المجازي" لو كان كلام أدعياء العلم أولئك صحيحاً؟! بل ماذا يقال لمن يقول من النصارى: "كيف تضللون من يقول عن المسيح ابن الله بالمعنى المجازي وأنتم تعترفون أنه كان مأذوناً له في إطلاق هذا اللفظ؟!" بل ماذا يقال لمن يقول منهم "كيف يذم الله من قال المسيح ابن الله ويتوعد قائله، وهو قد أذن له بإطلاق هذا اللفظ على نفسه؟!"

وليت شعري، إن جاز إطلاق الأب على الله ونسبة الابن إليه بالمعنى المجازي فلم لا يجوز إطلاق الجد والعم والخال عليه؟! ولم لا يجوز نسبة البنات والأحفاد وأولاد الأخ والصهر والكنَّة إليه؟! سبحانك اللهم هذا بهتان مبين ومروق من الدين.

فاتضح لكل ذي عقل سليم فساد ذلك، فلا يجوز مخالفة ما قررناه من الحق، بدعوى أخرق ينتسب إلى العلم، فإن الحق أحق أن يتبع، وليس الحق يعرف بالرجال، وإنما الرجال يعرفون بالحق، وعلى العاقل أن يزين بحكم الشرع هذه القضايا، وأن يكون في غاية التنبّه فإن الخطأ في أصول العقيدة أعظم من الخطأ في فروع الشريعة، نسأل الله الهداية إلى سبيل الحق والتوفيق إلى ما فيه الخير والرشاد، وبالله العصمة والتوفيق.

خاتمة الجزء الثاني

إلى هنا تم مرادنا بعون الله تعالى من الجزء الثاني من هذا الكتاب، فأثبتنا بطلان دين اليهود والنصارى وتحريف كتبهم، وذكرنا طائفة من نصوصهم التي اشتملت على الطعن في أنبياء الله بما لا مزيد عليه، وبينا أنهم ينسبون للأنبياء الكبائر والفواحش والكفر، فاعجب لقوم يعتقدون في أنبيائهم ذلك ثم يعتقدون أنهم شعب الله المختار -كما يقول اليهود - أو يعتقدون أنهم أبناء الله وأحباؤه -كما تقول الطائفتان منهم، وليت شعري كيف يرفعون أنفسهم فوق رتبة النبيين والمرسلين؟!

واعجب أيضاً لزعمهم أن الكتب التي بأيديهم هي كلام الله ووحيه إلى أنبيائه ورسله، مع اشتمالها على ذكر تلك الفواحش التي يستحى من ذكرها وسماعها، حتى إن من يطالع تلك المواضع يشعر وكأنه يقرأ قصصاً من قصص الماجنين المولعين بالزنا والخمر، لا سيما وأن فيها وصفاً دقيقاً لبعض النساء وذكر ثديهن[340]، وذكر منيّ بعض الرجال وكثرته، مما يأنف العاقل أن يتفوه به، ولولا ضرورة بيان ضلالهم وافتراءاتهم على الله وعلى رسله لما تطرقنا إلى ذلك، ومن رام التأكد من كلامنا فليطالع المواضع التي نقلناها في هذا الكتاب مما فيه ذكر الفواحش، وليطالع أيضاً نشيد الإنشاد وسفر حزقيال من العهد القديم يجد من الغزل والمجون والدعارة ما لا يجده في أشعار الماجنين الفسقة.

فلا عجب إذاً من ارتكابهم الفواحش بالأجنبيات وبالمحارم، إذا كانوا يعتقدون أن ذلك سيرة الأنبياء الكرام، بل ربما يكون -على زعمهم - مرضياً لله، فيتولد منه أولاد زنا ذوي شأن عظيم، كما زعموا أن في نسب بعض الأنبياء أولاد زنا.

وإنا نبرأ إلى الله تعالى من هذا الضلال، ونسأل الله السلامة، فأي خزي أكبر من أن يعتقد أن في فعل الفواحش أُسوة بالأنبياء؟!

---

[340] وجاء أيضاً فيها وصف الفخذين والسرة والبطن وغير ذلك. انظر سفر حزقيال ص1211 من العهد القديم، ونشيد الإنشاد ص989-990 من العهد القديم.

فائدة مهمة

في ذكر آيات تدل على أن دين جميع الأنبياء هو الإسلام[341]

﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ [آل عمران، الآية: 19].

﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ [آل عمران، الآية: 85].

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ [آل عمران، الآية: 67].

﴿وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمَيْن لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾ [البقرة، الآية: 127-128].

﴿ووصى بها إبراهيمُ بنيهِ ويعقوبُ يا بنيَّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنت مسلمون. أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوبَ الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون﴾ [البقرة، الآية: 132-133].

﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ [البقرة، الآية: 136].

﴿إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا﴾ [المائدة، الآية: 44].

﴿قال فرعون آمنتم به قبل أن آذن لكم إنّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لأقطّعن أيديَكم وأرجلكم من خِلاف ثم لأصلبنكم أجمعين. قالوا إنا إلى ربنا منقلبون. وما تنقِمُ منا إلا أن آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مسلِمين﴾ [الأعراف، الآية: 123 إلى 126].

﴿رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث. فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين﴾ [يوسف، الآية: 101].

﴿وإذ أوحيت إلى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون﴾ [المائدة، الآية: 111].

﴿فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريّون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بأنا مسلمون﴾ [آل عمران، الآية: 52].

﴿واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قومِ إنْ كان كَبُرَ عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلتُ فأجمِعُوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكُنْ أمركم عليكم غُمة ثم اقضُوا إليّ ولا تُنْظِرونِ. فإن توليتم فما سألتكم

---

[341] من أراد الاستزادة فلينظر رسالة: دلالة القرآن المبين على أن الإسلام دين جميع النبيين، للمؤلف.

من أجر إن أجري إلا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ [يونس، الآية: 71-72].

﴿وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعَدْواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين. آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين﴾ [يونس، الآية: 90-91][342].

﴿قالت يا أيها الملأ إنه ألقي إليّ كتاب كريم. إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم إلا تعلوا عليّ وأْتوني مسلمين﴾ [النمل، الآية: 29-30-31].

﴿قالت ربّ إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين﴾ [النمل، الآية: 44].

﴿فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين. فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ [الذاريات، الآية: 35-36].

[342] تنبيه: لم يقبل إيمان فرعون لأنه قال ذلك عند حضور الموت واليأس من الحياة، حيث لا تقبل التوبة.

الخاتمة

تم بعون الله تعالى إثبات عصمة الأنبياء –عليهم الصلاة والسلام – وبراءتهم من كل ما يزري بهم، وتبين أن كل نُسِب إليهم – مما يقدح في عصمتهم – في كتب اليهود والنصارى، وفي بعض التفاسير، إنما هو افتراء وبهتان مبين، وتبين أيضاً أن جُلّ ما اشتملت عليه تلك التفاسير من تلك الافتراءات ما هو إلا إسرائيليات مأخوذة عن أهل الكتاب وخصوصاً اليهود، حيث إنهم عادوا أنبياء الله فافتروا عليهم، بل أدى بهم ذلك إلى أن قتلوا عدداً من الأنبياء.

وكل تلك الروايات يجب ردها لأنها خالفت المنقول والمعقول كما سبق بيان ذلك. وإن من ينسب إلى الأنبياء ما ورد في تلك الروايات من النقائص قد احتمل إثماً وبهتاناً مبيناً، كيف لا والشريعة تنص على أن الاستطالة في عرض المسلم من أعظم الذنوب فكيف بمن يستطيل في أعراض الأنبياء الكرام، الذين فضلهم الله على العالمين، وعلم أولهم وهو آدم عليه الصلاة والسلام الأسماء كلها وأسجد له ملائكته الأبرار، وفضل أخرهم عليه الصلاة والسلام على جميع الخلق فجعله سيد الأولين والآخرين، وصاحب المقام المحمود يوم القيامة.

وإن من يموت على اعتقاد تلك النقائص في الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، لن تناله شفاعة أحد منهم، لأنه لم يؤمن بما جاء في الذكر الحكيم من بيان فضلهم وشرف مرتبتهم.

وليعلم كل من يفتري تلك الافتراءات عليهم بأنه قد عاداهم فليأذن بحرب من الله، ذلك أنه ورد في الحديث القدسي: ﴿من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب﴾ [رواه البخاري] فكيف بمن حارب نبياً؟! نسأل الله الهداية والتوفيق.

وإلى هنا تم مقصودنا بهذا الكتاب* فجاء تبصرة وتذكرة لأولي الألباب* جامعاً من البراهين للعجب العجاب* بما أوردنا تقريره من أوجه الصواب* فسطع كالشمس ما دونها سحاب* فلم تنهض لمناهضته بدعة مُدّعٍ ولا شبهة مرتاب* فلله الحمد أولاً وآخراً وإليه المرجع والمآب* وصلى الله على سيّدنا محمد المصطفى وسلم والآل ثم الصحاب*

تم الفراغ من تبييضه يوم الخميس الخامس عشر من شهر رمضان المبارك 1436 هـ الموافق 2-7-2015

كَتَبه مُحِبُّ الصَّالِحِينَ رَاجِي رَحْمَةِ اللهِ وَعَفْوِهِ الفَقِيْرُ إِلى اللهِ

أَبُو الطَّيِّبِ يُوسُفُ المُنَاوِيُّ

المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم

الألف

2- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ) ط 1399 هـ، دار الفكر، بيروت.

3- الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة، شهاب الدين أحمد القرافي (ت) ط 1406هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

4- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، عبد الملك الجويني (ت 478 هـ) تحقيق أسعد تميم ط1، 1405هـ مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت.

5- أصول الدين، عبد القاهر البغدادي (ت 429هـ)، ط2، 1400هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

6- إظهار الحق، رحمةُ الله بن خليل الرحمن العثماني الكيرانوي، (ت 1308هـ) ط المكتبة العصرية، صيدا-بيروت.

7- ألفية العراقي في مصطلح الحديث، عبد الرحيم العراقي (ت 806هـ) ط1، 1406هـ [مطبوعة ضمن مجموعة متون تحت اسم النفائس]، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية بيروت.

الباء

8- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت 794هـ) تحقيق مصطفى عطا، ط1، 1408هـ دار الكتب العلمية بيروت.

التاء

9- تبرئة الأنبياء، علي بن أحمد الأموي (ت) ط1، 1411هـ تحقيق محمد رضوان الداية، دار الفكر المعاصر بيروت.

10- التبصير في الدين، أبو المظفر الإسفراييني، (ت 471هـ) ط2، 1408هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

11- تفسير البغوي "معالم التنزيل"، الحسين بن مسعود البغوي (ت 516هـ) تحقيق خالد العك

ومروان سوار ط3، 1413هـ، دار المعرفة، بيروت.

12- تفسير البيضاوي "أنوار التنزيل" ناصر الدين البيضاوي (ت 691هـ) ط1411هـ مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا.

13- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي (ت 864هـ) وجلال الدين السيوطي (ت 911هـ) ط دار الأندلس بيروت.

14- تفسير الخازن "لباب التأويل" علاء الدين علي بن محمد (ت)، [فرغ من تأليفه عام 725هـ)، ط 1317هـ، المطبعة الميمنية مصر، ودار المعرفة بيروت.

15- تفسير النسفي "مدارك التنزيل"، عبد الله بن أحمد بن محمود (ت 701هـ) ط 1317هـ، [على هامش تفسير الخازن]، المطبعة الميمنية مصر، ودار المعرفة بيروت.

الجيم

16- جوهرة التوحيد، إبراهيم اللقاني (ت 1041هـ) ط2، 1354هـ، [ضمن المجموع الكبير من المتون] دار الفكر بيروت.

الحاء

17- حاشية شيخ زاده على تفسير البيضاوي، محمد بن مصلح الدين (ت 951هـ) ط1411هـ، مكتبة الحقيقة، استانبول تركيا.

18- حدائق الفصول وجواهر الأصول، "العقيدة الصلاحية"، محمد بن هبة الله (ت 599هـ) [فرغ من تأليفها 570 هـ]، [مطبوعة ضمن النفائس]، ط2، 1407هـ، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، بيروت.

الدال

19- الدعوة إلى الله، د. عبد الرب نوّاب الدين آل نوّاب، ط1، 1410هـ، دار القلم بيروت.

الراء

20- الرد الجميل، [منسوب للغزالي وهو إما مفترى عليه أو مدسوس فيه]، أبو حامد محمد الغزالي (ت 505هـ) ط1412هـ، مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا.

الزاي

21- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن الجوزي، (ت 596هـ أو 597هـ) ط1، المكتب

الإسلامي، بيروت.

السين

22- سراج السالك، عثمان بن حسنين المالكي (ت) ط1408هـ المكتبة الثقافية، بيروت.

23- السيف الصقيل، بكر بن عمر التميمي الداري النابلسي، (ت) ط1313هـ مطبعة المحروسة، مصر، ومكتبة الحقيقة استانبول تركيا عام 1412هـ.

الشين

24- شرح الزرقاني على البيقونية، محمد الزرقاني (ت 1122هـ) ط1، 1405هـ، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت.

25- شرح العقيدة الطحاوية، عبد الغني الغنيمي، (ت1298هـ) تحقيق محمد الحافظ ومحمد المالح، ط2، 1412هـ دار الفكر، دمشق.

26- شرح الفقه الأكبر، ملّا علي القاري (ت) ط 1399هـ دار الكتب العلمية، بيروت.

27- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، عياض اليَحْصبي (ت 544هـ) ط1405هـ دار الفكر، بيروت.

الصاد

28- صحيح مسلم بشرح النووي، مسلم بن الحجاج (ت 261هـ)، يحيى النووي (ت 676هـ) ط1، 1411هـ دار الكتب العلمية بيروت.

29- الصراط المستقيم في الدين المحمدي القويم، ابراهيم فصيح ابن السيد صبغة الله الحيدري (ت 1299هـ) ط1، 1412هـ، مكتبة الحقيقة استانبول تركيا.

العين

30- عصمة الأنبياء، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (ت 606هـ) ط2، 1409هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

31- العهد الجديد، ط 1987م.

32- العهد القديم، ط 1987م.

الفاء

33- فتح الباقي على ألفية العراقي، زكريا الأنصاري (ت925هـ) ط دار الكتب العلمية بيروت.

34- فتح المغيث شرح ألفية الحديث، عبد الرحيم العراقي (ت 806هـــ) تحقيق صلاح عويضة ط1، 1413هـ، دار الكتب العلمية بيروت.

35- فتح الباري شرح صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (ت 256هـــ)، أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)، ط دار الكتب العلمية بيروت.

36- الفصـــل في الملل والأهواء والنِحَل، ابو محمد علي بن أحمد بن سـعيد بن حزم، (ت456 هـ)، ط مكتبة السلام العالمية.

القاف

37- قصص الأنبياء، إسماعيل بن كثير، أبو الفداء (ت 774هــ) ط8، 1411هــ، دار القلم، بيروت.

38- قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار ط3، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

39- قصص الأنبياء: قصة آدم، عبد الله الغماري، (ت1993م) ط2، 1405هـ عالم الكتب بيروت.

40- قصة داود عليه السلام، "القول المحمود بشرح قصة داود، عبد الله الغماري (ت1993م) ط2، 1406هـ، عالم الكتب، بيروت.

41- القول الثبت في الرد على دعاوى البروتستانت، عبد القادر بن محمد سليم الكيلاني، (ت) ط1، 1412هـ مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا.

42- القول الفصل شرح الفقه الأكبر، محمد بهاء الدين (ت 956هت) ط1410هـــ مكتبة الحقيقة، استانبول، تركيا.

الميم

43- متن الباجوري، إبراهيم الباجوري (ت) ط2، 1354هـ، [ضمن المجموع الكبير من المتون] دار الفكر، بيروت.

44- متن السنوسية، محمد بن يوسف (ت) ط2، 1354هـ [ضمن المجموع الكبير من المتون] دار الفكر، بيروت.

45- المرشد المعين، عبد الواحد بن عاشر (ت 1040هـ) ط1، 1414هـ دار الفكر بيروت.

46- المصباح المنير، احمد بن محمد الفيومي (ت 770هـ) ط المكتبة العلمية بيروت.

47- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، اعداد محمد فؤاد عبد الباقي.

48- مقدمة ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، (ت 642هـ) ط 1398هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.

49- مكائد يهودية، عبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، ط5، 1405ه دار القلم دمشق.

النون

50- نخبة اللآلي لشرح بدء الأمالي، محمد بن سليمان (ت 1228هــ) ط1413هــ مكتبة الحقيقة استانبول تركيا.

فهرس الكتاب

مقدمة

الجزء الأول: إثبات عصمة الأنبياء بالنصوص الشرعية وبراءتهم من التهم التي نسبت إليهم في كتب التفسير

القسم الأول: المقدمات

القسم الثاني: إبطال التهم الملصقة بالأنبياء، المروية في بعض التفاسير

الجزء الثاني:

تنزيه الأنبياء عما نسب إليهم في كتب اليهود والنصارى مما لا يليق بهم

القسم الأول: المقدمات

1- إثبات تحريف التوراة والإنجيل.

2- ذكر كتب العهدين القديم والجديد.

3- بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتبهم.

4- ذكر افتراق اليهود.

5- اعتقاد اليهود أنهم شعب الله المختار.

6- ظاهرة التقليد والتعصب عند اليهود.

7- عقيدة اليهود في الله.

8- ذكر افتراق النصارى.

9- التثليث عند النصارى.

10- ظاهرة التقليد الأعمى عند النصارى.

11- عقيدة اليهود والنصارى في الأنبياء.

القسم الثاني: تفنيد افتراءات اليهود والنصارى على الأنبياء

1- افتراء اليهود والنصارى على آدم عليه السلام، وإبطال قول النصارى بالفداء.

2- افتراؤهم على نوح عليه السلام.

3- افتراؤهم على إبراهيم عليه السلام.

المُؤَلِّفُ في سُطُورٍ

أبو الطيِّبِ يوسُفُ بنُ عدنانَ المُناويُّ، الفِلَسْطِينيُّ الأَصلِ اللُّبنانيُّ المولِدِ.

شهاداتُه ومؤهلاتُه العلمية

حصل على شهادة جامعية في الدراسات الإسلامية من كلية الإمام الأوزاعي في بيروت عام 1991

حصل على ماجستير في الرياضيات من جامعة مدينة أورهوس في الدانمارك، عام 2004

حصل على شهادة في الفيزياء من جامعة أورهوس عام 2006

حصل على شهادة تعليمية في الرياضيات والفيزياء عام 2007 وهي مرحلة تستغرق عامين.

عمل مديرا لمدرسة إسلامية خاصة في الفترة 1998-2000 في الدانمارك وكان من المؤسسين لتلك المدرسة

عمل في تدريس الرياضيات والفيزياء في الثانويات عشر سنين.

حصل على إجازات في علوم الحديث والفقه وعلوم العربية وغير ذلك من كبار علماء العصر

طلبُهُ العِلمَ:

تلقَّى العلمَ على كثيرينَ منهم الشيخُ محمدُ بنُ عبدِ الوهَّابِ البُوتاريُّ، أخذَ عنهُ علمَ المواريثِ، والشيخُ حسنُ بنُ الصدِّيقِ المالكيُّ قرأَ عليهِ مِفتاحَ الوُصُولِ في عِلمِ الأُصولِ وقسمَ العباداتِ من القوانينِ الفقهيةِ لابنِ جُزَي، وشيئًا من كتابِ التَّلقينِ في الفقهِ المالكيِّ، والشيخُ محمَّد صفوةُ اللهِ المُجَددّيُّ الحنفيُّ أخذَ عنهُ في قراءةِ القرآنِ الكريمِ، وتلقَّى عنهُ الكافيةَ في النَّحوِ، والشيخُ حُسين عُسَيران الشافعيُّ صاحبُ الأسانيدِ العاليةِ في الديارِ اللبنانيةِ، التقَى به مراتٍ عديدةً في بيتِهِ في بيروتَ وكذلكَ التقى بِهِ في تركيا وأخذَ عنهُ، والشيخُ العلَّامةُ شِهابُ الدينِ أبو عَمْرٍو، أخذَ عنهُ في النحوِ والصَّرفِ وعلومِ اللغَةِ وغيرِ ذلكَ، والشيخ أسامة سعيد منسي، قرأ عليه عدة متون في الفقه المالكي ووسائل الوصول للنبهاني وغير ذلك، والشيخ خالد مرغوب، قرأ عليه موطأ الإمام مالك ومختصر البخاري للزبيدي والشمائل للترمذي وغير ذلك.

إجازاته بالمرويات:

من أشهر من أجازه برواية كتب العلوم الشرعية من حديث وفقه وتفسير وعلوم اللغة:

1. الشيخ عبد العزيز بن الصديق أجازه أكثر من مرة بجميع مروياته
2. الشيخ المحدث الفقه الشريف محمد الشاذلي النيفر علامة تونس أجازه بجميع مروياته
3. الشيخ العلامة الأصولي كمال الدين الجعيط مفتي تونس أجازه بجميع مروياته
4. الشيخ العلامة حسن بن الصديق المغربي أجازه بجميع مروياته، وأخذ عنه في الفقه المقارن وأصول الفقه المالكي
5. الشيخ العلامة المقرئ حسين عسيران اللبناني، أجازه مشافهة وكذلك أجازه إجازة خطية أكثر من مرة بما في ثبته مِنَّة الرحمن
6. الشيخ العلامة الحنفي محمد سعيد كحيل الحمصي، أجازه بكل ما أجيز به أكثر من مرة في بيته في حمص
7. الشيخ المحدث محمد إبراهيم عبد الباعث الكتاني، قرأ عليه مقدمات الكتب الستة، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأوليه، وأجازه إجازة عامة بجميع مروياته شفهيا ثم خطيا.

8. الشيخ العلامة الصالح الشيخ أبو علي يعقوب البلوشي القادري المجاور بمكة المشرفة، أجازه بكل ما عنده من مرويات وغير ذلك.
9. الشيخ حسين غازي آغا الحمصي إجازة خطية
10. الشيخ عبد الفتاح بن قديش اليافعي أجازه إجازة عامة بجميع مروياته.
11. الشيخ يوسف خطار محمد أجازه إجازة عامة بجميع مروياته، وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية والحديث المسلسل بالتحديث في العيد، يوم عيد الفطر 1435 هـ.
12. الشيخ محمد صفوة الله المجددي، أجازه بمرويات الشيخ محمد بن علوي المالكي.
13. الشيخ فواز الطباع الحسيني الرفاعي، أجازه بحديث الرحمة المسلسل بالأولية وبالأربعين حديثا المسلسلة بالأشراف، وبجميع مروياته إجازة عامة وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية يوم عيد الفطر عام 1435هـ.
14. الشيخ العلامة المعمر معوض عوض، قرأ عليه وسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية عن الشيخ علي الزنكلوني بتاريخ 17-7-2014، وأجازه إجازة عامة شفهية ثم خطية بجميع مروياته.
15. الشيخ يوسف متالا في ليلة 7-8-2014 سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية بلفظ الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، وفي رواية ارحموا تُرْحَمُوا، سمعه من الشيخ محمد زكريا المهاجري، وأجاز الشيخ يوسف متالا بجميع مروياته، وقد أجاز الشيخ يوسف متالا يوسف المناوي بما سمعه من الشيخ محمد زكريا ومن سائر المحدثين.
16. الشيخ خالد بن مرغوب، سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، والحديث المسلسل بالمحبَّة، وقرأ عليه الأربعينَ النووية، وأوائل الكتب الحديثية في الاوائل السنبلية، والبيقونية، والشمائل المحمدية، ومسلسلات الدهلوي، وموطأ الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى، مختصر البخاري للزبيدي، وأجازه إجازة عامة شفهية وخطية عامة بجميع مروياته
17. الشيخ عبد الحميد شانوحة، سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وأجازه به، وقرأ عليه الأربعين النووية وأجازه بها، وقرأ عليه الأربعين العجلونية، وأجازه بها وأجازه بكتب الحديث السبعة، ثم أجازه بجميع مروياته إجازة عامة.
18. مفتي السند العلامة الشيخ عبد الرحيم سكندري السندي أجازه إجازة عامة بجميع مروياته.
19. الشيخ أبو البركات حق النبي السندي الحنفي، سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية وأجازه إجازة عامة بجميع مروياته
20. الشيخ نجاح صيام، وسمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجازه إجازة عامة بمروياته ومسموعاته.
21. الشيخ عبد القادر محمد الحسين إجاز بجميع مروياته.

22. الشيخ محمد تقي العثماني، سمع منه المسلسل بالأولية بأولية نسبية في أول مجلس التقى به فيه، والمسلسل بالمصافحة، وسمع أول مختصر شعب الإيمان للبيهقي وآخره، قراءة عليه، وأجازه إجازة عامة بمروياته عن مشايخه في الهند وباكستان والبلاد العربية.
23. الشيخ سلمان عبد الفتاح أبو غدة، سمع منه المسلسل بالأولية، وأجازه بمروياته عن جميع مشايخه.
24. الشيخ سعيد الرحمن الهندي أجازه إجازة عامة
25. الشيخ محمد عبد البر الأزهري، أجازه ببعض الكتب في العقيدة خصوصا وبجميع مروياته عموما
26. الشيخ نظر الفريابي الأفغاني أجازه إجازة عامة
27. الشيخ عصام أنس الزفتاوي أجازه إجازة عامة، وسمع منه المسلسل بالأولية، وقسما من سنن أبي داود، وقرأ عليه معظم كتاب الإلماع للقاضي عياض
28. الشيخ يحيى الغوثاني، سمع منه الحديث المسلسل بالأولية، وأجازه إجازة عامة بمروياته، في 18-8-2014 ثم إجازة خطية
29. الشيخ حبيب الله قربان المظاهري الهندي، سمع منه المسلسل بالأولية من طريق المهاجرين المدفونين في البقيع، وأجازه إجازة عامة بشرطه، في 30-9-2014
30. الشيخ محمد أحمد عاموه الحنفي اليمني، أجازه إجازة عامة بالمنقول والمعقول وكل ما تجوز له روايته.
31. الشيخ عبد الكريم حمزة، إجازة عامة بالمنقول والمعقول وبكتب السنة، وبما قرأه على مشايخه من كتب الفقه وبسائر ما تجوز له روايته من كتب العلم
32. الشيخ أبو النصر عطار إجازة عامة شاملة لكل ما تجوز له روايته وكل ما أجازه به مشايخه.
33. الشيخ عبد الوكيل الجوخدار أجازه بما في كتابه الزاد الوافر إجازة خطية
34. الشيخ عبد المعين إكرام المدني إجازة عامة شفهية ثم خطية
35. العلامة الشيخ علي جمعة مفتي الديار المصرية سابقا، أجازه إجازة عامة، شفهيا وخطيا في بيته يوم الجمعة 9-1-2015، بعد أن أسمعه المسلسل بالأولية، وقرأ عليه متن الجوهرة كاملا.
36. الشيخ فتحي حجازي، قرأ عليه شيئا من تلخيص المفتاح في البلاغة وألفية ابن مالك، وأجازه إجازة عامة.
37. الشيخ علي صالح (تلميذ الشيخ محيي الدين عبد الحميد) قرأ عليه متن قطر الندى مع شرحٍ مختصرٍ، وحضر عليه مجلسا في التفسير وعدة مجالس في شرح قطر الندى وفي شرح شذور الذهب، وأجازه إجازة عامة بكل مروياته شفهيا وخطيا.
38. الشيخ صلاح الدين التيجاني أجازه إجازة عامة بجميع مروياته
39. الشيخ أحمد الهجين سمع منه المسلسل بالأولية وحضر عليه في رياض الصالحين للنووي، وأجازه إجازة عامة بجميع مروياته.

40. الشيخ محمد عبد الرحيم جاد بدر الدين، حدثه بالمسلسل بالأولية والمسلسل بالمحبة، والمسلسل بالمشابكة والمسلسل بالمصافحة والمسلسل بالإضافة على الأسودين التمر والماء والمسلسل بالإضافة على الخبز والماء، وأجازه إجازة عامة بجميع مروياته شفهيا وخطيا، وسمع منه بعض القصائد التي نظمها في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، وقرأ عليه قسما من الحكم العطائية.

41. الشيخ يسري جبر حضر له مجلس ختم صحيح مسلم مع الشرح، ومجالس متعددة في سنن الترمذي مع الشرح وأجازه إجازة عامة.

42. الشيخ أسامة التيدي، سمع منه المسلسل بالأولية والمسلسل بالمحبة والمسلسل بالمصريين وأجازه إجازة عامة بجميع مروياته

43. الحبيب علي عيديد أجازه إجازة عامة بجميع مروياته

44. الشيخ أبو الهدى اليعقوبي أجازه إجازة عامة بعد أن سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية.

45. الشيخ عبد المالك سلطان من مكة أجازه بكل مروياته

46. الشيخ حسن حسين باسندوه يروي عن والده وعن الشيخ عمر حمدان المحرسي وعن السيد محمد نور سيف وعن السيد علوي مالكي وعن حسن المشاط وعن محمد العربي التباني وعن الحبيب عبد القادر السقاف وعن الحبيب أحمد المشهور الحداد والحبيب عمر بن سميط وعن الشيخ راجح العبدلي وغيرهم الكثير وهو من المعمرين أجازه بجميع مروياته وعن جميع مشايخه إجازة عامة تامة

47. الشيخ إلياس الجزائري الحسني سمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، وأجازه بجميع مروياته إجازة عامة

48. الشيخ أسامة سعيد عمر منسي قرأ عليه وسائل الوصول وقطعة من سنن ابن ماجه، ومنظومة ابن عاشر، ومختصر الأخضري، ومتن الرسالة في فقه مالك، والعزية، والعشماوية، وقسما من الشرح الصغير للدردير، والأوائل السنبلية، وأجازه بالأوائل السنبلية وبالموطأ وبكل ما تصح له روايته من منقول ومعقول عن جميع شيوخه